گەلاوێژی نوێ

ادبية ثقافية يصدرها مركز گلاويژ الادبي والثقافي

الملحق العربي

رئيس التحرير

عبدالله طاهر البرزنجي

مدير التحرير

لطيف هلمت

هيئة التحرير

صلاح محمد

التصميم واشراف الطبع

بختيار سعيد

تخطيطات

نرمين محمود

الكمبيوتر

جليل حسين　　زانا عارف　　آلان سامي

سعر النسخة (١٠) دنانير / خارج كردستان ($ 7)

كتبت بعض الاسماء بالاملاء المتبع في اللغة الكردية

د. عبدالله ابريشمي	٥
الكرد في الالفية الثالثة	
شيرزاد عبدالله — د. رمضان الداودي	١١
الاسماعيلية نشأتها عقائدها فرقها	
أحمد شريفي	٢١
تأريخ ملوك شبانكاره	
محمد صالح	٢٣
مجمع الانسياب وقبيلة شوانكاره الكردية	
صلاح مسلم	٢٧
حول ببليوغرافيا محي الدين زنكنة	
لطيف هلمت	٣٤
التصوف والجوانب العلمية في الفلسفة الصوفية	
شيرزاد حسن	٤٣
لوزان	
شيرين ك	٥٠
الجسد الابيض	
احمد شوكت	٥٣
ايادب حروب الطماطم	
د. لطيف محمد حسن	٥٩
تداعيات إمرأة استثنائية	
عباس بوسكاني	٦٢
كتابة نص مع الشاعر المعاصر رفيق صابر	
صلاح محمد	٦٧
الوردة البيضاء	

العنوان

كردستان (العراق) السليمانية - شارع سالم

مركز گەلاوێژ الادبي والثقافي

الهاتف: ٢٣٨٥٦

علي دسمالي	
اشعار من كردستان ايران	٧٠
عبدالله طار البرزنجي	
د. لطيف محمد حسن/ الحداثة الكردية تسبق الحداثة العربية	٧١
حسين نيركزجاري	
من رواد التسامح	٨٠
احمد پيرمامي	
النزعة الشكلانية	٨٤
رؤوف عثمان	
احمدي خاني.. قرأة اخرى	٨٨
د. كمال معروف	
الشعر الكردي والتنوير	٩٢
ريگار راستگو	
اشكاليات الخطاب الانثوي	٩٨
ئەژی دلێر	
الاغتراب في نتاجات حسين عارف القصصية	١٠٣
غفور صالح	
صهيل الدم	١١٨
عبدالله طاهر البرزنجي	
النزعة الكردية القومية في ايران	١٢٧
فؤاد طاهر صادق	
اللغة الكردية واللغات الاخرى	١٣٤
ابو تابان	
الكرد في الوثائق القاجارية	١٤٢
اقواس.. اعداد شكاك عبدالله	١٥٣
كمال نورى معروف	
الاخيرة وماقبل الاخيرة	١٥٨

گەلاوێژی نوێ على الانترنت

http:\home.bip.net\hawre\

بأمكان الادباء المقيمين في الخارج الاتصال بنا على العنوان التالي:

مركز السليمانية

هاتف: 00 121 289 633 04 فاكس: 00 121 289 633 05

تنظيم الحوار الفارسي الكردي خبر أعلنته مجلة كردستان التي صدر العدد الأول منها باللغة الكردية في طهران. بادىء ذي بدء نهنىء هيئة التحرير والعاملين فيها وجميع الأخوة الأدباء في معهد كردستان الثقافي الـذي تأسس في العام الماضي في طهران ونشكرهم جميعا لتجشمهم عناء إرسال نسخة من المجلة إلينا، وهي في الحقيقة مبادرة طيبة من لدن تلك المؤسسة الكردية لانشاءوتوطيد علاقاتها مع كافة المؤسسات الثقافية الكردية.

يحوي العدد مجموعة من الدراسات والمقالات الخاصة بتأريخ الكرد وحياته الاجتماعية وظروفه السياسية، ونقرأ على صدر الصحفات الأخيرة النقاط والبنود الخاصة بالحوار الفا سي–الكردي الذي من المزمع عقد مؤتمر له في السنة القادمة.

يسعى المشرفون على هذا المشروع الى جمع مجموعة كبيرة من الأدبـاء والكتـاب والمثقفين والشخصيات من الفرس والأكراد ليشتركوا في هذا الحوار ويغنوه بموادهم القيمة الخاصة بتلك المناسبة. وأعلنَ ان عدد المدعوين سيبلغ (٣٠٠) مثقفا من كردستان إيران واوروبا وكردستان العراق والشخصيات الأدبية والثقافية الفارسية وتدور المحاور حول ثقافة وعلاقات الشعبين المتآخيين والسبل الكفيلة بتوطيدها وتوضيح الآفاق المستقبلية لهما ودراسة القضايا المصيرية في الحاضر والأمد البعيد.

ان طرح مشروع من هذا النوع مبادرة طيبة في ذاته حتى لو احيط بالعراقيل والصعوبات.

الشعب الكردي شعب مسالم لدغ ويلدغ في عقر داره دائما ولا يطمح في تعكير المياه الهادئة لاحد، يحب الحوار ويفضله على سبل السلاح والعنف لانه عانى الكثير من العنف والضغط ويفتح الباب على مصراعيه لكل من يلجأ الى الحوا العقلاني، انه شعب عومل في تأريخه الطويل بقوة السلاح ونيران الرعب والتخويف.

قدم الزهور للآخرين غير انه تلقى النار والحديد وتم تهميشه بشكل مستمر لذلك سيسبق /الآخرين للجلوس على مائدة الحوار أينما كانوا.

ان التعددية التي ينشدها منطق العصر الحديث هي التي تفرض الحوار وتجعله اساسا لها. واذا شذ احد في هذا العصر عن مسيرة الحوار سيهمش مثلما همش محبو الحوار في عدة عقود من القرن المنصرم مـن قبل الملتزمين بالفكر الأحادي.

يقول مفكر ان القرن الواحد والعشرين سيكون قرن المهمشين وقرن الأطراف وصعود نجم الأقليات– اذا صح هذا القول وكتب له الظهور في ثوب العمل فان الشعب الكـردي سيكون من بين الشعوب التي تفلت من أزمة التهميش وعذاب اطار الاقليات لانه همش عبر التاريخ وادخل قسرا في خانه الأقليات رغم كونـه من أكبر شعوب الشرق.

يبدو ان مشروع الحوار مع/ الآخرين أينما كانوا سيلعب دوره في فك خيوط التهميش المعقدة. على مثقفي وأدباء وكتاب الشعوب بذل الجهد الاكبر أكثر من غيرهم لترسيخ أسس الحوار ونبذ فكرة التعالي لأنهم ينتمـون في كل زمان ومكان الى عشيرة واحدة الا وهي عشيرة المبدعين.

أجل الحوار من مرتكزات التعددية ولكن ينبغي ان يفسح له المجال ليتنفس في جو حر وفضاء مفتوح بعيدا عن كافة مظاهر التعالي والاشتراط.

رئيس التحرير

بقلم: الدكتور عبدالله ابريشمي

الكرد في الألفية الثالثة

إن فشل واضطراب الحركة السياسية الكردية في القرن العشرين بأسره من جهة والنتائج السيئة الناشئة من عدم حل المسألة الكردية في المنطقة من جهة أخرى، يطرحان السؤال التالي: هل يستطيع الكرد والدول المتورطة بالمسألة الكردية العمل بنفس أساليب القرن العشرين في حل هذه المشكلة المشتركة؟

في تحليل هذا الموضوع هناك نقطتان تحتلان الأولوية:

١–تحليل مشكلات الحركة الكردية في الداخل.

٢–تحليل مشكلات الحركة الكردية من الخارج.

حول المشكلات الداخلية في المجتمع الكردي فإن فشل الطرق المستخدمة واضح للجميع أما حول المشكلات الناشئة من العوامل الخارجية فأن استبداد الدول الحاكمة وعدم التوجه والاهتمام العادل بالمسألة يلعبان دورا أساسيا في بقاء المسألة دون حل. وفي هذا المجال فإذا كنا لاسيستطيع إرشاد الدول المتورطة بالمسألة الكردية الى الإقلاع عن الاستبداد والتوجه نحو نظرة واقعية وعادلة لحل مشكلات الأكراد، فأن ضرورة تحليل الحركة من الداخل تعتبر من الوظائف القومية لجميع الأكراد.

ولهذا فانه من الضروري على المحققين الكرد ان يعتبروا هذا العمل وظيفة قومية لهم ويبذلوا ما بوسعهم في سبيل إنجاز هذه المهمة أسوة بالمحققين في الدول المتطورة الذين لا يقصرون عن بذل أي شيء في سبيل كشف الأشياء المجهولة. وبديهي أن مثل هذه المهمة بحاجة إلى تعاون طبقات كثيرة وواسعة من المثقفين والمحللين الجامعيين على أسس علمية بعيدة عن التوجهات الحزبية–المنطقة– المسلك، حيث أن هذه المهمة الجامعة والتي تتمتع بأهمية كبيرة لايمكن حصرها بالتشكيلات السياسية.

إن شفافية أصول من هذا القبيل بإمكانها التقييم والتحكيم في الحركات واعمالها واختلافاتها وضروبها المضرة وتوضيح الأشياء للناس وخاصة فيما يتعلق بالأحزاب الكردية حتى انه من الممكن خلق مناقشات حول توجه الأحزاب واستفادة الأعداء من ذلك للتقليل من شأنها والى أي مدى يمكن إقامة محاكم ومرجعيات صالحة شعبية للتحكيم في الاختلافات وتحديد الطرف المقصر.

وفي الواقع إن التوصل إلى حل للمشكلة الكردية بات ضرورة منطقية وعالمية في القرن الحادي والعشرين.

وان بقاء المسألة الكردية دون حل قد ترك اثرا غير مرغوب فيه في المنطقة والعالم ولذا فان حل هذه المسألة بحاجة إلى جهود من قبل الجميع وان تحقيق هذا الهدف يتطلب عزم وهمة كافة الأطراف وخاصة الأحزاب السياسية والتنظيمات الثقافية والاجتماعية والمفكرين والجامعيين والمحققين في العلوم السياسية والقانونية ولقد أشرنا سابقا إلى أن محققي اغلب دول العالم المتطور لا يقصرون في أي شيء من اجل حل المشكلات الاجتماعية فلماذا يجب أن لا تتواجد بين الكرد جماعات وفرق تحاول تحليل طرق لحل المشكلة الكردية بطريقة علمية وتحديد مبادئ وأصول ستراتيجية للتخلص من هذه المشكلة؟

هل انه علينا أن ننتظر رجلا من الغرب تهمه مصالحنا لياتي ويرشدنا الى الطريق الصحيح؟

ليس من مهمة هذا المقال توضيح عملية من هذا القبيل ولكن من المؤمل واذا قبلت الدعوة للاشتراك الجماعي ان تتهيأ الظروف والارضية المناسبة لحل المشكلة الكردية فالعولمة واحدة من تلك العوامل التي هيأت الأرضية اللازمة فالأن العالم كله يرى الاوضاع المضطربة في المناطق الكردية في الشرق الاوسط ولهذا السبب فانه لم يعد بمقدور بعض من الدول الحاكمة في كردستان خداع العالم بادعاءاتها الفارغة التي تنم عن العصبية والاستبداد وكذالك فان بعضا من شعوب الدول المتورطة بالمسألة الكردية ادركت هذه الحقيقة ولا تهتم بعد بما تقوله تلك الدول حول المسألة الكردية كما ان قسما من المفكرين غير الكرد في بلدان الشرق الأوسط الحاكمة في كردستان بداوا يهتمون بالمسألة الكردية وتوصلو الى حقيقة ان بقاء هذه المسألة دون حل يتسبب في تفويت فرص تأريخية من أجل التقدم والتطور وان مصائب كبيرة في هذه البرهة التأريخية الحساسة والسريعة سوف تنشأبين التوجهات الخاطئة للدول المستبدة للمسألة الكردية. ومما يفرح ان توجهات شعوب هذه الدول نحو الاشتراك الواسع في ادارة شؤون الدولة تبشر بحل المسألة الكردية.

وفي الحقيقة ان دور المفكرين غير الكرد في الدول الحاكمة على كردستان مقارنا مع التأييد العالمي لرفع المنازعات القومية والأممية يعتبر فرصة ذهبية للشعب الكردي للتغلب على مشكلته كما ان دور توجهات عدد من مفكري هذه الدول رغم الاعلام الرسمي والتربية الفاسدة منذ القدم التي تسببت في انحراف الأفكار العمومية عن حقيقة المسألة الكردية، جانب اخر من جوانب الموضوع المشار اليه وذات قيمة عالية وان على المفكرين الكرد ان يحاولوا عن طريق شفافية التوجهات غير الكردية في المنطقة التعاون معهم وان يساعدوهم في توجهاتهم حول مصير الشعب الكردي.

ومن اجل توضيح هذا التوجه فان المطروح هو تمتع الكرد بالكيان السياسي–الثقافي–الاقتصادى–الاجتماعي وبعبارة اخرى: تمتع الشعب الكردى بحق تقرير المصير هو الطريق الوحيد للحل الاساسي للمشكلة الكردية في الشرق الأوسط وان هذا الحل ينطبق مع موازين ومقررات حقوق الانسان المشروعة والمعترفة بها دوليا ومن الضروري ان يدرك المستبدون ان زمن الاستبداد قد ولى كما ان زمن خاصية امتياز امة على امة اخرى قد تقادم ولم يعد له مبرر وان الشعب الكردي لم يعد يتحمل المحرومية من كيان سياسي وثقافي اكثر من هذا.

ولكن تحقيق هذا الامر لايستلزم بالضرورة تمزيق وحدة اية ارض– الانفصال– بل ان المشاركة على اساس المساواة في الحقوق السياسية والثقافية والاقتصادية تمنع تجزئة الدول المتورطة بالمسألة القومية وما اجمل ان يتفهم المستبدون هذه الحقيقة انه ليس بالامكان حرمان الشعب الكردي والى الابد من حق تقرير المصير والكيان السياسي والثقافي.

وفي هذا المجال فاذا كنا لانستطيع استثمار العوامل الخارجية في حل المشكلة الكردية وكما نرغب فانه من الضروري التوجه الى اصلاح العوامل الداخلية ومن المعتقد ان العمل اللازم لحل المسألة الكردية يشمل اربعة جوانب وهي من العوامل الداخلية:

١–محاولة توسيع شكل التفكير المنطقي بالنسبة للمسائل الاجتماعية.

٢–الاجماع على محور اصلي ومشترك موحد.

٣–اعادة النظر كليا في الاشكال والطرق السابقة.

٤–الاستفادة القصوى من شرائط العولمة في الالفية الثالثة.

شكل التفكير:

يجب بذل المحاولات من اجل أن تكون النظرة الواقعية للأمور بديلة من التخيلات والتفكيرات البسيطة السابقة ولايمكن تفصيل هذا البحث هنا بل انه بحاجة الى بحوث الخبراء ولكنه بالامكان الاشارة الى ان شكل التفكير حول المسائل الاجتماعية والثقافية لدى قسم من الكرد ليس له اساس واقعي منطقي وعملي وانما الاغلب منه يستند الى اساس التعالي ومالايمكن التوصل اليه واعلامي فقط وعندما يتضح ان التوصل اليه مستحيل، فانهم ينسحبون من الساحة بشكل يتجنبون التحدث حتى عن ابسط المطاليب الاولية وعن جميع المحاولات لايجاد تحول في ألأوضاع المضطربة وبعبارة اخرى فان ساحة فعاليات اكثر الاكراد واقعة بين قطبي: "الالتجاء الى السلاح–والانعزال التام" واحيانا تتحول من اوج المقاومة الى حضيض التعاون مع الاعداء.!

الاجماع على محور اصلي:

عندما نحلل ماهو منشور حول الحركات الكردية في القرن العشرين فاننا نجد ان المحور الاصلى والمشترك لتلك الحركات عبارة عن:

(رفع الحرمان من الكيان السياسي والثقافي وبعبارة أخرى تحقيق حق تقرير المصير) ولكنه وبسبب عدم شفافية هذه الاصول لحد الان فان قادة الحركات الكردية قد اوجدوا في المجتمع التفرقة بدل الوفاق.

ان القادة السياسيين الكرد في القرن العشرين قد جعلوا من هذا المحور الاصلي والمشترك للأمة الكردية في اكثر الموارد ضحية منافعهم الذاتية–الحزبية–العقيدة–المسلك وان الوقائع التي شهدتها كردستان المنضمة الى العراق منذ اربعين عاما ولحد الان اوضح دليل على صحة هذا الادعاء.

لماذا يجب ان يكون كذلك؟ هل النقص موجود في قادة الحركات الكردية ام ان الوضع الاجتماعي الكردي لايقبل الوحدة؟

فالاجماع على المطالبة بالتحررمن الظلم المشترك يوضح التحرر من الاشكال المختلفة من المحرومية من حق تقرير المصير.

واذا القينا نظرة على المجتمع الكردي فاننا نلاحظ فيه التفرق والاختلافات المؤلمة. يقول احد المفكرين في هذا المجال مايلى:

"في التقسيمات الموجودة داخل الشعب الكردي فان كل فرقة اوجماعة تعتبر نفسها مجموعة مستقلة مركبة عن جميع الخطط القابلة التصور لنفسها مماسبب في الغالب ايجاد التفرقة والصراعات الطائفية ورغم وجود كافة الارتباطات الموجودة بينهم فان الشعب الكردي متفرق بعضه عن بعض"

ان من نتائج هذه الخصوصية: هي التفرق وحب الذات والاختلافات والصراعات بين الحركات السياسية الكردية. ومن هذا المنطلق فانه يمكن ان يدعى المجتمع الكردي بانه يتمتع بخاصية المجتمعات الاقطاعية (Societes segmentaires) أي انه يفقد قدرة سياسية مركزية ولكن الحقيقة هي ان هذه الخاصية ليست خاصية ثقافية غريزية مطلقة بل من الممكن التغلب عليها اذا توفرت الرغبة القومية والنموذج البارز في هذا المجال هو المانيا في القرن التاسع عشر التي كانت تتكون من (٣٥٠) منطقة منفصلة ولكن واثر إستعمال العزيمة القومية وحكمة قادة مثل (بسمارك) ظهرت الى الوجود المانيا اصبحت مظهراً للوحدة والانسجام.

مع هذه فان الامة الكردية لها عامل مشترك واحد وهو "الظلم المشترك" ولكن هذا الظلم المشترك والذي يمارس ضد جميع الاكراد ليس عاملاداخليا بل هو عامل خارجي فرض عليه وسيبقى هذا العامل محركا

اساسيا مشتركا للثورات الكردية ولهذا يمكن اعتباره كمحور أصلي ومشترك من اجل تحرير الكرد وفي الواقع ان عامل وحدة الاكراد يحمل عليهم من الخارج اكثر من ان ينشأ داخل المجتمع الكردي المبعثر. وهكذا سيبقى هذا العامل فعالا مادامت السلطات المستبدة الحاكمة على الكرد مستمرة على تجريد الكرد من الكيان السياسي والثقافي وتمنعهم من ان يصبحوا حكاما على تقرير مصيرهم بأنفسهم ولهذا السبب فأن أي عمل يعرض الحصول على التحرر من الظلم الى الخطر يعتبر خيانة بحق الشعب الكردي.

في هذا المجال علينا ان نتذكر ان المحاولة الدائبة للجمعيات اليسارية في النصف الثاني من القرن العشرين من اجل توجيه إهتمام الشعب الكردي من الظلم الخارجي الواسع الى الظلم الداخلي المحدود- الطبقي- قد وجهت ضربة قوية الى تحرر الشعب الكردي من الظلم الخارجي اذ ان الالتزام باصل التحرر من الظلم الخارجي شرط اساسي للعمل الصحيح للحركات السياسية وعلامة بارزة على مصداقيتها. وان توجه الاحزاب الكردية الى العالم، الشيوعي من اجل تطور وجهات نظرها في عملها لايمكن ان يكون بديلا عن التزامها بالأصل الأساسي المعتمد على التحليل الواقعي اذ ان العمل السياسي والأجتماعي بحاجة الى التحليل الدقيق من قبل الخبراء وهذا مالايتلاءم مع توجهات واحساسات الشيوعية التي تتوجه الأحزاب اليها وهكذا فأن الطريقة ألاصلية والمحورية التي يجب ان تكون مورد توجه الأمة الكردية هي اعطاء الأولوية للتحرر من الظلم الخارجي وبعبارة اخرى فأن محاولة التمتع بحق تقرير المصير اساس التحرر من الظلم الخارجي أو نستطيع أن نقول ان محاولة الحصول على حق تقرير المصير اساس التحرر من الظلم الذي عانى منه الشعب الكردي لذا فأن المطلب الأساسي والمشترك للشعب الكردي هو التمتع بالكيان السياسى والثقافي الذي يربط الشعب الكردي بعضه مع بعض وبأمكانه اعتبار ذلك محورا اصليا ومشتركا لكل حركة وتوجه أي حزب اوحتى أي مفكر.

ومن المفرح ان بذل الجهود للتوصل الى حق تقرير المصير له ارضية قانونية وموافقة عالمية وفي هذا المجال فأذا كانت الدول اوألأمم كانت تمانع في تحقيق هذا المطلب في القرن العشرين ليس بمقدورها الأن في الألفية الثالثة ذلك وهذا شيء لانزاع فيه.

اما في مجال تجديد النظر في الأشكال السابقة فأنه يمكن القول بان كافة محاولات المفكرين والمحققين الكرد في القرن العشرين كانت منصرفة الى النظر في الماضي حتى ان اشكال الثورة كانت منبعثة من الماضي ايضا.

رغم ان هذا التوجه كان ردفعل نفسي مسكن مقابل نفي وتحقير الهوية القومية والاسارة وصار سببا لبقاء الهوية تحت الضغط ولكن ليس صحيحا ان يظل الشعب الكردي منصرفا بجل همه الى التوجه نحو الماضي ويغفل المستقبل.

وحسب رأي المطلعين "في الاوضاع الحالية ليس هناك شيء اخطر من الارتباط بالانتصارات التي تحققت بالأمس"

وفي هذا المجال يمكن القول بان الرجوع الى الماضي ليس طريقا للتحرر رغم ان هذا التوجه كان وسيلة لحفظ وبقاء الهوية تحت الضغوط الا ان الاعتماد على الماضي لايجوز اعتباره اصلا. إن التوجه الاكثر من اللازم اليه يسبب الغفلة والتأخر عن الواقع الحالي والمستقبل. وحسب راي (دراكر): "ان اولى خطوة من اجل التهيؤ في العصر الحاضر هو نسيان الماضي" فلايمكن الوصول الى الغد دون التضحية بالماضي" ومن اجل الاطلاع على توسيع جانب العناية بالماضي يمكن القاء نظرة على توجهات الحركات المسلحة. ولابد من الاعتراف بأن اللجوء الى السلاح كان قد نشأ من مواجهة الحكام المستبدين حيث لم يكونوا يميلون الى تمتع الأكراد بحق تقرير المصير ولهذا السبب فانه لابد من القول بان المستبدين لايتخلون عن الاستبداد سواء حمل الكرد السلاح ام لم يحمله ويعتبرون الحكم على الكرد حقا طبيعيا لهم ومطالبة الكرد بحقوقهم محاولة للانفصال اذن اين هو الحل؟

الكرد في القرن العشرين وكما في الماضي ومن اجل مواجهة المحرومية والتجاوز على حقوقهم التجأوا الى السلاح كما ان الكثير من الحركات الثورية بعد الحرب العالمية الثانية كانت فعلت الشيء نفسه ولايمكن استثناء الكرد من ذلك ولكن الاعتراض هنا ينصب علي العناية الكبيرة والاهتمام الزائد بالثورات المسلحة واعطاء الاولوية لها دون التوجه باي شكل من الاشكال الى الاقدامات السياسية والثقافية. من الممكن القول بان اللجوء الى السلاح يتبع القواعد التالية:

١-ان الحركة المسلحة بالقوة تابعة لكمية وكيفية تلك الأسلحة.

٢-ان الحركة المسلحة بالفعل بحاجة الى امكانيات لوجستيكية وشرائط جيوبولوتيكية مساعدة والأن علينا ان نسأل الى أي مدى كان يتوفر لدى الحركات الكردية هذين الشرطين؟

رغم ان اللجوء الى السلاح في اكثر الأحوال قد فرض على الأكراد ولكن التسليم الى الشرائط المفروضة والحالة الأنفصالية علامة بارزة على ضعف وعدم اطلاع قادة تلك الحركات وبجانب التحميل المذكور كان على القادة الكرد ان لايغرروا انفسهم وان لايجعلو اللجوء الى السلاح في مقدمة مواجهاتهم وذلك بسبب عدم توازن القوى والنواقص الموجودة بالفعل لديهم حيث انه من الواضح ان الكرد ولسبب موقعهم الجيوستراتيجي العالمي لديهم امكانيات محدودة للحصول على السلاح والمساندة اللوجستكية اللازمة فليس بامكانهم الوقوف امام الدول الحاكمة في حين ان دول المنطقة تتمتع بالمساندة الداخلية والخارجية القوية. وهناك نقطةجالبة للانتباه وهي ان اكثرية الأكراد وفي تعرضهم للحركات المسلحة لشعبها يشيرون الى هذا المثل وهو: "انه ليس للمنهزم اصدقاء" "ليس للكرد اصدقاء" ولا يوجد من يحميهم غير الاعداء والأن علينا ان نسأل انفسنا الى متى نستطيع الأعتماد على حماية الأعداء لنا؟.

الألفية الثالثة والعولمة:-

ان الأعتماد على الارتباطات العالمية مقارنة مع الأشكال الأخرى للعمل هو افضل طريق من اجل طرح مشكلات الكرد واعلام مظلوميته امام انظار العالم وحسب رأي احد الكتاب فان الأوضاع العالمية المستجدة اوجدت ظروفا مناسبة للتحرر الكردي. في القرن الماضي كانت الأمم تحاول الحصول على كيان سياسي بلامنازع وتعتبر كشروط ذلك ايجاد القوة وتقوية دولتها وهكذا استطاع الكثير من الدول الحديثة اتخاذ الأراضي المشتركة لأقوام الشرق ملعبا لاستبدادها وكنموذج فانه وبعد انهيار الأمبراطورية العثمانية قام العنصريون الأتراك بتبديل اراضي الكرد والأرمن واقوام اخرى مثل اليونانيين و... في اسيا الصغرى الى دولة -امة- الترك واتخذوا من قتل وتبعيد الأمم غير التركية اساس برنامج عملهم.

ومن جهه اخرى فان الدول الاستعمارية الاوروبية المتغلبة على الامبراطورية العثمانية في الحرب العالمية الأولى ضمت قسما من كردستان الخاضعة للسلطة العثمانية الى الدول الحديثة مثل سورية والعراق حيث اضاف تشكيل الدول الحديثة اعباءا جديدة على المشكلات التأريخية للأمة الكردية وأحدث مشاكل كبيرة في المنطقة.

مضت ثمانية عقود والشعب الكردي يرزح تحت التخريب والتهجير والقتل الجماعي والسجون ومصادرة الأموال والتتريك والتعريب والتعذيب.

ان انظمة الدول العنصرية التركية والعربية في هذه المدة (٨٠) عاما وتحت عنوان حفظ الأمن القومي والفاظ ومصطلحات كاذبة لم تقصر عن ارتكاب كل عمل اجرامي بحق الكرد وقد اختبأت وراء جدران: الاسقلالية وعدم التدخل في الشؤون الداخلية للدول...

ولكن وبعد انتهاء القرن العشرين فان هذه الجدران قد انهارت كماتنهار غرفة من الزجاج امام ضربة حجر كبير وانكشفت تلك الدول امام انظار العالم وبدأ العالم يوجة انتقاداته الى هؤلاء العنصريين الترك وغيرهم مما اثار غضبهم من ذلك.

انضم قسم من المثقفين من الدول التركية والعربية الى صفوف المعترضين مثل البروفيسور اسماعيل بيشكجي في تركيا. هذه الحوادث توسع ارضية مطالبة الكرد بحقوقه العادلة ومنذ تأسيس تلك الدول المستبدة فأنها اعتبرت مطالبة الكرد بحقوقه العادلة دعوة للأنفصال وطوال ثمانين عاما فأنها تعذب الكرد وتسومهم القتل الجماعي فلماذا تفعل ذلك ولماذا تعتبر تحرر الكرد من الأسارة وطلبهم بالتمتع بالحقوق المتساوية في الكيان السياسي والثقافي في ارضهم التأريخي دعوة الى الأنفصال؟ ومن الجدير بالذكر ان الأرتباط الحالي للأراضي الكردية بتلك الدول قدنشأت من السلطة الظالمة المستندة على القوة للامبراطورية العثمانية اوالدول الاستعمارية بعد انتهاء الحرب العالمية الأولى.

من جهة اخرى فان القوة العسكرية المسيطرة على الحكم في تلك الدول قد سيطرت على معظم الميزانية العمومية لتلك الدول فالسلطة القائمة في العراق مثلا قد ادخلت المنطقة في اضطراب وهيأت الأرضية لاستقرار وتدخل القوى العظمى في المنطقة.

الم يحن الوقت لكي يتفهم المثقفون في تلك الدول اضرار الأستبداد؟

ان طرح التحليل واعطاء الشفافية للأصول الأساسية والاستراتيجية للتحرر في الألفية الثالثة يتمتع بالأولوية وان بذل الجهود في هذا المجال من قبل المثقفين والأكاديميين ضروري جدا.

في أي موقع وجدت تشكيلات كردية من المثقفين والأكاديميين الملتزمين فأنه من الضروري اتخاذ خطوات من أجل توضيح هذه المهمة.

ولو كانت لدى الاحزاب الرئيسية الكردية نظرة واضحة للاصول الأساسية والستراتيجية لتحرير الكرد في القرن العشرين، لما كانت بحاجة الى اللجوء الى السلاح ولم تكن لتصبح العوبة بيد اعدائها ولم تتورط في هذا الأضطراب والتفرقة والخلافات الدامية بينها.

*–الدكتور بيروز مجتهدزادة صحيفة الاطلاعات ٢٠و٢٩/شهردي /١٣٧٩ ه .ش.

المصادر:

١–مقالة: كردها–هزارهى سوم وجهاني شدن" السيد ميرمسعود فاتحى ص٣٧–٤٤ سياسية العدد الأول /مهرماه/١٣٧٩ ه .ش (روانگه) كلية العلوم تبريز نشرية ثقافية اجتماعية.

٢–نفس المصدر السابق.

٣–بالانديه ذ/ذ. الخبير في العلوم الأنسانية من منشورات اران طبعة /١٣٧٤ ه .ش ترجمة الدكتورة فاطمة كيوه‌جيان ص١٢.

٤–نشرة الطلبة للدرسات العليا.

٥–نفس المصدر السابق

٦–نفس المصدر السابق.

*عبدالله إبريشمي كاتب وباحث كردي من كردستان ايران، له كتب حول السياسة والقومية والثقافة. نشرت هذه المقالة باللغة الفارسية في مجلة (كردستان).

الإسماعيلية

نشأتها–عقائدها–فرقها

المقدمة:–

مات الإمام السادس جعفر الصادق سنة ١٤٨ه/٧٦٥م في المدينة المنورة، فوقع الانقسام الحاسم لموته بين الذين أيدوا ابنه الأكبر (إسماعيل) والذين وقفوا مع ابنه الأصغر (موسى الكاظم).

كانت المعلومات عن الإسماعيلية قليلة في القرون الثلاثة الأولى، فقد بدأت الدراسات عنها في نهاية القرن الثالث للهجرة/ التاسع للميلاد، لاسيما عند ظهور القرامطة في البحرين والشام واليمن.

كان السبب في اسدال ستار الغموض حول الحركة الإسماعيلية كدعوة سياسية تابعا من ان أئمتها كانوا في دور :لستر، وكانت أسرة محمد بن إسماعيل لا تستقر في مكان واحد، فقد هاجرت من المدينة إلى خوزستان ثم إلى الديلم ومنها إلى السلمية بالشام، وهاجر أبو عبد الله بعد فراره من السجن في سلجماسة ببلاد فارس إلى شمال أفريقيا، وأعلن هناك الدولة المهدية، والتف حوله الاتباع من كل جهة، وتسمى بأسم عبيد الله المهدي. وازداد النفوذ الإسماعيلي على يديه وتحولت الدعوة الإسماعيلية إلى مذهب وعقيدة ودولة–ويعد أبو عبيد الله المؤسس الأول للدولة الفاطمية التي حكمت شمال أفريقيا زهاء ثلاثة قرون وقضت على دولة الأغالبة في المغرب، وما لبث أن انتزع أحد خلفائه (معد بن تميم) الملقب بالمعز لدين الله مصر وجزءا من الشام من العباسيين، وأنشأ مدينة القاهرة والجامع الازهر، واستندوا في سلطتهم الى دعوة الانتساب لآل البيت.

ـ التسمية ـ

تنتسب الفرقة الإسماعيلية إلى إسماعيل بـن جعفـر الصـادق، الأمـام السـادس مـن الأئمـة الاثنـا عشـرية، وكان إسماعيل الابن الأكبر له، على أساس انه سيلي والـده في الإمامـة وسيصبح الإمـام السـابع، وتشـعبت الفرقة،وتسمت بأسماء مختلفة، فقـد وردت في مصـادر المؤرخين وكتب الفرق بتسميات عدة، ذكرها البغدادي والغزالي والاشعري بالباطنيـة التـى تعنـى الإسماعيليـة وجميع الفرق التي تؤمن بالباطنيـة، ولقبـت بالقرامطـة ايضـا وهـذا خطأ علـى مـا نظـن، لان القرامطـة حركـة مستقلة تؤمن بالمذهب الاسماعيلي. ويذكرونها أحيانـا ببعـض مواصفاتـهم كالسـبعية مثـلا، والحقيقـة ان السـبعية هـي سمـة عقائديـة تتمـيز بـها الفرقـة الإسماعيلية[1].

وسميت بالإسماعيلية الواقعة أيضاً لوقوفـهم علـى اسماعيل بن جعفر الصـادق[2] وبالتعليميـة لان مبدأهـم هو ابطال الرأي وابطال تعرف العقول ودعوة الخلق الى التعليـم مـن الامـام المعصـوم[3]. وبالخرميـة لاباحتـهم المحارم ونكاح ذوات المحارم، وقد لقبوا بـها نسبة الى تشـابه اصـل مذهبـهم للمزدكيـة.وتعـني لفظـة (خـرم) الاعجمية ((عما يرتاح الانسان لمشاهدته))[4].

وسموهـم بالبابكيـة لخـروج طائفـة منـهم مـع بـابك الخرمي. وبالإسماعيلية لثبوتهم الإمامة في اسماعيل بن جعفـر الصـادق او لانتسـاب زعيمـهم إلى محمـد بـن إسماعيل بن جعفرالصادق.[5]

واشـار البـاحثون الاوربيـون الى ان الاسماعيليـة والقرامطة والفاطمية هي اسماء مختلفـة لحركـة واحـدة بدأت منذ ان وجدت[6].

ولكـن الغـالب هوالباطنيـة، وتجـدر الاشـارة الى ان القابهم تختلـف مـن بلـد الى أخـر، ففـي العـراق كـانوا يسمون بالباطنية والقرامطـة، وفي خراسـان بالتعليميـة والملحـدة، وانـهم يقولـون عـن انفسـهم ((نحـن الاسماعيلية)) تمييزا عن فرق الشيعة الامامية.[7]

ـ نشأة الاسماعيلية ـ

ذهب بعض المورخين الى ان الامام جعفـر الصـادق نص علىامامة ابنه اسماعيل في حياته، الا انـه سـحب وصيته منه لتعايشـه مـع العنـاصر المتطرفـة الغاليـة، فقد كان قريبا مـن ابـي الخطـاب الاسـدي * المعـروف بفسقه وادمانه على الخمر و ولعه بالنساء ، وقـد تـبرأ منه جعفر الصادق واقصاه عنه، ويقـول برنـاردلويس نقلا عن الكشي والجويني في هـذا الصـدد:((... وقـال قاسم الصيرفي سمعت جعفرا يقول : قوم يزعمون أنـي لهم امام والله ما أنالهم بامـام، لعنـهم الله كلمـا سـترت سترا هتكوه، هتك الله ستورهم. اقول كذا يقولون (إنما يعني كذا)، انا امام من اطاعني).[8].

كما اورد رواية عن عنبسة انه كان مع جعفـر ببـات الخليفـة أبـي جعفـر المنصـور بالحـيرة حينمـا جـيء ببسام واسماعيل بن جعفر، فـادخلا علـى ابـي جعفـر، فاخرج بسام مقتولا، وافرج عن اسماعيل فرفـع جعفـر اليه رأسه وقال: افعلتها يا فاسق؟ ابشر بالنار. وتتفق الاراء حول براءة جعفـر الصـادق مـن ولـده اسمـاعيل وعزله من منصب الإمامة لإدمانه السكر، فقد قال ذات مرة "اسماعيل ليس مني، ولكنـه شـيطان في صـورة انسان".[9]

ازدادت صلة اسماعيل بأبي الخطاب الاسدي، واخذ يعلمه مذاهب الزنادقة والملاحدة كالباطنيـة والمزدكيـة وغيرها، وتمسك ابو الخطاب واتباعه بامامـة اسمـاعيل رغم رفض والده لهذه الامامة، اذ أوصى لابنـه الثـاني (موسـى الكـاظم) بالامامـة مـن بعـده، وتـولى موسـى الامامـة بصفتـه الامـام السـابع للائمـة الاثنـا عشـرية سـنة١١٤٨ هـ، في حـين ذكـر اتبـاع اسمـاعيل، بـأن اسماعيل كان حياً في حياة والده وقـالوا ان إسمـاعيل لايمـوت حتـى يملـك الارض ويقـوم بـأمر النـاس، وان إعلان موته كان على جهة التلبيس من ابيه، لانه اظهر موته تقية، وان ام اسماعيل ليسـت ام موسـى الكـاظم وهي فاطمة بنت الحسين بن الحسن بـن علـي بـن أبـي

طالب، وامها ام حبيب بنت عمر بن علي بن ابي طالب.[10] لهذا سمى اتباعه الدولة التي اسسوها بالدولة الفاطمية نسبة إلى فاطمة ام إسماعيل.

انكر اتباع اسماعيل امامة سائر ولد جعفر، وقالوا لم يكن نبي ولا رسول الا وكان له خليفة في حياته وبعد موته. وان الله امر اولياءه بذلك، فان ابراهيم اتخذ لوطاً خليفته قبل ان يكون له ولد، وعندما ولد له اسماعيل اتخذه خليفة، وكذلك موسى الذي اتخذ هارون خليفة له، فتوفي في حياته، فاقام يوشع بن نون مقامه، وكان سليمان خليفة داود ووصية بعد موته، وكان علي خليفة محمد ووصيه بعد موته، وبقي جعفر خمساً وعشرين سنة ليس له ولد غير اسماعيل وعبدالله وانه دل على اسماعيل واشار اليه حتى قال بامامته خلق كثير في حياته، وانه لم يكن متزوجا من نساء غير امه، ولا تسرى بجارية، وكان مثله عندهم كمثل عدم زواج الرسول (ص) على خديجة ولاتسرى عليها حتى ماتت. ويقولون بأنه لم يتزوج جعفر على فاطمة حتى ماتت، وكانت الحجة من ولدها.[11]

هكذا ظهرت فرقة شيعية جديدة للعيان، هي الفرقة الاسماعيلية التي بدأت بتولية محمد بن اسماعيل بن جعفر الصادق الذي كان العباسيون يبحثون عنه في كل مكان، وقرروا ضرب عنقه اينما وجدوه، لذا اخذ يتنقل من مكان الى اخر سرا، وجاء بعده أئمة الاسماعيلية في دور الستر، وتعد هذة الحقبة الى تأسيس الدولة الفاطمية من اكثر الحقب غموضاً في تأريخ الاسماعيلة ودعوتها.

-نجاح الدعوة الاسماعيلية وتطورها-[12]

يرجع نجاح الدعوة الاسماعيلة الى عوامل عدة منها:

١-ضعف العالم الاسلامي والدولة العباسية على وجه الخصوص انذاك.

٢-تخاذل الطوائف الشيعية الاخرى (الاثنا عشرية والزيدية).

٣-تحمس الناس لنظرية المهدي الذي يأتي وينقذ الناس من الظلم والطغيان.

٤-الصبر والهدوء والكتمان والثقة بالنفس، حتى التبس الأمر على المؤرخين، فلم يقفوا على حقيقة القائمين عليها، هل هم الدعاة؟ ام من الائمة الحقيقين من ابناء اسماعيل.

٥-التنظيم واساليب الدعاة العجيبة.

٦-استغلال مذهب التقية، فكانوا سنيين مع اهل السنة، وشيعيين مع الشيعة ومسيحيين مع المسيحية، وكان نظام الدعوة يفرض على العالم الاسماعيلي ان يكون عارفا بكل عقائد الفرق التي يعيش في عصره، ملما بقواعدها ونظمها وفروعها، وبذلك انضم اليه الاف مؤلفة من الناس، ولم يشعر العباسيون الاوقد قامت دولة اسماعيلة لها جيشها واسطولها وقواعدها وممتلكاتها وحضارتها.

٧-الاستعانة بالسيف، لاسيما المهدي الذي اتخذ من سيوف انصاره عاملا مهما لتحقيق اهدافه.

-تطور الدعوة وانتشارها-

انتشرت الاسماعيلة في العالم الاسلامي، وظهرت باشكال مختلفة باختلاف الازمان والبلدان، فقد سيطر القرامطة على الجزيرة العربية وبلاد الشام وجنوب العراق وقسم من ماوراء النهر، في حين اسس الفاطميون دولة امتدت من المحيط الاطلسي الى مصر والشام، وانتشر الاغاخانية في نيروبي ودار السلام وزنجبار مدغشقر والهند والباكستان، واتخذوا من كراتشي في الباكستان مركزا لقيادتهم السياسية. كما واستوطن (البهرة) في اليمن والهند، واما الحشاشون فقد انتشروا في ايران، واستولوا على قلعة (الموت) جنوبي بحر قزوين استقلو باقليم كبير وسط الدولة العباسية السنية، وبقيت دولتهم الى مجيء المغول الى العالم الاسلامي، فكانوا اول قوة اصطدمت بهم المغول، وتمكنوا من إسقاطها في عام ٦٥١الهجري/١٢٥٣م.[13]

-انقسام الاسماعيلية سياسيا-

حصل الانشقاق الحاسم في صفوف الاسماعيلة بوفاة الخليفة الفاطمي الثامن (المنتصر بالله) سنة ٤٨٧ هـ، فقد تولى الخلافة بعده ابنه الاصغر ابو القاسم احمد الذي لم يكن مؤهلا للامامة بنظر بعض الاسماعيلين، وكان المؤهل بنظرهم اخوه الاكبر (نزار)، ويروى ان الخليفة المستنصر عهد الى نزار بالولاية واخذ البيعة له خلال مرضه، الا ان وزيره (الافضل بن بدر الجمالي) ماطل في ذلك وحال بينه وبين ولاية العهد لأمور كانت بينه وبين نزار، وفضلا عن قرب ابي القاسم احمد من الوزير الافضل (خاله)، وتجدر الاشارة الى ان الوزير المذكور كان مسيطرا على مقاليد الأمور عند وفاة الخليفة، فتمت له انتقال الخلافة لأبي القاسم ولقبه (بالمستعلي بالله) وبهذا انقسم الاسماعيليون الى فرقتين، قالت احداها بأمامة ابي القاسم المستعلي بالله وسميت بالمستعلية، ونادت الثانية بأمامة نزار وسميت بالنزارية، وتمكن نزار من الهرب وفر الى الأسكندرية، وقام بالثورة بتأييد محلي، الا انه فشل في مسعاه، وأسر وقتل.[١٤]

رفض اسماعيليو المشرق الاعتراف بخلافة ابي القاسم احمد، واعلنوا ولاءهم لنزار وسلالته وقطعوا جميع علاقاتهم مع الخلافة الفاطمية في مصر، واصبح التباعد بين الدولة والثوريين كاملا.[١٥] ورحل النزاريون الى بلاد فارس برئاسة (الحسن الصباح)، وكثر انصاره وتحصن في قلعة (ألموت) وعرفوا بالحشاشين فيما بعد.[١٦]

-العقائد الاسماعيلية

اولا: الامامة:-

هي المحور الاساسي الذي تدور عليه كل العقائد الاسماعيلية، والولاية افضل دعائم الدين لديهم، ومن حيث الظاهر فان الائمة من البشر، وأنهم خلقوا من الطين، الا انه في التأويلات الباطنية يسبغون عليهم (وجه الله)، و (يدالله) و (جنب الله). وانه هو الذي يحاسب الناس مشاركة، وهو الصراط المستقيم والذكر الحكيم. وأعطت الاسماعيلية للامامة مركزا ساميا ومقدسا، وجعلوا منهم مثلهم الاعلى، وجعلوها على رتب و درجات، ومن درجات الامامة ومقاماتها التي كانت معروفة في دور الستر هي (الامام المقيم، والامام الاساس، الامام المستقر، الامام المستودع، الامام القائم بالقوة، الامام القائم بالفعل)[١٧]

ورغم اختلاف الاسماعيلية في بعض المسائل، الا انهم متفقون في وجود امام معصوم منصوص على امامته، وان يكون من نسل محمد بن اسماعيل بن جعفر الصادق، وتكون الامامة متسلسلا بالوصية من الاب الى ابنه، وان الامامة عندهم ركن اساسي لجميع اركان الدين التي هي (الطهارة والصلاة والزكاة والحج والولاية). وتعد الولاية افضل هذه الدعائم، فإذا قام المسلم باركان دينه كلها وعصى الامام اوكذب به، فهو آثم في معصيته، ولا تقبل منه طاعة الله وطاعة الرسول، والولاية هي طاعة الامام ومعرفته، وتقول بذلك جميع فرق الشيعية.[١٨]

ولما كان الامام هو الذي يدل العالم على معرفة الله به، فهو وجه الله، وانه اليد التي يبطش بها الانسان، ويدافع بها عن نفسه، وألامام هو الذي يدافع عن دين الله، فهو يد الله.[١٩]

وتجدر الاشارة الى وجود امامين عند الاسماعيلية يسميان بالامام المستودع وألامام المستقر، فاما ألامام المستودع فهو الذي يكون وصيا على ابن احد الائمة في طفولته، وحينما يبلغ هذا الطفل مرحلة النضج ويصبح اماما مستقرا يقصي الامام المستودع عن مرتبته، واما الامام المستقر فهو صاحب النص الشرعي والسلطان الروحي وعصمته ذاتية، وله الصفات الكاملة، ولا يتمتع ألامام المستودع بسلطان روحي ولا يحق له نقل الامامة الى احد ابنائه، بل يحتفظ بمرتبة الامامة لصاحبها الشرعي ويحكم باسمه، واما عصمته فانها عصمة مكتسبة.[٢٠]

وتعتقد الاسماعيلية ان الامام هو ظل الله على الارض، وهو الانسان الكامل الذي اجتمع فيه اللاهوت، وجاء في مذهبهم: انه من مات ولم يعرف امام زمانه ولم يكن في عنقه بيعه لهُ، مات ميتة جاهلية.[٢١]

ثانيا: العقيدة السبعية:

كان للرقم (٧) سبعة عند الاسماعيلية مكانة مرموقة، وينظرون اليها بقدسية، وذلك لاسباب منها:-

١-زعموا ان محمد بن اسماعيل هو من اولى العزم، وان اولى العزم عندهم سبعة وهم "نوح، ابراهيم، موسى، عيسى، محمد وعلي ومحمد بن اسماعيل".

٢-ان السماوات سبع، وان الارضين سبع والبحار سبع والكواكب السيارة سبعة، وان جسم الانسان يتألف من سبعة اعضاء، يداه ورجلاه وقلبه وبطنه وظهره، كما ان راسه سبع، عيناه ومنخراه وفمه وفيه لسانه كصدره الذي فيه قلبه، وان الائمة كذلك، ومحمد بن اسماعيل هو بمنزلة قلبهم."[٢٢]

٣-ان الرسل النطقاء بالشرائع سبع وهم ادم ونوح وموسى وعيسى ومحمد ومحمد المهدي سابع النطقاء الذي هو محمد بن اسماعيل.[٢٣]

٤-ان الهياكل سبعة مؤتلفة وسبعة مختلفة، والأئمة سبعة وهم "علي والحسين وزين العابدين والباقر والصادق واسماعيل ومحمد بن اسماعيل".[٢٤]

ثالثا: التأويل الباطني: تتوقف العقيدة الاسماعيلية على معرفة الظاهر والباطن، وبصورة خاصة التاويل الباطني، وقد كان لتطور الاحوال الاجتماعية والسياسية تأثيره على تطور العقيدة الاسماعيلية واختلافهامن بلد الى أخر، وبذلك فقد ظهرت عقائدهم مختلفة ومتضاربة.

ان العبادة في التأويل الباطني نوعان، عملية ظاهرة تختص بفرائض الدين واركانه، وعملية باطنية تقوم على التاويل، وكانوا لايظهرون من عقائدهم الا ما كان متفقا مع العقائد السائدة، فقد أرادوا انه يكون مذهبهم في الفقه ومسائلها قريباً من المذهبين الشافعي المالكي، عدا ولاية الامام و وجوب طاعته.

واما الاراء السرية التي تجعل من الائمة الشيعة ألهة، فكانت تلقى في مجالس الدعوة برئاسة داعي الدعاة الاسماعيلي، وهذه الاراء السرية هي حصيلة علم الباطن، أي العبادة العلمية، ولا يعلم سرها الا الأئمة، وهم الراسخون في العلم. واذا كان الأنبياء قد اختصوا بالتنزيل، فقد اختصت الائمة وعلى راسهم علي بالتأويل، فهم ورثة العلم الالهي واصحاب اسرار الدين.[٢٥]

واما حقيقة نظرية التأويل الباطني عندهم فانها ترجع الى ان الله استودع معاني الدين في مخلوقاته التي تحيط بنا، فيتعين على الانسان بما في الطبيعة على فهم حقيقة الدين، وان المخلوقات منها ماهو ظاهر، ومنها ماهو باطن خفي، والظاهر يدل على الباطن، وان جسم الانسان يدل على نفسه، وهي باطنه ،وكل مايظهر من العبادة العملية من فرائض انها يدل على مايقابله من باطن لايعلمه الا الأئمة وكبار الدعاة.

وتجدر الاشارة الى ان الدعوة الاسماعيلية تختلف في مضمونها بين فارس واليمن ومصر والمغرب، وقد ظهر الاختلاف حسب تأويلات الدعاة، ففي اليمن ظهر الميل الى الغلو، وكذلك في فارس حيث يظهر التأليه الصريح للأئمة ورفع التكاليف الشرعية، فتاؤيل الصلاة عندهم هو الاتجاه القلبي نحو الامام، والصوم هو عدم افشاء اسرار الدعوة، والحج هو زيارة الامام وفي مصر ذهب الدعاة الى حد اعلان ذم الاراء الغالية امام الناس مع ايمانهم الحقيقي بها، وفي المغرب يتمسكون بعدم اذاعة هذه الاراء، ويكتفون بذكرها في كتبهم السرية الخاصة[٢٦]

رابعا: الحلول:-

من اخطر مباديء الغلو هو الحلول، ويراد به حلول الله ذاته او روحه في البشر، وقد ذهب القائلون به مذاهب مختلفة، فقد يكون الحلول بجزء، فهو كاشراق الشمس في كوة، او كاشراقها على البلور،اما الحلول بكل فهو كظهور شيطان بحيوان.[٢٧]

ذهبت الفرقة الاسماعيلية الى وقف الحلول على الأئمة باعتبارهم ألهة، فكانوا يدعون ألوهية الامام بنوع من الحلول، ومنهم من يقول ان كمال الايمان لايكون لغيره، فاذا مات انتقلت روحه الى امام أخر ليكون فيه ذلك الكمال.[٢٨]

خامساً: التناسخ ـــ هو عبارة عن رد الروح الى البدن غير البدن الاول.[٢٩] وان الاسماعيلية تؤمن بالتناسخ، ولكن الحقيقة انهم يقولون ان الأنسان يتحول جسمه بعد الموت الى ما يجانسه من تراب، واما نفسه او روحه فتصعد الى الملأ الاعلى، فاذا كان مؤمنا بالامام في حياته، فان نفسه تحشر مع الصالحين، وقد تصبح ملكاً مدبرا، وهذه هي الجنة، وان كان شريرا عاصياً للامام اومنكرا له حشرت روحه مع الأبالسة والشياطين اعداء الامام، وهذه هي النار، وهكذا نجدهم يؤلون الثواب والعقاب والجنة والنار.[٣٠]

ـ مراتب التناسخ ـ

تختلف درجات التناسخ والقائلين به، وفقا للفرق الاسماعيلية وهي:ـــ

١ـفرقة تجير مرور النفس في جميع الأجساد النامية، نباتية كانت ام حيوانية.

٢ـفرقة تجيز ذلك في الابدان الحيوانية.

٣ـ فرقة تجيز دخول النفس الانسانية في نوع الانسان اصلاً وهي فرقتان:

أ/ فرقة توجب التناسخ للنفس الشقية وحدها حتى تستكمل وتستعد فتتخلص من المادة .

ب/ فرقة توجب ذلك للنفسين الشقية والسعيدة، الشقية في ابدان تعسة، والسعيدة في ابدان ذوات نعمة وراحة.[٣١]

وتتلخص مراتب التناسخ في اربعة نقاط هي:

١ـالنسخ ٣ـالفسخ

٢ـالمسخ ٤ـالرسخ.

فاما النسخ فهو خروج الروح من جسم الانسان الى انسان آخر، وأما المسخ فهو خروج الروح من جسم الى جسم حيوان، والفسخ هو خروج الروح من جسم آدمي الى جسم حشرة من الحشرات، والقصد من الرسخ هو خروج الروح من جسم أدمي الى الشجرو النبات.

وان النوع الذى عمل به الغلاة هو ((النسخ والمسخ)). ومن الجدير بالذكر انهم من أجل ان يبقوا في دائرة الاسلام فقد أتو بآية اعتبروها دليلاً لما ذهبوا اليه((وما من دابة في الارض ولاطائر يطير بجناحيه الا انهم أمثالكم)).وقد فسروا الآية ((حتى يلج الجمل في سم الخياط))،تفسيرا خاصا، فقالوا ان النفس البرة لاتزال تترد من بدن الى بدن الطف منه حتى تصفو وتصفر بحيث تحصل في بدن دودة صغيرة تستطيع ان تنفذ في الابرة بعدما كان في بدن جمل.[٣٢]

ومن عقائدهم العامة الأخرى ان الانسان عاجز وليس قادرا في الوصول الى معرفة الله تعالى، وان العقل وحده يعرف ذلك، لذا تسمي الاسماعيلية العقل بالحجاب اوالصلة الاولى، ويقولون ان العلم من خواص العقل، وانه هو الذى يبدع النفس الكلية وخاصيتها الرئيسة في الحياة، ولبلوغ السعادة يجب على الانسان تحصيل العلم، ولا يمكن له ان يؤتي بذلك الا بحلول العقل الكلي في انسان وهو النبي، وفي الأئمة الذي يخلقونه.[٣٣]

ـ الفرق والطوائف الاسماعيلية ـ

أولا: القرامطة:ـــ

القرامطة حركة باطنية ثورية انقلابية فلسفية ذات تعاليم اشتراكية جديدة على العالم الاسلامي، اعتمدت على التنظيم السري والعسكري، ظاهرها التشيع لآل البيت والانتساب الى محمد بن اسماعيل بن جعفر الصادق، وكانت حقيقتها عكس ذلك، هو هدم الاخلاق والقضاء على الدولة الاسلامية، وسميت بهذا الاسم نسبة الى حمدان بن قرمط بن الاشعث الذى نشرها في سواد الكوفة سنة(٢٧٨ هـ).[٣٤]

نشأتها:ـــ بدأت الحركة بعبد الله بن ميمون القداح الذي نشر مباديء الاسماعيلية في جنوب فارس سنة٢٦٠هـ[٣٥]،ويقول النوبختي[٣٦] ان تسمية القرامطة بهذا الاسم تعود الى رئيس لهم من أهل السواد

كان يلقب ب(قرمطوية)، ويعتقدون بان الفرائض هي رموز واشارات، وامر بالاعتصام بالغائب المفقود، وأباحوا جميع الملذات والمنكرات، واستحلوا اعراض الناس بالسيف، وغير ذلك مما ينسب اليهم من الضلالات.

وذكر ابن الجوزي[٣٧] سببين في التسمية احدهما ان رجلا من خوزستان قدم سواد الكوفة، وأظهر الزهد ودعا الى امام من اهل بيت رسول الله، ونزل رجل يقال له (اكرميتة)، وتعني بالنبطية من كان (حاد العين)، فأخذه امير تلك الناحية فحبسه، وترك مفتاح البيت تحت راسه ونام، قرمت له جارية فاخذت المفتاح وفتحت الباب واخرجته وردت المفتاح الى مكانه، فلما طلب ولم يوجد شاع الخبر وزاد افتتان الناس به، فتوجه من هناك الى الشام، فانه سمي اول الاول بكرميته أي اسم الرجل الذي كان نازلا عنده، ثم خفف فقيل (قرمط) وتوارث مكانه اهله وأولاده. واما الثاني فأنه عرف بحمدان قرمط لقصر قامته وقصر رجليه وتقارب خطواته، وكان يقال له صاحب الحال، المدثر، المطوق.

ـ أهـــداف القرامطة ـ

١–القضاء على استغلال الانسان.

٢–نزع الملكية العقارية الفردية الواسعة، ومصادرة الايرادات الطائلة الخاصة لمصلحة الدولة.

٣–فرض الضرائب التصاعدية ومصادرة املاك المهاجرين والعصاة والغاء قانون مبدأ الوراثة.

٤–استصلاح الاراضي وفرض العمل الاجباري على جميع الافراد.

٥–اقامة نظام جمهوري ثوري يخضع لنظام مجلس خاضع للانتخاب الجماعي، والغاء نظام الاستئثار بين الطبقات.[٣٨]

ـ تطورالحركة وابرز شخصياتها ـ

اخذ الداعي الفرج بن عثمان القاشاني المعروف بـ(ذكرويه) بيث الدعوة سرا في العراق، وقام حمدان بن قرمط بن الاشعث بيث الدعوة جهرا سنة ٢٧٨ه قرب الكوفة، ثم بنى دارا سماها (دار الهجرة)، وجعل الصلاة خمسين صلاة في اليوم، وساعده في ذلك داعيته ذكرويه، وقد استخلف ذكرويه ابنه احمد بن القاسم الذي بطش بقوافل التجار والحجاج، وفي هذا الصدد ايضا فقد التف القرامطة حول الحسن بن بهرام الذي عرف بأبي سعيد الجنابي، والذي سار سنة ٢٨٣ الى البصرة، وقام بالأمر بعده ابنه سليمان المعروف بأبي طاهر الذي استولى على كثير من بلاد الجزيرة العربية، ودام حكمه اكثر من ثلاثين سنة، ويعد مؤسس دولة القرامطة الحقيقي ومنظم دستورها السياسي والاجتماعي، ومن اعماله الرهيبة:–

١–هاجم مكة سنة ٣١٩ه وفتك بالحجاج، وهدم زمزم، وملأ المسجد الحرام بالقتلى، ونزع الكسوة وقلع باب البيت العتيق، واقتلع الحجر الاسود وسرقه الى الاحساء، وبقى الحجر هناك عشرين سنة الى عام ٣٣٩هـ .

٢–استحل الكوفة عندما ملك ستة أيام في عهد المقتدر بالله العباسي الذي حكم من ٢٩٥–٣٢٠ه.[٣٩] ومن الشخصيات الاخرى للحركة، الحسن الاعصم شقيق ابي سعيد الجنابي، وقد قوى امره، واستولى على دمشق سنة٣٦٠ه، وبعدها توجه الى مصر، ودارت بينه وبين الخلافة الفاطمية معركة دامية، الأ انه خسر المعركة، وعاد الى الاحساء. الا ان القرامطة خلعوه بحجة دعوته لبني العباس، واسندوا الامر الى رجلين هما جعفر واسحق الذين توسعا في الحكم، ولم يلبث ان دب الخلاف بينهما فقاتلهما الاصغر التغلبي الذي ملك البحرين والاحساء وانهى حكم القرامطة.[٤٠]

معتقداتهم[٤١]

قرر القرامطة شيوع الملكية والمرأة، ولهم في ذلك حكايات كثيرة يمكن لمن يريد المزيد منها ان يرجع الى كتاب (الاسماعيليون في المرحلة القرمطية). واما عن معتقداتهم التعبدية فهي:—

الصلاة: يقولون من صلاها في العام مرة فقد اقامها، والصلاة والزكاة لهما باطن، لان الصلاة صلاتان، والزكاة زكاتان، والصوم صومان، والحج حجان، وماخلقه الله من ظاهر الادلة باطن يدل على ذلك.

الشهادة:— انهم اضافوا اسما اليها فقالوا: اشهد ان محمدا رسول الله واشهد ان احمد بن محمد بن الحنفية رسول الله.

القبلة: غيروا القبلة الى بيت المقدس، والحج الى بيت المقدس ولا غسل في الجنابة الا الوضوء كوضوء الصلاة. وان الانبياء كنوح وموسى وعيسى ومحمد وكل من ادعى النبوة كانوا اصحاب نواميس ومخاريق، أحبوا الزعامة على العامة فخدموهم.

يوم القيامة:— انكر القرامطة يوم المعاد وما يتصل به من حساب وجنة ونار، وقالوا بالحلول والتناسخ، وادعوا حلول الجزء الالهي في محمد اسماعيل، ومنهم من قال في ابي سعيد الجنابي.

ومن معتقداتهم ايضا القول بالعصمة، ومن تأويلاتهم، ان الصيام هو الامساك عن كشف الاسرار والبعث هو الاهتداء الى مذهبهم، والنبي هو الشخص الذي فاضت عليه من الاله الاول بقوة التالي قوة قدسية صافية وان القرآن هو تعبير محمد عن المعارف التي فاضت عليه، ومركب من جهته، وسمى كلام الله مجازا.

ويقولون بالرجعة، وان عليا يعلم الغيب، واذا تمكنوا من الشخص اطلعوه على حقيقتهم في اسقاط التكاليف الشرعية وهدم الدين. ويدعون الى مذهبهم اليهود والنصارى والمجوس والفلاسفة واصحاب المجون والملاحدة والدهريين ويدخلون على كل شخص من الباب الذي يناسبه.

ثانيا: الحشاشون:[٤٢] (Assassin):

طائفة اسماعيليه فاطمية نزارية شرقية، انشقت عن الخلافة الفاطمية، دعوا الى امامة نزار بن المستنصر بالله ومن جاء من نسله، اسسها الحسن بن الصباح الذي اتخذ من قلعة (ألموت) مركزا لنشر دعوته وترسيخ اركان دولته.

تميزت هذه الطائفة باحتراف القتل والاغتيال لاهداف سياسية ودينية متعصبة، ودخلت كلمة الحشاشيين باشكال مختلفة في الاستخدام الاوربي، فقد جاءت بمعنى القتل خلسة اوغدرا، او بمعنى القاتل المحترف المأجور.

—الشخصيات البارزة—

١—الحسن بن الصباح: ولد بالري عام ٤٣٠ هـ، نشأ نشأة شيعية، اتخذ الطريقة الاسماعيلية الفاطمية وعمره (١٧) سنة، وذهب الى امامه المستنصر بالله حاجا في عام ٤٧١ هـ ١٠٧٨م، وعاد بعد ذلك ينشر دعوته في بلاد فارس، واحتل عددا من القلاع، اهمها قلعة (الموت) التي اتخذها عاصمة له.[٤٣]

دعا الى امامة نزار، مدعيا ان الامامة قد انتقلت الى حفيد لنزار احضر سرا الى (الموت) حيث جرى تهريبه من مصر الى فارس، أو ان محظية لنزار كانت حاملا منه اخذت الى (الموت) حيث وضعت حملها وبقي أمر هذا الامام الجديد طي السرية والكتمان.[٤٤]

٢—كيابزرك اوميد: خلف الحسن الصباح عام ١١٢٤/٥١٨، كان قائدا لقلعة (لاماسار) في اول امره لمدة عشرين سنة، ودخل في معارك عدة مع جيرانه السلاجقة، وكان اكثر تسامحا وسياسة من الحسن بن الصباح، وتوفي سنة ٥٣٢ هـ /١١٣٨م.[٤٥]

٣—محمد بن كيابزرك اوميد: خلف أباه سنة٥٣٢، ودام حكمه الى سنة ١١٦٢م، اهتم بالدعاية للامام، وفرض الاحكام للفرائض الاسلامية، اقدم على قتل كثير من اتباعه ممن اعتقدوا بأمامة ابنه، وطرد وعذب الاخرين.

٤—الحسن الثاني بن محمد: خلف أباه، استمر في الحكم الى ١١٦٦، فقد اعلن في شهر رمضان ٢٩٩هـ قيام القيامة وأنهى الشريعة، واسقط التكاليف واباح

الافطار، واقدم على خطوة اخطر من ذلك، فقد ادعى بانه من الناحية الظاهرية حفيد كيابزرك، الا انه في الحقيقة امام العصر وابن الامام السابق من نسل نزار.

٥–محمد الثاني بن الحسن الثاني: ٥٦١–٦٠٧/١١٦٦–١٢١٠م: طور نظرية القيامة ورسخها، وساعده في ذلك انحلال السلطة السلجوقية في عهده، وظهور التركمان وبداية التوسع التركي الخوارزمي.

٦–الحسن الثالث جلال الدين بن محمد الثاني: ٦٠٧–٦١٨هـ/١٢١٠–١٢٢١م: يختلف عن ابائه وأجداده فقد رفض عقائدهم في القيامة ولعنهم وكفرهم، واحرق كتبهم، وجاهر باسلامه، وقام بوصل حباله مع العالم الاسلامي، فقد ارسل الى الخليفة العباسي الناصر لدين الله، والى السلطان الخوارزمي (خوارزم شاه) ولامراء في عهده يؤكد لهم صدق دعوته الى التعاليم الاسلامية، وقد ابدى هولاء فرحهم بذلك، وصار اتباعه يعرفون بالمسلمين الجدد.

٧–محمد الثالث علاءالدين محمود بن الحسن الثالث: خلف اباه وعمره تسع سنين، حكم اربع سنوات من ١٢٢١الى ١٢٢٥، ونظرا لصغر سنه فقد بقي وزير ابيه حاكما لألموت، وعاد الناس في عهده الى المحرمات وارتكاب الخطايا والالحاد، وانتشرت السرقة واللصوصية وقطع الطرق، والاعتداءات في عهده.

٨–ركن الدين خورشاه (١٢٥٥–١٢٥٨م):

ظهر في عهده القائد المغولي هولاكو الذي قاد حملة هدفها القلاع الاسماعيلية، فاستسلم له ركن الدين وسلمه قلعة الموت سنة٦٥٤ه/١٢٥٦م، واحتل المغول اربعين قلعة وحصنا اسماعيليا، وسويت جميعها بالأرض، الا ان هولاكو استقبله وزوجه من فتاة مغولية، وقتله في ١٢٥٨م، وبقتله انتهت دولة الحشاشين الاسماعيلية في بلاد فارس.[٤٦]

ثالثا: الدروز:–

طائفة سرية من اتباع محمد بن اسماعيل الدرزي، قيل انه تركي الاصل، وقيل انه من بلاد فارس، وافق الحاكم بامر الله الفاطمي في دعواه للالوهية، ودعا في احد مساجد القاهرة بألوهية الحاكم والايمان به وعبادته[٤٧] الا ان الدروز لعنوا هذا الرجل واخذوا ينسبون انفسهم الى حمزة بن علي الزوزاني الفارسي الملقب بالهادي، والذي كان من خاصة الحاكم بأمرالله، وكان له الحظوة عنده، ولقب بالدرزي ايضا، وهو كبير دعاة الحاكم بامرالله، استدعاه سنة ٤٠٨هـ وامره بالذهاب الى الشام لاستلام رئاسة الدعوة الاسماعيلية هناك، ومنحه لقب (السند الهادي) وطلب منه ان يجعل من التيم مقرا له.[٤٨]

لم يعترف الدرزي بوفاة الحاكم بأمرالله ليلة ٢٧ شوال ٤١١هـ، واعلن ان وفاته لم تكن سوى نوع من الغيبة لتخليص أنفس المريدين من الاوهام، وانه سيعود الى الظهور حالما يصل الظلم في العالم غايته، فعندئذ يفتح الباب ويقضي على جميع الاديان الاخرى. وبقي متمسكا بامامته، منتظراً دعوته من تلك الغيبة، واعلن انفصاله عن الاسماعيلية. وبذلك يعد حمزة بن علي الدرزي المؤسس الحقيقي لمذهب الدرزية. وانهم يختلفون ويفترقون عن الاسماعيلية في انهم زعموا ان الامامة انتهت بالحاكم بأمر الله.[٤٩]

للدروز مراتب وهي:

١–العقال: وهم الملمون بعلوم الدين، ويلازمون الصلاة التي تنتهي كل ليلة جمعة من كل اسبوع.

٢–الاجاويد: وهم الذين لا يأكلون في المآتم والافراح، ولايأخذون أجرا مقابل اعمالهم، بل يقومون بها حسنة لوجه الله، والعاديون منهم ملمون بشؤون دينهم، ومن المثابرين على صلاتهم وعبادتهم دون ان ينقطعوا عن الناس.

٣–الجهال: وهم الذين يتناولون المسكر والمدخن، ولايسمح لهم بالصلاة مع الاتقياء منهم.

٤–طبقة المنزهين: وهم اهل الزهد والورع، ومنهم من لايتزوج، ومنهم من يصوم الدهر، ومنهم من لايذوق اللحم ولايشرب الخمرة.[٥٠]

ـ الهـــوامـــش ـ

١–عبد القاهر البغدادي: الفرق بين الفرق، دار المعرفة. بيروت ص٢٦٥ (١٩٧٧)، عرفان عبدالحميد. دراسات في الفرق والعقائد بغداد.ص٥٨؛احمد امين: فجر الاسلام ط٩(١٩٦٤).ص٢٧٣.

٢–عبدالرزاق محمد اسود:المدخل الى دراسة الاديان والمذاهب. المجلد الثاني بيروت ـــ ص٣٣٤.

٣الكرماني: الفرق الاسلامية، تحقيق عبدالرسول سليمة ـــ بغداد ١٩٧٢ص٤٩.

* ظهر مزدك سنة٤٨٧ في نيسابور ببلاد فارس، اقر شيوعية المال والنساء، وتوفي (قتل)سنة ٥٢٣هـ. (د. محمد علي ابو ريان): تاريخ الفكر الفلسفي في الاسلام، دار النهضة العربية. مصر ١٩٧٦.ص٧٩ــ٨٠.

٤–الكرماني: الفرق.ص٥١.

٥–نفسه.ص٥٢ــ٥٣.

٦برنارد لويس: اصول الاسماعيلية. ترجمة خليل احمد.مصر.١٩٧٨ ص٧٩.

** هو محمد بن ابي زينب الاجدع الاسدي. ادعى بان الامام جعفر الصادق جعله وصيه وعلمه اسم الاعظم، وقال بانه نبي مرسل.(محمد الحسين كاشف الغطاء: أصل الشيعة واصولها. مؤسسة الامام علي.١٤١٥. قم. ص١٧٢.).

٧ الشهر ستاني: الملل والنحل. دار المعرفة.بيروت ٢٠–٢٩.

** هو محمد بن ابي زينب الاجدع الاسدي. ادعى بان الامام جعفر الصادق جعله وصيه وعلمه اسم الاعظم، وقال بانه نبي مرسل.(محمد الحسين كاشف الغطاء: أصل الشيعة واصولها. مؤسسة الامام علي.١٤١٥. قم. ص١٧٢.).

٨ –اصول الاسماعيلية.ص١٠٦.

٩– نفسه.ص١٠٩ــ١١٠.

١٠ – برنارد لويس: الدعوة الاسماعيلية الجديدة (الحشاشون).ترجمة د.سهيل زكار.بيروت "١٩٧١".ص٤٠، الندوة العالمية للشباب الاسلامي: الموسوعة الميسرة في الاديان والمذاهب ط٢.الرياض.١٩٨٩.ص٦٩؛ علي بن محمد: تلخيص البيان في ذكر فرق أهل الاديان تحقيق رشيد البندر.ط٢. دار الحكمة لندن.ص١٧٢

١١ –عبدالله سلوم السامرائي: الغلو والفرق الغالية في (الحضارة الاسلامية. بغداد "١٩٧٠"ص٢٨٧ــ ٢٨٨

١٢ – الدعوة الاسماعيلية الجديدة.ص٤٣ــ٤٤.

١٣ الموسوعة الميسرة في الاديان.ص٥١ــ٥٢.

١٤ حسن امين:الاسماعيليون والمغول ونصرالدين الطوسي. مطبعة الباقري.ط٢.بيروت "١٩٩٧".ص٨٥ــ٨٦.

١٥ الدعوة الاسماعيلية الجديدة.ص٤٩.

١٦ نفسة.ص٥٠.عبدالرزاق محمد اسود:المرخل.٣/١٠.

١٧ عبدالرزاق محمد اسود:المرخل.٣/١٠.

١٨ (١٨ــ١٩)نفسة ٣/١١ــ١٢.

١٩

٢٠ اصول الاسماعيلية.ص١٢٦.

٢١ الموسوعة الميسرة.ص٤٩.

٢٢ الحسن بن موسى النوبختي: فرق الشيعة. المطبعة الحيدرية. النجف الاشرف ١٩٧٥.ص٧٥؛ الكرماني:الفرق الاسلامية.ص٥١.

٢٣الفرق الاسلامية ص٥٠؛ علي بن محمد القمري: تلخيص البيان في ذكر فرق أهل الاديان، تحقيق د.رشيد البندر دار .الحكمة.لندن ١٩٧٨.ص١٢٠.

٢٤ ٢٤–المدخل: ٣/١١

٢٥(٢٥ــ٢٦):نفسه.

٢٦

٢٧الغلو والفرق الغالية في الحضارة الاسلامية.ص١٢٠.

٢٨ (٢٨ــ٢٩)نفسه.ص١٢٧ــ١٢٩.

٢٩

٣٠ الموسوعة الميسرة.ص٥٠.

٣١ الغلو والفرق الغالية.ص١٣٠.

٣٢ نفسه.ص١٣١

٣٣دائرة المعارف الاسلامية. طبعة طهران.٢/١٩٣.

٣٤ الموسوعة الميسرة.ص٣٩٥؛المدخل٣/١٧؛ولزيادة المعلومات ينظر:سامي العياش:الاسماعيليون في المرحلة القرمطية.بيروت ١٩٨٥.ص١٢٥،ومابعدها.

٣٥ المدخل٣/١٩

٣٦ فرق الشيعة.ص٧٢.

٣٧–عبدالرحمن بن الجوزي البغدادي: تلبيس ابليس.بيروت. دار الكتب العلمية "١٩٧٨".ص١١٠.

٣٨ المدخل.٣/١٩.

٣٩ لزيادة المعلومات ينظر:الاسماعيليون في المرحلة القرمطية.–

٤٠ نفسه.

٤١ الموسوعة الميسرة.ص٣٩١؛ عبدالقاهر البغدادي: الفرق بين الفرق.ص٢٢؛الشهر ستانى ١/١٦٧.

٤٢ الدعوة الاسماعيلية.ص٥٢؛الموسوعة الميسرة.ص٢٠٣.

نفسه؛ الموسوعة الميسرة.ص٢٠٤.

٤٣ الموسوعة الميسرة.ص٢٠٤.

٤٤ الدعوة الاسماعيلية الجديدة.ص٨٣.

٤٥ نفسه؛ الموسوعة الميسرة.ص٢٠٤.

٤٦نفسه.

نفسه.٣/٢٦.

٤٧ محمد عبدالله عثمان:الحاكم بامر الله واسرار الدعوة الفاطمية.القاهرة؛١٩٧٠.ص٢٠٠.

٤٨ المدخل.٣/٢١.

٤٩ نفسه.٣/٢٢.

٥٠ نفسه.٣/٢٦.

بقلم: احمد شريفي

تاريخ ملوك الشوانكاره

شوانكاره أو شبانكاره من القبائل الكردية الكبيرة وان ولاية "دارا بجرد" تقع في أبعد نقطة شرقي الولايات الفارسية الخمس وان جميع سكانها من الأكراد تقريبا وقد انفصلت عن فارس في عهد المغول واسسوا دولة مستقلة بها وفي عهد السلجوقيين فان قبيلة شوانكاره وسائر الأكراد اشتركوا في الحرب مع الأتابك "جاولى" وتغلبوا عليه.

ويعد انتهاء حكم السلجوقيين أستولت القبيلة المذكورة على الجهة الشرقية من ولاية فارس وسميت المنطقة باسمها ذكر"ماركو بولو"ولاية شوانكاره باسم"سنگاره"في كتابه و وفق تقسيم أجراه هو فهي الولاية السابعة من الولايات الثماني في إيران.[٢]

شوانكاره اسم ولاية في فارس وان مذويتها تسمى "داراب كرد" وكان ملوك الشوانكاره رجالا عظماء[٣] وان عضو الدين الذي عاش في القرن الثامن الهجري كان واحدا من أولئك الرجال العظام[٤] ومنهم أيضا: محمد على الشبانكاره ــ عمر الشبانكاره ــ الشيخ شمس الدين كمالي الشبانكاره ــ محمد بن محمد ــ الخواجه غياث الدين ــ والخواجه سيف الدين الشبانكاره... كان هذا الاخير من ضمن وزراء السلطان حسين في هرات وقتل بأمر منه يقول شاعر في هذا المجال:

انظر إلى هذا العالم الظالم ــ انظر في قيادة هذا المصاص للدماء

واذهب وجرب في حالة صانعي ــ وانظر ما أل إليه مظفر الشبانكاره٥

كتب ابن بلخي حول الشبانكاره ما يلي:

(في أواخر عهد الديلم وعندما انتهى حكم الفضلوية ظهر نجم سعادة الشبانكاره وأستمر تقدمهم إلى أن اصبح الكثير منهم أصحاب جيش وسلاح أملاك ((٦)) هناك كتابان حول ملوك الشبانكاره باللغة الفارسيه أحدهما كتاب "مجمع الأنساب شبانكاره" والذي أشرنا إليه في الحلقة السابقة وثانيهما كتاب "تأريخ ملوك شبانكاره" الذي ألفه معين الدين نطنزي خلال أعوام ٨١٦–٨١٧ هـ. يشير إلى الوقائع والحوادث التي جرت في عهد المؤلف كتكملة لكتاب مجمع الأنساب ويتحدث عن ملوك الشبانكاره وهرمزيان وأتابك لرستان. يوجد من هذا الكتاب ثلاث

نسخ في لندن–لينتغراد–تبريز[٧]. كتب المؤلف كتابه في شيراز ويتضمن معلومات جديدة حول إيران الجنوبية بالإضافة إلى كل ما ورد في كتاب مجمع الأنساب لمحمد بن علي الشبانكاري ويضيف إليها معلومات قيمة (٨) ثم يأتي على ذكر طبقة من ملوك الشبانكاره– طبقة ملوك هرمز–طبقة ملوك لرستان– طبقة أولاد محمد مظفر وتأريخ المغول. إن كتاب تأريخ ملوك الشبانكاره أو منتخب التواريخ قد نشر في إيران مع مقدمة المستشرق الفرنسي (ژان اوبن) لأول مرة في عام/١٣٣٦ هـ.ش.

يقول المؤلف لدى التحدث عن ملوك الشبانكاره ما يلي:

"كان ملوك الشبانكاره عبارة عن طائفتين: طائفة قبل مقدم المغول وطائفة بعد مقدمهم وكانت الطائفة الأولى متكونة من خمسة أشخاص كان آباؤهم وأجدادهم قادة "باب الدشت" في اصفهان أولهم: نظام الدين حسن بن إبراهيم وبن خسرو–هرمز–بن نوشيروان بن قباد الذي خرج من اصفهان مع مئتى مقاتل من أعوانه وتوجه إلى "خوشناباد" واحتل تلك المنطقة وحيث أن حكم الديالمة، كان آيلا إلى السقوط استطاع نظام الدين حسن من الاستيلاء على دار الملك شيراز" ص٢ من الكتاب" أخر حكام الطائفة الأولى من الشبانكاره هو مظفر الدين ورغم انه كان في التسعين من عمره إلا انه اشترك في الحرب مع المغول عام /٦٥٨ هـ واستشهد في ساحة المعركة.

أما أفراد الطائفة الثانية من ملوك الشبانكاره والذين حكموا قبل مجيء المغول فقد كانوا أثني عشر شخصا أولهم: الملك قطب الدين مبارز بن مظفر الدين محمد وأخرهم: تاج الدين جمشيد وبشكل عام ففي مدة (٢٣٧) عاما كان الحكم بيد أبناء عمومة الشبانكاره (ص١٠ من الكتاب) ثم يشرع المؤلف بذكر ملوك الهرمز أولهم الملك العادل– ركن الدين أبو المكارم محمود (قلاتي) والذي ترجع إليه سلسلة أولاده ولقد كان ملكا خيرا وذا رأي صائب ومدبرا للأمور وكان يبذل جهوده من أجل الاستمرار على ملكه والجاه والمنصب (ص١٠ من الكتاب) وتولى الحكم بعده: الملك قطب الدين، الملك سيف الدين، الملك تاج الدين، الملك بهاء الدين أياز وبعد وفاة الملك بهاء الدين اياز تولى الحكم الملك عز الدين كردان شاه وابنه قطب الدين ولقد كان الملك عز الدين كردان شاه رجلا ذا رأي صائب وكان يتبع سياسة المودة مع ملوك الشبانكاره (ص١٥ من الكتاب)ثم يصل الدور إلى الملك قطب الدين بهمن كردان شاه وأخر ملوكهم كان الملك بهمن شاه الذي تربع على كرسي الحكم عام ٨١٦–٨١٧هـ (ص١٩ من الكتاب).

يذكر معين الدين نطنزي مؤلف كتاب تأريخ ملوك ألشبانكاره عند ذكر طبقات ملوك لرستان، بأن ولاية لرستان كانت وسيعة جدا وقسموها إلى قسمين: اللر الكبرى واللر الصغرى (ص٣٧من الكتاب) وحول تسمية اللر هناك أراء مختلفة من جملتها: انه في لغة اللر يقال للجبل كثير الأشجار: اللر (ص٣٥) يشير مؤلف الكتاب عند ذكر ملوك اللر نقطة مهمة وهي أن قبيلة شولان اوالشول جزء من قبيلة الروزبيانية (ص٣٨) ويعتبر "سيف الدين مها كان" الروز بياني زعيما لقبيلة شولان وعندما يأتي على ذكر اللر الصغرى يذكر قبيلة الروزبيانية وزنگنه ويعتبرها من جملة العشائر القاطنة في اللر الصغرى (ص٥٣) وان طبقة اتابك اللر الصغرى والكبرى تبدأ من نصيرالدين محمد بن هلال من عام (٣٠٠) هـ وحتى عام (٨١٥) هـ ويصل في هذا العام "سيدي احمد بن الملك عز الدين" إلى الحكم ونظرا لما كان يتمتع به من غباء وبلاهة فأنه لم يتمكن من عمل أي شيء (ص٦٧) وهكذا تنقرض سلسلة اتابك لرستان بهذا الشكل.

المصادر:

١–هژار–فەرهنگی هەمبانه بورینه–ص٤٧٥

٢–لسترنج–گای. "جغرافیای تأریخی سرزمین های خلافت شرقی" ترجمة محمود عرفان ص٣٠٩ طهران / ١٣٦٤هـ.ش.

٣ پادشاه–محمد فرهنگ أنندراج ج٤ ص٢٥٨٠ طهران / ١٣٣٥ هـ.ش.

٤–ابن بطوطه–سفرنامه–ج٢ ص٥٢٧.

٥–مجلة المجمع العلمي الكردي ج٨ ص١٩٥ بغداد /١٩٨١

٦– ابن البلخي–فارس نامه–بأهتمام گای لسترنج ورينولد نيكسون ص١٦٤ الطبعة الثانية طهران/١٣٦٣ هـ.ش.

٧–تأريخ ملوك الشبانكاره بمقدمة ژان اوين ص/ب طهران / ١٣٣٦هـ.ش.

٨ –نفس المصدر السابق .

ترجمة: حمه صالح

مجمع الأنساب وقبيلة شوانكاره الكردية

بقلم: احمد شريفي

يعتبر محمد بن على شوانكاري من المؤرخين الكرد حيث ألف كتابه: "مجمع الأنساب" عام ٧٣٣ الهجري والذي يبحث عن الكرد الشوانكاره والكرد اللر وملوكهم. من المفيد قبل أن نتحدث عن هذا الكتاب القيم أن نلقي نظرة خاطفة على وجود الكرد في أقاليم فارس وكرمان جنوبي إيران.

تحدث العديد من المؤرخين والرحالة من المسلمين وغيرهم عن تواجد إعداد كبيرة من العشائر والقبائل الكردية في جنوبي إيران يعتقد أن أولى مجموعة من هؤلاء هاجرت إلى جنوبي إيران وإقليم بارس في أواخر أعوام حكم استپاكشاه " المـاد ٥٨٣-٥٤٩ ق-م بمحض أرادتهم أو اجبروا على الرحيل إلى تلك المنطقة. زوج استباك ابنته" ماندانا إلى كمبوجيه الهخامنشي عام ٥٨٣ ق.م ونقلت الملكة إلى ارض بارس فمن الممكن القول بأن تواجد اولى مجموعة من الكرد يعود إلى ذلك العهد حسب عادة الكرد كان من الواجب آن تتوجه مجموعة من الخدم والحشم والأقرباء مع الملكة المادية إلى ولاية العريس وقد بقوا هناك إلى أن دخل الكثير منهم الجيش والبلاط الحكومي في دولة الهخامنشي واصبحوا يتولون المناصب الحساسة والكبيرة في تلك الدولة ونستطيع اليوم رؤية صورة عديدة عن زعماء الماد في تخت جمشيد.

وبعد سقوط الهخامنشي والتغيرات في تأريخ إيران حافظ الكرد على تواجدهم في الولايات الجنوبية من إيران إلى أن أسسوا دولة الساسانيين يقول المؤرخ الإسلامي الطبري في هذا المجال ما يلي:

"عندما استطاع اردشير بابكان تولي الحكم في فارس وأغتصب القدرة من يد "أردوان" الخامس أخر

ملوك الأشكانيين كتب أردوان وبغضب رسالة إلى اردشير جاء فيها: لقد بسطتم رجلكم اكثر من بساطكم وطابقتم موتكم بأنفسكم أيها الكردي الذي تربيتم داخل خيم الأكراد من هو الذي أعطاكم الأذن لتتربع على كرسي الحكم وتضع التاج على رأسك؟ ولقد كان ساسان والد بابك وجد أردشير من زعماء القبائل الكردية الشوانكاره وبنى[1] معبد "أنا هيتا" في "اسطخر" وتزوج من "أرام بهشت" بنت "كوجهر" رئيس قبيلة "بارزنكي" الكردية و ولد بابك ثمرة هذا الزواج حيث اصبح مؤسس سلسة الساسانيين واستولى على أسرة بارزنكي واستلم الحكم منهم.[2] يذكر الأصطخري في كتابه المسالك والممالك الكثير حول مدن وقرى الكرد ومناطق نفوذهم ويعتبرها مملكة واحدة[3] ويعرف ابن حوقل الأكراد بأنهم أصحاب مدن وقرى.[4]

يذكر "برتولد اشبولر" في كتابه : (ايران في القرون الأسلامية الأولى) مايلي:

كان اكبر مركز لتجمع هؤلاء –الكرد– حتى في عهود ماقبل الإسلام في مناطق مختلفة من فارس وحسب ما نقل فأن خمسين ألف خيمة وفي كل خيمة حوالي عشرة أشخاص كانت متواجدة في المناطق الخمسة الموسومة "بزموم الأكراد" حول مدينة "شابور" والقسم الموسوم باسمهم شوانكاره.[5]

يذكر اكثر السياح والمؤرخين الإيرانيين والعرب في القرون الأولى من العهد الإسلامي عن الكثافة السكانية للأكراد في ولاية بارس.[6] يتحدث ابن حوقل عن (٣٣) قبيلة كردية قاطنة ولاية فارس ويقدر عددها بأكثر من خمسمائة ألف عائلة ويقدر أن لكل طائفة منهم اكثر من ألف مقاتل[7] من الخيالة. يقول المقدسي في احسن التقاسيم: ان عدد طوائف الكرد في فارس هو ثلاث وثلاثون طائفة.[8] ويقدر ياقوت الحموي في كتابه "معجم البلدان" أن قوة جيش الفرس كانت من الكرويغد آن ظهر السلجوقيون فقد حافظ الكرد الشوانكاره على استقلالهم من عام ٤٢١ وحتى ٤٧٥ هـ خصص المؤرخ الكردي الشهير الأستاذ "جميل الروزبياني" في مقال له بعنوان (الأمراء الكرد الشوانكاره[10] في فارس واصفهان) قسما كبيرا من مقاله للبحث عن ملوك وزعماء وعلماء الكرد الشوانكاره ويعتقد أن هذه العشيرة الكردية كانت من اتباع الديانة (مزدينا)[11].

وفي هذا المجال فأن أهم مصدر تأريخي موجود في الوقت الحاضر هو كتاب "مجمع الإنساب للشوانكاره" من تأليف محمد بن علي بن محمد بن حسين بن أبي بكر الشوانكاريي الذي كان من شعراء وكتاب ومداحي الخواجه غياث الدين محمد رشيدي والذي ولد حوالي عام ٦٩٧ هـ في واحدة من مناطق الشوانكاره وألف كتابه مجمع الأنساب عام ٧٣٣ هـ[12].

يتضمن الكتاب معلومات قيمة حول قادة جنوبي إيران في القرن السابع الهجري يتضمن (١٦) اسرة وسلسلة يذكر من بين هؤلاء قادة السامان وملوك الشوانكاره والأتابك الكرد وتكمن الأهمية الخاصة لهذا الكتاب في تأريخ كردستان في أن هذا المؤلف قد سبق شرفخان البدليسي (٩٤٩–١٠١١) هـ في ذكر تأريخ قسم من الملوك الكرد بالإضافة إلى انه يفند تلك الأراء التي كانت تعتقد بأن كلمة كردستان قد وردت لأول مرة من قبل حمدالله المستوفي القزويني عام ٧٤٠ هـ حيث ان مجمع الأنساب اورد اسم كردستان خمس مرات وقد الف كتابه عام ٧٣٣هـ ومن جهة اخرى فأنه يعتبر اللر واتابك لرستان من اكراد الشام.

ومن الضروري الأشارة الى نقطة أخرى ايضا وهي ان قبيلة شوانكاره الكرد التي يعتبرها مجمع الأنساب من الأسرة الساسانية قد عاد قسم منها في قرون تالية

الى غربي ايران واختلطوا بقبيلة الجاف الكبيرة والقوية ومع هذا فان قسماً منها يتواجد حاليا في منطقة شوانكاره في غربي كرمنشاه وقسم اخر منها يتواجد في شهرزور ودربنديخان.

بالأضافة الى محمد بن علي الشوانكاره فأن معين الدين نطنزي ايضا الف كتابا بعنوان: (تأريخ ملوك الشوانكاره) عام ٨١٧ هـ (١٣) وسوف نتحدث حوله في الاعداد القادمة من هذه المجلة بأذن الله.ورد في المصدرين المذكورين اعلاه بحث عن قبيلة باسم شول كتب مصحح مجمع الأنساب (هاشم محدث) نقلا عن قاموس (دهخدا) مايلي:

شول اسم قبيلة من قبائل فارس لم يتحدث المؤرخون الأسلاميون عنها ولكن نجم الدين الذي كان من أحفاد تلك القبيلة كان يحكم هذه المنطقة في عهد حمدالله المستوفي[١٤] ويعتقد المرحوم "حبيب الله نوبخت" في كتابه "الشاهنامة" بأن شول من القبائل الكردية التي توجهت من غربي ايران بمعاونة "رستم فرخزاد" رئيس الأركان الأيراني الى الجنوب ويقول:

(زكردان شاهين وراندوشول. فراوان بيامدسوى ديزفول.) ويعني: ان كثيرا من اكراد شاهين وراند وشول توجهوا الى ديزفول.

ومما تجدر الاشارة اليه أن محمد شوانكاره قد صاغ كتابه مجمع الأنساب بأسلوب انشائي رائع وجميل نورد ادناه نموذجا حول الأتابك والملوك الكرد:

"الوجبة الرابعة من ملوك الأطراف وهم الأتابك وأصلهم من اكراد الشام"

رغم أنه لايوجد ذكر للملوك الكرد مكتوبا ومسطورا في أي مصدر الا أنه وحيث انهم من الملوك الكبار وأن الأثار المتبقية عنهم مشهورة واليوم لم يبق في أي بلد ملوك قدماء ولكن اسرتهم باقية لحد الأن لديهم نفس المراسيم الموجودة لدى ملوك ايران وان علو همتهم ومرتبتهم اظهر من الشمس، اصبح من الواجب تقرير ماوصل الى سمعنا بصورة مختصرة اما احوالهم التفصيلية فأننا نؤجلها الى الأيام القادمة عندما تتوفر لدينا.

ولقد وردنا من المعتمد بن صادقي القول بأن اصلهم من اكراد الشام و ورد في التأريخ انه كان هناك امير بأسم "علي" خرج على حكم "فضلويه" مع مأتين من رجاله ونزل في حدود ولاية شولستان وعندما علم امير شولان بأن الأمير ومأتي رجل من أعوانه نزلوا في حدود ولايته اصابه القلق من ذلك وقال لأتباعه: علينا أن نطرد هؤلاء قبل ان يسببوا لنا المشاكل فأخذ عددا من رجاله وهاجم مخيم الأمير علي وكان الأمير في ذلك الوقت منشغلا بأداء الصلاة حيث كان رجلا متدينا سنيا ذا انصاف فقطع المهاجمون حبال خيمهم وجرحوا عددا منهم وغادروا وعندما انتهى الأمير من الصلاة توجه الى اتباعه قائلا: الاتستحون هل انتم نسوة؟ فأجابوه بأنهم لم يكونوا قد تلقوا الأوامر بالتحدي لهم. وفي اليوم التالي ركب الامير على حصانه وتوجه مع رجاله المأتين وهاجم الشول وقتل اميرهم نجم الدين واستولوا على ولاية شول. ويروى هنا ان زوجة الأمير "علي" وقبل التوجه الى الهجوم على ولاية شول قد اصطحبت معها كيسا مملوءا بالصبغ الأحمر وقالت: اذا انهزم أي واحد من ساحة المعركة فأنني اصبغ وجهه بهذا الصبغ الأحمر كيلايدعي الرجولة بعد ذلك ابدا. وهكذا تقدم الأمير صوب ممالك اللر وبدأ بالاستيلاء عليها مدينة بعد اخرى وقرية بعد قرية الى ان استولوا على المنطقة بأسرها.

كان للأمير "علي" أربعة أبناء شجعان: عماد الدين، تكينتاش، شمس الدين ألب والأمير تكله أرسل ابنه تكينتاش" الى اتابك فارس حيث كانت حكومة اللر تابعة لأتابك فارس وارسل ابنه عمادالدين الى

العراق الى السلطان (جلال الدين منكبرني ابن السلطان محمد خوارزشاه) وبقي الأمير علـى نفسـه في لرسـتان وعندما وصل نبأ استيلائه علـى مملكـة اللـر الى بغداد دار الخلافـة جهز الخليفـة (الناصر لديـن الله) جيشـا بقيادة رجل تركي اسمه "ايبـاك" مـع ثلاثـة ألاف من الجنود فتصدى لهم الأمير رغم قلة عدد جيشـه ودحر ايباك وجيشه وغنم مغانم كثيرة من جيش الخليفة من ذهب وفضة فاصبح رجاله اغنياء جدا وهكذا اصبح الأمير ملكا علـى كردسـتان ويقال انـه وبعـد ان بقي تكيفتاش" لمدة في فارس مع اتابك فارس واختبره من كافة الوجوه طلب منه أن يمنحه جائزة فأعطاه حكـم لرستان.

بقي الحكم من اولاد الأمير علي وعندما توجـه هولاكو الى العراق اخذ معه الأمير "تكلـه" الى هنـاك فقتل الأمير اثناء الحرب فأعطى هولاكو حكـم اللـر الي أخيه (شمس الدين الب) ومنه انتقل الى ابنـه الأتـابك ركن الدين يوسف شاه ومنه الى ابنه افراسياب حيث تمرد هذا الأخير على ملك الشوانكاره وأصبـح ملكـا في مكانه.

المصادر

[1] -- ابن الأثير-الجزيرى عزالدين علي- تأريخ كامل (تأريخ الأسلام وأيران) ترجمة ابي القاسم حـالت ج ٢ ص١٩٢ وتأريخ الطبرى ج ٢ص٥٧.

[٢] --ياسمي گوران-رشيد "كردو پيوستگى نژادى او" ص١٦٥--١٧٥ طهران ١٣١٧.

[٣] --الاصطخـري-ابـو اسـحق ابراهيـم-المسـالك والممالك باهتمام ايرج افشـار ص١٨٦ طـهران/ ١٣٤٧ هـ.ش.

٤ --ابن حوقل "سـفرنامه" ترجمـة د. جعفـر شـعار ص٣٩ طهران / ١٣٦٦ هـ.ش.

٥ --اشـبولر برتولـد "ايـران درنخسـتين قـرون اسلامي" ترجمة جواد فلاطوري ص٢٣٧-٢٣٨ طهران ١٣٤٩ هـ.ش.

٦-المأخذ العدد ٤ ص٤٠

٧ --نفس المصدر

٨ --خاندان طاهري ص٣٥٦.

٩ --ابو الفـداء-تقويـم البلـدان-ترجمـة عبدالحميـد أيتي ص٣٧٩ طهران/ ١٣٤٩ هـ.ش.

١٠ --المأخذ العدد ٢ص١٩٢.

١١ --مجلة المجمع العلمي الكردي العدد ٨ ص١٥٨-١٥٩ بغداد ١٩٨١.

١٢- شـوانكارهيى - محمـد بـن علـي محمـد-مجمـع الأنساب-تصحيـح هاشـم محـدث ص٦ طـهران/١٣٦٣ هـ.ش.

١٣ --نطنزي-معين الدين- ملوك الشوانكاره.

١٤ --المأخذ العدد ١٢ ص٢٠٦

صلاح مسلم

حول ببليوغرافيا محي الدين زنگنه

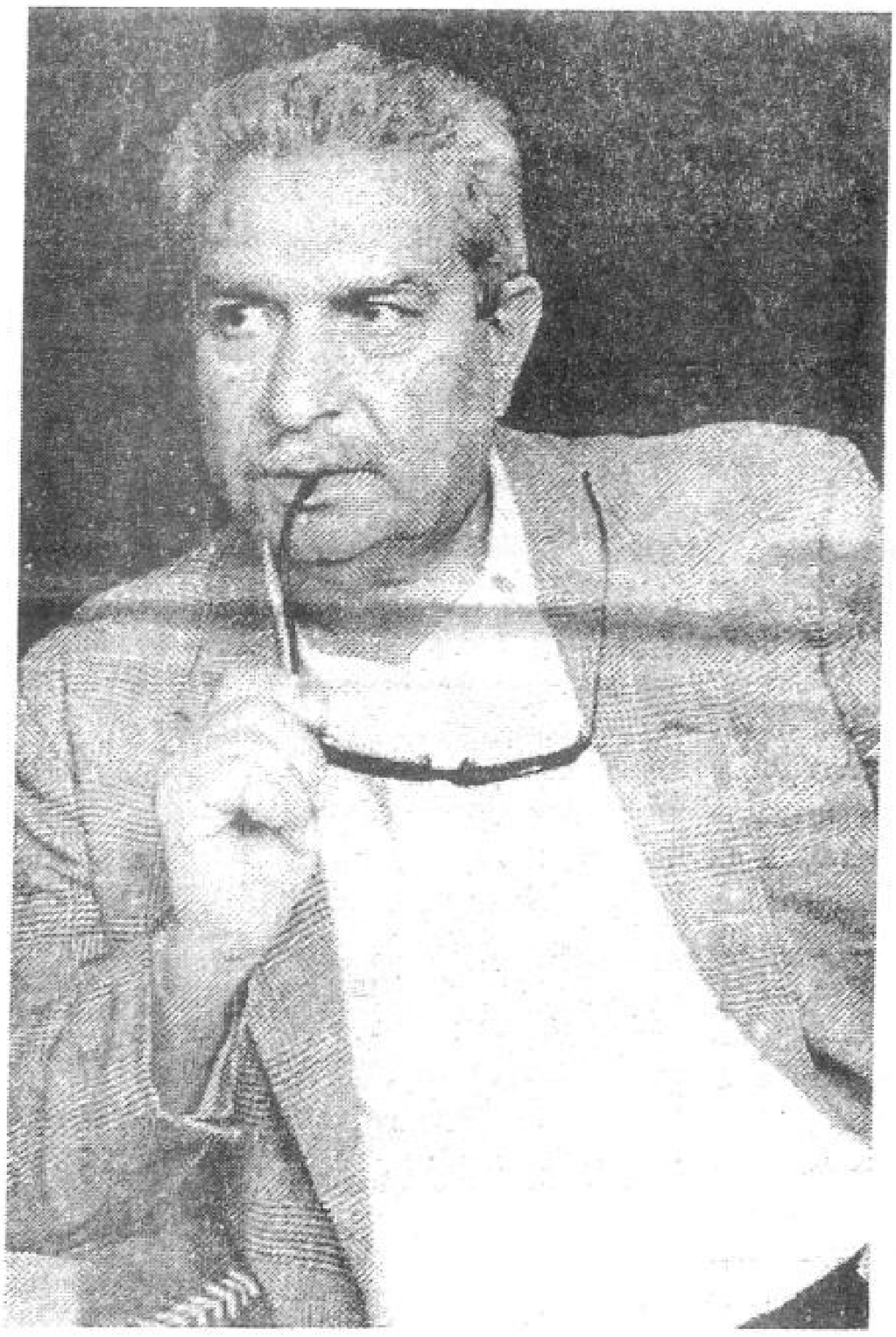

بادرت مجلة گـهلاويژى نـوێ (العدد ٢–٣) التي باشت مع شقيقتها پـهيڤين الجسر الامتن والأكثر إشعاعا بين الكرد والعرب إلى نشر ببليوغرافيا محي الدين زنگنه في خطوة مهمة جدا لإثراء حياتنا الثقافية والتعريف بكبار كتابنا الذين ما يزالون ومنذ سنوات عديدة يغنون ضميرنا الأدبي بآيات من الإبداع.. هذه الخطوة التي من شأنها أن تضيء الطريق أمام الباحثين والمعنيين.. وتسهل مهمتهم في الرجوع إلى منابع ابداعاتهم. وتتبعها في الصحف والجرائد والمجلات والكتب ووو... إنها بادرة مشكورة،، ومحمودة.. تخلق أملا قويا أن نتبعها بمبادرات اخرى لمبدعين اخرين..

ولكن الذي حدث ان بعض النواقص قد تخلل النشر.. منها عدم ظهور بعض المعلومات وخلوها مما استجد من بحوث وكتابات ودراسات اعمال ابداعية للكاتب في سنوات ما بعد الانتهاء من الببليوغرافيا..

واستكمالا للفائدة المرجوة ارسل الصحفات التي لم تنشر.. وكذلك متابعة دقيقة، وشاملة حتى الان وحسب اطلاعي، على الاقل لكتابات الكاتب المنشورة وماكتب عن هذه الكتابات..

ردود–استفتاء–لقاءات

١	من المقصر من الادباء الاكراد	عبد المجيد لطفي	التأخي		١٩٦٨/٩/٢٠
٢	مسرحية السر ومسؤولية الناقد	محي الدين زنگنه	الجمهورية	٦	١٩٧١
٣	الأدب الثورى	استفتاء	مجلة الكلمة	٦	١٩٧١
٤	ملاحظات حول (اصوات جديدة في الشعر الكردى)	ناصر يوسف	التأخي		١٩٧٢
٥	العراب: ادانة للرأسمالية كلها	سليم عبد الامير	الفكر الجديد	٥٠	١٩٧٣
٦	القصة الكردية في ملتقى صلاح الدين	نور الدين محمد سعيد	العراق		١٩٧٨/٨/٢٨
٧	جمعية رفند الثقافية في برلين تقدم مسرحية صراخ الصمت الاخرس	المحرر	گولان العربي		١٩٩٩
٨	قضايا القصة الكردية ومشاكلها	استفتاء	الفكر الجديد		١٩٧٨/٩/٢٣
٩	ازمة رأي	فؤاد مجيد	شمس كردستان	٥١	١٩٧٨
١٠	مع عونى كرومى		الف باء	٩٦ ٣	١٩٨٧
١١	حكاية صديقين	سامى عبدالحميد	الثورة		١٩٨٨/٢/١
١٢	تكلم يا حجر	محى الدين زنگنه	الف ياء		١٩٨٩
١٣	تكلم ياحجر في هذه المسرحية تحديث لأمكانياتي	وجدي العانى	العراق	٤٠٢ ٦	١٩٨٩
١٤	الأشواك: لقاء مع مخرجة المسرحية		العراق	٤٠٠ ٥	١٩٨٩
١٥	التجريب الأصيل	استفتاء	الأقلام	٨,٧	١٩٩٣
١٦	حوار مع فاضل العزاوي	غفور صالح عبدالله	الاتحاد	٤١٩	٢٠٠١/٥/٤

١٧	حوار مع د.عونى كرومى	المحرر	الاتحاد	٣٩٠	٢٠٠١/٥/٤

قصائد عنه

	قصيدة:ـ محى الدين زنگنه	الشاعر ابراهيم حيدر الخياط	الجمهورية	٨٥٨٢	١٦ /١٠/١٩٩٣
	قصيدة:ـ محى الدين زنگنه	الشاعر ابرهيم البهرزى	الشباب		أيار ١٩٩٨
	قصيدة:ـ محى الدين زنگنه	شيركو بى كەس	روڤار	٦	نيسان ٢٠٠٠

* اعمال درامية عنه *

١	الكاتب الظريف	فيلم تلفزيونى	المخرج ناصر حسن	تلفزون بغداد	
٢	زمرة الاقتحام	مسرحية من الخيال العلمي	صباح الانباري	الاقلام	ت١/١٩٩٤
٣	مبدعون من تلك المدن	برنامج تلفزيوني المحمداوى	المخرج رضا المحمداوى	تلفزيون بغداد	

مقالات عنه.

١	المونودراما(٣) محي الدين زنگنه	عواد علي	القادسية		١٩٧٨/١/٣
٢	ملتقي القصة الاول	الشؤون الثقافية	بغداد		١٩٧٩
٣	مسرحيون عراقيون.. محي الدين زنگنه	ياسين النصير	القادسية		١٩٨٩/٤/١
٤	ادباء ديالى يحتفون بمحي الدين زنگنه	عبدالرزاق الربيعى	الجمهورية	٨٤٨٦	١٩٩٣
٥	هذا هو محى الدين زنگنه	صباح الأنبارى	العراق	٥٢٨٦	١٩٩٣
٦	محى الدين زنگنه في قرطاج	عبدالرحمن الربيعى	فضاءات تونسية	٩	١٩٩٣

٧	مدخل لدراسة(مسرحيات) محي الدين زنكنه	صباح الأنباري	العراق	٥٦٢٧	١٩٩٤
٨	ادباء ديالى وافكار الكتابة	فاضل عباس الكعبى	الثورة		١٩٩/٦/٢٨ ٥
٩	محي الدين زنكنه قاص في المسرح	صباح الأنباري	العراق	٦٣٦٦	١٩٩٧
١٠	محي الدين زنكنه مسرحي في القصة	صباح الأنباري	الوان	١١	١٩٩٧
١١	زنكنه الأنسان.... الفنان	سالم الزيدى	الوان	١١	١٩٩٧
١٢	ملف الأبداع العراقي.. محي الدين زنكنه (١)	ناظم السعود	مجلة الشباب		أيار ١٩٩٨
١٣	لكي لاننسى محى الدين زنكنه	غفور صالح عبدالله	الاتحاد		١٩٩/١١/١٤ ٨
١٤	محي الدين زنكنه ـــ محور خاص(٢)	سعد محمد رحيم/ صباح الأنباري	مجلة الشباب		حزيران١٩٩ ٩
١٥	الاديب والعزلة	د. فاضل عبود	القادسية		١٩٩/١١/٨ ٩
١٦	الصراع في مسرحيات محي الدين زنكنه	اكرم مولود رستم	خەبات		١٩٩/١٠/٢٩ ٩
١٧	رسائل الى هناك (الى محي الدين زنكنه)	المحرر	الرأي	٣٥	١٩٩٩
١٨	التناص والسطو على نصوص الاخرين	صباح الأنباري	العراق		٢٠٠٠/١٢/٩
١٩	مبدعون كبار/ محي الدين زنكنه	صباح الأنباري	اشنونا		٢٠٠١/١/٢٤
٢٠	محي الدين زنكنه.. المبدع والانسان	سعد محمد رحيم	الرافدين	١٢٦	٢٠٠١/٣/٢٧
٢١	محي الدين زنكنه وام غوركي	جليل زنكنه	روڤار	٦	نيسان٢٠٠٠
٢٢	محي الدين زنكنه في المسرحين العربي والكردى	على كريم	روڤار	٦	نيسان٢٠٠٠
٢٣	محي الدين زنكنه... ذاكرة الكتابة	صباح الأنباري	العرب العالمية		٢٠٠١/٥/١٥

قصص لم تحوها المجموعة (تابع)

١٩- صرخات من صرخات الصمت الاخرس	الجمهورية	١٩٩٥/٧/٢٢
٢٠- غيوم بلا مطر	الق ١	١٩٩٩

قصصه المترجمة الى اللغة الكردية (تابع)

٣- كتابات تطمح ان تكون قصصا	ترجمة: غفور صالح	
٤- نثارات حلم تبحث عن حالم	ترجمة: شاهو سعيد	روڤار ٦ نيسان٢٠٠٠

مسرحياته (تابع)

١-مسرحياته المطبوعة وجهة الاصدار

٨- مسرحية رؤيا الملك	دار الشؤون الثقافية ـــ بغداد	١٩٩٩
٩- مسرحيتان	دارالحرية للطباعة ـــ بغداد	٢٠٠١

مسرحياته المترجمة الى اللغة الكردية (تابع)

١-صراخ الصمت الاخرس	ترجمة كريم بياني	سينماو شانو	٥	١٩٩٩
٢-مسرحية العقاب	ترجمة جمال غمبار	روڤار	٦	٢٠٠٠
٣-مسرحية الحارس	ترجمة أزاد برزنجي	روڤار	٦	٢٠٠٠
مسرحية لمن الزهور	ترجمة خليل يابه	روڤار	٦	٢٠٠٠

مسرحياته التى عرضت باللغة الكردية (تابع)

١-مسرحية السر	ترجمة : نوزاد قادر	١٩٧١
٢-مسرحية الاجازة	ترجمة: شيركو بێ كەس	
٣-مسرحية الاجازة	ترجمة: چتو حسن	
٤-مسرحية السؤال	ترجمة: به يمان به كوك	

مسرحياته التى حازت على جوائز عراقيه (تابع)

١١-مسرحية زلزلة تسري في عروق الصحراء	جائزة لجنة المسرح العراقي	١٩٩٩
١٢-مسرحية رؤيا الملك	جائزة الدولة للابداع	١٩٩٩

الفرقة التي عرضت مسرحياته ومخرج كل منها ومكان العرض (تابع)

٣٨–فرقة المسرح الشعبي	القطط	حسين جوير	بغداد
٣٩–الفرقة القومية للتمثيل	العلبة الحجرية	فتحي زين العابدين	بغداد

و– المقالات التي تناولت اعماله المسرحية (تابع)

أولا ـ السر

١٢– البحث عن مسرح المقاومة	سامي خشبة	الآداب	٥	١٩٧٠

ثالثا / مسرحية السؤال (تابع)

٤٣– دراسة المسارات الدرامية في السؤال	صباح الأنباري	الموقف الثقافي	٣٢	٢٠٠١

رابعا / مسرحية الاجازة (تابع)

١٣–مسرحية الاجازة في اربيل	كمال محمد امين	الثورة	١٩٨٩/١٢/٨
١٤–رؤيا نقدية لمسرحية الاجازة	شاهين نجم الدين	العراق	١٩٨٩/١٢/٣١

سادسا/العلبة البحرية (تابع)

٥–العلبة البحرية بين النص والعرض	صباح الانباري	العراق	٢٠٠١/٥/٩

ثلاثة عشر ــ مساء السلامة (تابع)

١–البحث عن المدينة الفاضلة في مسرحية مساء السلامة	علي مزاحم عباس	العراق	٤١	١٩٩٨

اربعة عشر/ كاوه دلدار (تابع)

١–كاوه دلدار	محمد حياوي	حراس الوطن١٨	١٩٩٠
٢–كاوه دلدار محي الدين زنكنه	كاظم زياد	اليوم السابع٣١٤	١٩٩٠

مقالاته (تابع)

٥٦–المسرح الاحتفالي وحدود الكائن والممكن فيه		الجمهوريه	
٥٧–دعوة الي الرؤية... بالاذن		اشنونا	٢٠٠١/٦/٣
٥٨–دعوة الى الرؤية... بالاذن		المشهد ٤	٢٠٠١

مقالات تناولت في جزء منها بعضا من اعماله(تابع)

٢٧	النص العراقي والاعمال الكاملة للمؤلف	نازك الاعرجى	الجمهورية	٨٤٦٩	١٩٩٣
٢٨	تأثير بريخت على المسرح	د. فاروق اوهان	المدى	١٨	١٩٩٧

	العربي				
٢٩	عشرون كاتبا لعشرين عام	يوسف العاني	الزوراء	١٠	١٩٩٧
٣٠	البطل في الدراما العراقيه	د.يوسف رشيد	الوان	١٠٨	١٩٩٩
٣١	العلبة الحجرية	المحرر	الوان	١٧٩	٢٠٠١
٣٢	مهرجان المسرح العراقي الخامس	رياض موسى سكران	الاقلام	٢	٢٠٠١
٣٣	نكسة حزيران والمسرح	محمد حسين س	الثورة		٢٠٠١/٦/٦
٣٤	الرواية والرواية الكردية وافاقها الحديثة	لطيف هلمت	الاتحاد	٤٢٤	٢٠٠١/٦/٨
٣٥	القرية والجبل	عثمان شيدا	روڤار	٦	نيسان٢٠٠٠
٣٦	من بساتين البرتقال	رؤوف بيكرد	روڤار	٦	نيسان٢٠٠٠

كتب تناولت في بعض فصولها بعضا من اعماله (تابع)

٦	مهرجان وروايات عراقية في مأل التقدير النقدي	د.علي جواد الطاهر	دار الشؤون الثقافية	بغداد	١٩٩٣
٧	المسرح في الوطن العربي	د.علي الراعي	عالم المعرفة	الكويت	
٨	قضايا معاصرة في المسرح	سامي خشبة	دار الحرية للطباعة	بغداد	١٩٧٢
٩	اطلالة على المسرح العربي خارج مصر	فؤاد دواره	الهيئة المصرية العامة الكتاب		
١٠	هؤلاء في مرايا هؤلاء	عبدالقادر	مكتبة المنصور	بغداد	١٩٩٩
١١	نثارات في القصة والرواية	حسب الله يحيى	دار الشؤون الثقافية	بغداد	١٩٩٩
١٢	قراءات في الادب والنقد	د. شجاع مسلم العاني	اتحاد الكتاب العرب	دمشق	٢٠٠٠
١٣	البناء الفني في الرواية العربية ج١ج٢	د. شجاع مسلم العاني	دار الشؤون الثقافية	بغداد	٢٠٠٠
١٤	ادب السجون	نزيه ابو نضال	دار الحداثة	بيروت	١٩٨١

لطيف هلمت

التصوف والجوانب العلمية في الفلسفة الصوفية

بدل المقدمة

يقول رائد المتصوفين علي بن حسين المعروف ب(زين العابدين) سلام الله عليه:

انـــي لاكتم من علمـــي جواهـــر
كي لايرى العلم ذو جهل فيفتنا
ويقول المتصوف الكبير ع
عبدالقادر الگيلاني:
لو اني القيت سري بميت
لقام بـاذن الله وناداني
.....
.....
وفكيت رمـــزاً كـــان عيسى يحلـــه
به كان يحي الموتى والموت سرياني
وغصت بحار العلم من قبل نشأتي
أخي ورفيقي كان موسى بن عمران

استطيع ان اقول بلا ريب بان تلك القطعتين الشعريتين توضحان بأن في التصوف جوانب علمية والتصوف في حد ذاته علم ككل العلوم الاخرى... سأتحدث في محتوى هذا المقال بالتفصيل عن هذا الجانب. واني في هذا البحث اركز على الحديث عن هذا الجانب بصورة خاصة وقلما اتطرق الى الجوانب الاخرى من التصوف التي تطرق اليها كتاب اخرون من قبل... ولايهمني هنا ان اخوض في الموضوع باسلوب أكاديمي واقوز بالنجاح الى هذه الدرجة أوتلك بقدر مايهمني أن اضيف شيئا جديدا على بيدر التصوف، وهذا البحث هو لب دراسة مفصلة سأنهيها وانشرها في السنوات القادمة بأذن الله.

التصوف، في ماهيته وكنهه هو بحث جاد للعثور على طاقات القوى الروحية واستعمال تلك الطاقات ويؤكد ما اقول الصوفي الكبير ومؤسس الطريقة القادرية الشيخ عبدالقادر الجيلاني بقوله:

نالى

ولاحت لي الاسرار من كـــل جانب
وبانت لي الانـــوار من كـــل وجهـة
****

ويقول المتصوف الايراني الكبير حافظ الشيرازى:
فيض روح القدس ارباز مدد فرمايد
ديگران هم بكنند انچه مسيحامى كرد
لو أن روح القدس منّ علينا بمدده
سنصنع نحن مـــا صنعه المسيح

ويقول ايضا:
أزصداى سخن عشق نديدم خوشتر
يادگارى كەدر اين گنبد دوار بماند

سوى ذكريات اصداء العشق لم ار
اية ذكريات اخرى خالدة في هذه القبة الدوارة
****

انتعش التصوف الاسلامي بصورة بارزة في القرن الثالث والرابع الهجري واعتراه الخمول والذبول في القرن الخامس.. وفي نهاية هذا القرن برز الامام الغزالي فمزج التصوف بالدين الرسمي وبرعمت مرحلة جديدة في هذا المجال.

ان اساس فلسفة التصوف مبني على الاعتقاد بوحدانية الله ولكن ثمة اختلافات واضحة في فروع وانماط الفلسفة بين متصوفين منتمين الى دينين او مذهبين مختلفين. يوضح أبو عمر الدمشقي: بأن العالم في عين الصوفي مليء بالنواقص ولذلك يرغب الصوفي الابتعاد عن العالم المفعم بالنواقص ويبدأ البحث عن شخص متكامل لانواقص فيه.

ومن اجل هذا يستوجب على الصوفي ان يحرر نفسه من قيود جسده ويزهد عن كل ملذات الدنيا، لأن الملذات الدنيوية هى ستار قاتم يمنع الانسان من رؤية الحقيقة، للشاعر والصوفي حلم واحدوهما يحاولان القيام بترميم نواقص العالم وبهذا المقياس كل شاعر هو صوفي وكل صوفي هو شاعر حتى اذا لم يكتب الشعر انهما يتخيلان و يحلمان ويرنوان بعمق ويفكران في الوجود واللا وجود ويرغبان في خلق عالم مجرد من النواقص.

ومن هذا المفهوم أقول ان كل عباقرة علم الفلكليات والطب والكيمياء والفيزياء والهندسة والسياسة والخ صوفيون بشكل من الاشكال سواء أدركوا ذلك في ذواتهم ام لم يدركوه... ! وذلك لانهم يودون بمحاولاتهم وجهودهم إزالة نواقص العالم.

لقد تنبأ في هذا المجال كثير من الشعراء وكتاب الروايات والفنانين في نتاجاتهم وتجسدت تنبؤاتهم واضغاث احلامهم بعدهم في عالم الواقع... فمثلا ان الفنان المعروف ليوناردو دافينشي تنبأ في مجموعة من لوحاته وتخطيطاته الفنية بصنع الطائرة والمدافع وانواع اخرى من الاسلحة الحربية الفتاكة التي تحققت وجودها على يد الانسان، وان امثال هذه التنبؤات والاحلام المستقبلية التي تتحقق بشكل ما لها ربط

متين بنمط من انماط التصوف. وجدير بالذكر ان التصوف الاسلامي انتشر وتعمقت جذوره لسببين:

الاول/ الخوف من عقاب الاخرة وذلك لان الله يتحدث بالتفصيل عن عذاب الجهنم في القرأن الكريم... فمثلا يقول (جل جلاله...): فالذين كفروا قطعت لهم ثياب من نار. يصب من فوق رؤوسهم الحميم. يصهر ما في بطونهم والجلود. ولهم مقامع من حديد، كلما اردوا ان يخرجوا منهامن غم أعيدوا فيها. وذوقوا عذاب الحريق.

السبب الثاني/ تقدير عظمة الله من قبل الانسان بصفتة مصدرا لكل خير حيث جاء في سورة النحل على لسان جلالته (وقيل للذين اتقوا ما انزل ربكم بكم قالوا خيرا)، والى جانب السببين المذكورين وطوال القرون التي نشأ وتثبتت جذوره فيها اكتسب بعض الخصائص والتأثيرات الجانبية القريبة والبعيدة وامتزج بها كمؤثرات بعض الشعوب الارية وبعض المعتقدات الهندو اوربية والفلسفة الافلاطونيه بشكل من الاشكال.

وهناك اراء ومفاهيم مختلفة حول كلمة ــ التصوف ــ العربية يقال بأن كلمة ــ التصوف ــ جاءت الى الوجود في نهاية القرن الثاني للهجرة في العراق واول من سمي ب(الصوفي) هو جابر بن حيان الكوفي الذى كان عالما كيميائيا في مدينة الكوفة.

أري ان التصوف قديم يمكن العثور عليه في احاديث بوذا حيث يقول:(الطمع من اقتل السموم، ملذات الدنيا هي من الهب النيران والجهل (أي عدم معرفة الله) هو اقتم الليالي...)،ويقول بوذا أيضا:(الحب والعمل الصالح هما الاساس الحقيقي لكل الوجود) هذه المعتقدات البوذية ومعتقدات اخرى زرادشتية وغيرها من الديانات الهندية والارية والسماوية والدنيوية انعكست في المعتقدات الصوفية بصورة من الصور... ومن هذه الناحية يوضح الدكتور علي زيعور بان أو بانيشاد الهندي الذى كتب حوالي الف عام قبل الميلاد يعتبر نصا صوفيا. ولكن لاجدال بأن امثال تلك الطرائق الصوفية في الاصل لها اختلافات كثيرة مع التصوف الاسلامي، لان ذلك النوع من التصوف نبع من البيئة الهندية المعاصرة له، ولكن التصوف الاسلامي رغم ما عليه من تأثير المعتقدات والمؤثرات الخارجية نابع في الاصل من اعماق بيئة مجتمع اسلامي واسس على ارضية اسلامية طاهرة.

يقول المتصوف الكبير عبدالقادر الجيلاني: بنيت طريقتنا على اساس ماجاء في القرأن الكريم والاحاديث النبوية والقلوب الصافية والسخاء والعطاء ونبذ النفاق وتحمل العذاب والعفو عن اخطاء الاخوان...

ويقول ايضا: يقوم التصوف على ثمانية اعمدة، وهي: السخاء والرضاء والصبر والرمز والغربة ولبس الصوف والسفروالفقر....

ويجب ان لاننسى بأن للتصوف في كردستان طريقتين شهيرتين اولاهما الطريقة القادرية التي اسسها الشيخ عبدالقادر الجيلاني واشتهرت الطريقة باسمه.

والثانية الطريقة النقشبندية التي نقلها مولانا خالد الشهرزوري من الهند الى كردستان.(لقد ذكرت اسم الطريقتين على سبيل المثال لذلك لا ادخل في تفاصيلهما في هذا القسم من هذا البحث... لان هذا القسم من بحثي هذا غير مخصص لشرح تلك الطريقتين والتعمق فيهما).

على اية حال ان للتصوف لدى المتصوفين ملفا طويلا مليئا بالتوبة والتضحية و والاعتزال والعبادة والزهد عن ملذات الدنيا والصمت والصبر والقلق والشطحات والجوع والصدق....والنزاهة والاخلاص والحرية والحالات الخاصة... والتصوف لدى النساك هو تقييد نرجسية الجسد وتعذيب الروح حتى تبلغ قمة العظمة وتعثر على الله وتذوب في جلالته، والارواح التي تبلغ قمة التطهير من اوساخ الدنيا وملذاتها وتدرك اشياء لايدركها عامة الناس وعلى سبيل المثال: كان المتصوف الايراني المعروف شمس التبريزي يعمل خادما في احد المساجد وفي احد الايام يرغب الولوج الى مناقشة بعض الامور الشرعية مع بعض العلماء فيقول له احدهم يا شمس نحن نخوض الجدال في علم

ماركس

ـــ القـال ـــ وانت خـادم بسـيط ألا تذهـب لتخـدم مسجدك... فيسكت شمس التبريزي وينـهمك في خدمـة المسجد... وفي احد الايام يقع ابن صغـير لاحد أولئـك العلمـاء في عمـق بـئر ويكـاد ان يغـرق فيمـد شمـس التبريزي يده الى اعماق البئر ويخرج الطفل وينقذه من الموت فيقول له والد الطفل من ايـن تعلمـت هـذا الفـن فيقول له شمس التبريزي اذهب وانـهمك بعلـم (القـال) لان ما عملته هو من علم ـــ الحـال ـــ وانـت جـاهل في هذا العلم.

يـقول اكثر مؤرخي علم التصوف بـأن الرابعـة العدويـة هـي المتصوفـة الاولى الـتي عـبرت عـن الحـب في مـروج التصوف بالشعر والنثر.

ومر التصـوف الاسـلامي بعـدة مراحـل بـدأت المرحلـة الاولى بعبـادة الله والزهـد عـن ملـذات الدنيـا والاعتقادبوحدانية الله... ثم اتجـه التصـوف الاسـلامي بعد ذلك نحو تجربة ذات عمق عـاطفي شملـت اقطـاب الروح والعالم واصبحت هذه التجربة مذهبا خاصا كـان ابن عربـي الـذي عـاش في القـرن الثـالث عشـر الهجـري وطلابه روادا لهذا المذهب.

كان المتصوف المعروف ذنون المصري عالما ماهراً في علم السيمياء وهو علم مرتبـط بماهيـة فـرع مـن فـروع التصوف... كان في استطاعته تحويل الحصى والرمال الى احجـار كريمـة و غاليـة الثمـن... يوضـح ذنـون المصري:أن المتصوفين اناس يحبـون الله اكثرمن أي شيء اخر ويحبهم الله اكثرمن أي شخص اخر وان حب الله لدى المتصوفين هـو الطريـق الوحيـد لتطهير روح الانسـان وبلوغـها الى سمـاوات المجـد الحقيقـي... فالمتصوفة متمسكون بديـن الحب وهـذا الحب يمنـح المراتب العليا بوجود ومصير الانسان... وهذا المفهوم لدى المتصوفين وخاصة لدى جماعة ـــ اخوان الصفـا ـــ مرتبط ببعض اقوال افلاطون الذى يقـول: ان نفس الانسان تبلغ الكمال بنور الله.

وفي الحقيقة هناك عدة اراءمختلفة حـول اسـس وجـذور التصوف فعلى سبيل المثال تبين الكاتبـة روز غريـب: بأن التصوف ظاهرة عالمية نشأ عبر قرون مختلفة من الحضارة الانسانية وان جذور التصـوف لـدى الشـعوب الشرقية القديمة (الهند والصـين والفـرس) قديمـة جـدا هنـاك احـاديث حـول التصـوف في اقـدم الكتابـات الهنديـةوقد تحولت تلـك الفكـرة في القـرن الثـالث قبـل الميلاد الى اساس لفلسفة افلاطون الصوفية.

جاء في كتاب ـ مانو ـــ البراهمـائي الـذي كتـب باللغـة الهندية ان الشخص الذي يستطيع ان ينقـذ نفسـه مـن الخـير والشـر ويتسـاوى لديـه جميـع العـالم يحتضنـه الهدوء والاطمئنـان الابـدي. وكـان في الصـين نـوع مـن مثل هذا التصوف في الدهور العريقة.

وفي اليونان كان العالم اليوناني الشـهر فيثـاغورس اول صوفي يوناني يؤمن بوحدانية الله. هذا المعتقد الفلسفي أي الفلسة الصوفية كان معتقـدا جديـد لـدى افلاطـون حيـث يقـول افلاطـون مـن وجهـة نظـر صوفيـة: مـن اسـتطاع ان يـروض نفسـه يسـتطيع أن يـروض كافـة الكائنات... يقول بعض علمـاء التصـوف: ان الفلسـفة الافلاطونية الجديدة هي المصدر الاول الـذي نبـع منـه

التصوف الاسلامي والتصوف المسيحي... ولكن فلسفة افلاطون شملتها تغيرات كثيرة بحيث اصبحت ملائمة مع المعتقدات الاسلامية والمسيحية... وجدير بالذكر بأن ثمة قرابة واضحة بين التصوف الاسلامي والمسيحي حيث إن الفلسفتين تركزان على التوبة والزهد عن الملذات الدنيوية ومحاسبة النفس والحب والايمان بالقلب والاخاء والانسانية والتأمل والصمت والهدوء وفي كلتا الفلسفتين هناك متصوفون معتدلون و متطرفون تفوهوا في قمة حالاتهم الصوفية الطاهرة بكلمات واقوال جلب الشك على ايمانهم من قبل الاخرين واتهموا بالالحاد وقتلوا غدراً.....

مهما يكن لكلتا الجماعتين قصد واحد ولكن لكل منهما لسانها او لغتها الخاصة للتعبير عن ارائها الفلسفية والفرق الوحيد بينهما هو الفرق بين شخصين يطلبان قرصا من الخبز... احدهما يطلبه غاضبا والثاني يطلبه بهدوء.

ان اساس فلسفة التصوف في كل الاديان هو ان الحقيقة ــ الله ــ جل جلالهُ... وكل ماهو حق ينبع من جلالته وكان لهذه الفكرة اساس بشكل من الاشكال قبل ظهور نور الاسلام في الجزيرة العربية وربما وصلتها هذه الافكار من بلاد الفارس، يقول الشاعر الجاهلي زهير بن أبي سلمى:

بدى لي ان الله حق فزادني
الى الحق تقوى الله ما قد بدى ليا

لقد حاولت كافة المجتمعات الانسانية منذ وجودها ان تخلق السعادة عن طريق القوى المادية للانسان والاجناس الانسانية... فكل الحضارات التي نعثر على بقاياها في الاثار القديمة والرقم الطينية وكل هذه الآلآت والادوات والمتطلبات الضرورية للحياة، والمتوفرة في قرننا هذا ان هي الامحاولات لتأمين السعادة والرفاهية للانسان. ولكن سعادة المتصوفين ورفاهيتهم بعيدة جدا عن الممتلكات المادية بل هي شيء روحي ولذلك ليس غريبا ان نرى بأن السعادة والرفاهية لدى المتصوفين تكمن في الانعزال وتعذيب الجسد والاقتراب من الله الرحمن الرحيم حتى يعمهم جلالته بالرحمة والحب الالهي.... لان رضى الله في نظر المتصوفة هو اساس سعادتهم في الدنيا والاخرة تقول الشاعرة المتصوفة المعروفة رابعة العدوية مخاطبة حبيبها الله جلت عظمته:

ياسروري ومنيتي وعمادي
وانيسي وعدتي ومرادي
أن تكن راضيا علي فإني
يامنى القلب قد بدا اسعادي

يوضح الدكتور عبدالرحمن بدوي بأن التصوف هو من اشد الجوانب الروحية اشراقا في الاسلام.

ويبين أبو نصر السراج المتوفي/٩٨٨ م لقد اطلق اسم التصوف الذي اشتق من كلمة ــ الصوف ــ العربية على أولئك النساك والزهاد الذين كانوا يلبسون الصوف وذلك لتعذيب اجسادهم خوفا من الله... ويعتقد أبو نصر السراج بأن التصوف قديم ويسبق وجوده ظهور الاسلام... ويوضح مؤسس الطريقة القادرية الشيخ عبدالقادر الگيلانى بان النبي يحيى كان يلبس الصوف.ويقول بعضهم بأن لقب التصوف اشتق من كلمة ــ الصفاء ــ العربية التي تدل على النقاء والطهارة . وتعني بان هذه الفرقة مطهرة من الذنوب والهفوات وبعيدة عن كل ملذات الدنيا... ويقال ايضا: بأن لقب ــ المتصوف ــ اطلق قديما على قبيلة بني صوف التي كانت تخدم الكعبة قبل ظهور الاسلام....ويقول بعض الكتاب: اطلق على القبيلة المذكورة لقب المتصوف لانها كانت تأكل ثمار شجرة الصفوانة ... ولكن مؤلف الرسالة القشيرية المتوفي عام/١٣١٨للهجرة يبين بوضوع ان كل تلك الاقوال غير موثوقة.

وأراء المستشرقين في التأريخ الحديث مختلفة حول هذا الموضوع يرى المستشرق يوسف فون هاممر (١٨١٨) بأن كلمة ــ الصوفي ــ العربية اشتقت من كلمة ــ سوفيس ــ اليونانية التي تدل علىالنظافة والنقاء. ولكن ف ج نولدكه على هذا الرأي ومن ناحية اخرى

ايد رأي هاممر ـــ أدلبير مركس ـــ ولكن تيودور نويلدكه نقض ذلك الرأي نقضا تاما واثبت بان لقب ـــ الصوفي ـــ الاسلامي مشتق من كلمة ـــ الصوفي ـــ العربية التي تعني الصوف واطلق هذا اللقلب على الزهاد الذين كانوا يلبسون الملابس الصوفية... وحول هذا الموضوع ايضا يقول ماسينون في (دائرة المعارف الاسلامية): يطلق الفرس اسم الصوفي على لابسي الملابس الصوفية... يبين المتصوف الكبير الشيخ معروف الكرخي: التصوف هو ان تسلك طريق الحق ولاتتمنى شيئا من احد ويقول الشيخ جنيد البغدادي هو ان تعبد الله دون أي رياء. ويقول الشيخ الشبلي: التصوف برق حارق... ويوضح الصوفي المعروف سحنون: التصوف هو ان لا تكون مُلكا لاي شيء ولاتملك اي شيء... فالتصوف هو تهيئة الروح لادراك الاشياء التي لاتدركها الاخرون... ومن هذه الناحية يبين الدكتور ميثم الجنابي في العدد الثامن من مجلة الثقافة الجديدة/١٩٩٢ بأن التصوف ككل المجالات الابداعية الاخرى للانسان ابدع ابداعات عظيمة في الاعماق والاعمال ونستطيع من هذه الناحية ان نقول ان الطريقة الصوفية هي طريقة فكرية وسياسية....يقول المتصوف الكبير الشيخ جنيد البغدادي: اذا لقيت الفقير فالقه بالرفق ولاتلقه بالعلم لان الرفق يؤنسه والعلم يوحشه...ان كلام الجنيد هذا يثبت بان التصوف لايعادي العلم.. ولكنه طريق لتوضيح العلم عن طريق الروح.

وعلى هذا الاساس الذي يؤكد بان التصوف يكشف عن الكثير من الغيبيات والمجاهيل اني اصر واؤكد بان معظم العلماء في المجالات العلمية والفنية والادبية تعم انفسهم الاشراقات الصوفية في حالات الابداع.. وفي لحظة تلك الاشراقات يجسدون ابداعاتهم... وعلى هذا المقياس أوكد بان اديسون اكتشف التيار الكهربائي في حالة صوفية واكتشف في الحالة ذاتها جيمس واط قوة البخار وانشتاين النظرية النسبية، وماركس مسألة رأس المال وفائض القيمة وفي الحالة الصوفية نفسها استطاع كل من دانتي وشكسبير وروسو وطاغور وبيكاسو وميكائيل انجيلو واحمد الخاني ونالي والاف اخرى من العلماء والحكماء والشعراء والفنانين والكتاب، مواصلة الابداع في نتاجاتهم العلمية والفكرية والفنية... واستطيع أن اقول حتى الشهداء يضحون بانفسهم في حالة من الحالات الصوفية... وبدون تلك الحالة الروحية لن تكون ثمة اية ابداعات علمية أو ثقافية ولن يكون هناك أي شخص على استعداد للتضحية بنفسه من اجل أي فكر أو معتقد.

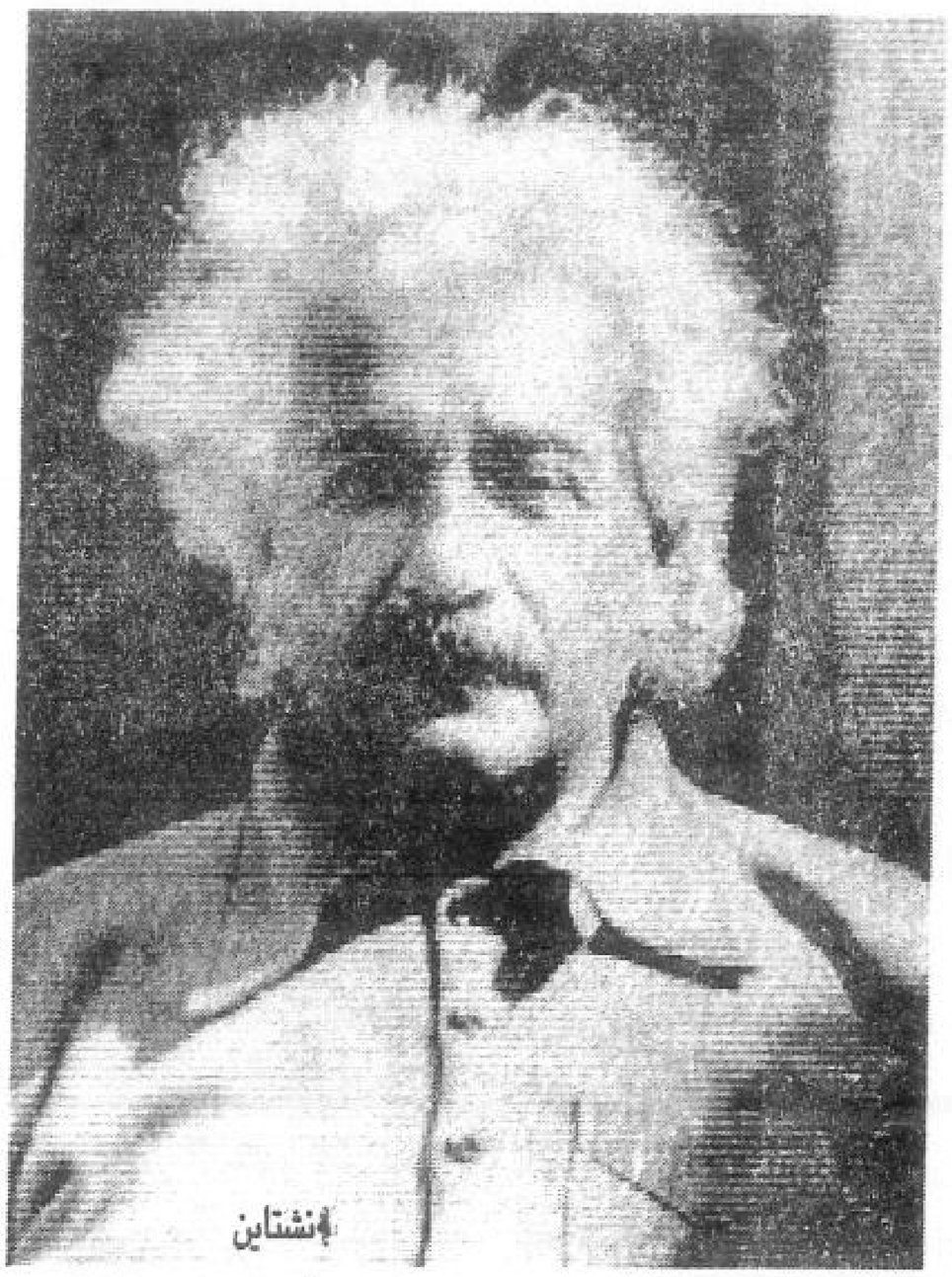
إنشتاين

يوضح الامام الغزالي بان العلم دون العمل به جنون والعمل بدون العلم لاينتج ولايثمر..فاساس التصوف هو العلم والعمل بذلك العلم، انهما طرفا ميزان واحد مرتبطان ببعضهما فلا خير في احدهما بدون الاخر.

الحب هو المقصد الرئيسي للتصوف واعلى قمة من قمم مقاماته ودرجاته اذ تأتي كافة درجات التصوف الاخرى بعد الحب، وكما قلت في البداية ثمة بعض

العلماء يرون بأن الفلسفة الصوفية قديمة جدا وترجع بداياتها الى العصور اليونانية القديمة ويعتبر(حسب رأي أولئك العلماء)افلاطون الفيلسوف صوفيا.

واذا اعتقد بان جذور التصوف والافكار الصوفية أقدم من ذلك بكثير... ففي اعتقادي نشأ او ولد الفكر الصوفي منذ بدأ الانسان البدائي بالتأمل في نشوء الكون و وجود الكائنات.. وهناك من الانبياء سلكوا مسلك المتصوفة منهم النبي عيسى عليه السلام... فلا ريب في ذلك ان عدم الاذلال لاموال الدنيا عمود من اعمدة التصوف ومن هذا المنظور ومن مرصد صوفي يقول النبي عيسى عليه السلام: اذا اردت ان تكون انسانا كاملا اذهب وبع كل ماتملك وامنحه للفقراء. وعلى هذا المقياس ثمة بشكل من الاشكال في بعض الاحاديث النبوية انعكاسات لافكار صوفية، جاء في احد الاحاديث النبوية: اللهم احييني فقيرا وأمتني فقيرا واحشرني مع جموع الفقراء... وهناك في القرآن الكريم والانجيل المقدس انعكاسات صوفية نأتي على ذكر بعضها في متون هذا المقال...

يبين الامام الغزالي بان المتصوفة يرون الملائكة وارواح الانبياء في يقظتهم ويسمعون اصواتهم و يأخذون منهم المواهب. هذه الحالة لها وجود كظاهرة علمية ايضا بصورة من الصور وقد سماها العلماء الباراسايكولوجيا وهناك أناس كثيرون لهم خبرات واسعة في هذا العلم او كما يقولون ان حاستهم السادسة قوية ويتنبؤون بما يحدث او ببعض ما يحدث وهذه الحالة موجودة في كل الاديان حتى لدى الوثنيين وعبدة الاصنام.

يتحدث الكاتب المعروف كولن ولسن في كتابه المسمى(الانسان وقواه الخفية)في هذا المجال كثيرا عن القوى الروحية لدى الانسان، ولكن هناك اشخاص ومصادر يسمون امثال هذه القوى الخفية سحرا. وفي القرأن الكريم ثمة أيات بينات تتحدث عن السحر منها(بسم الله الرحمن الرحيم: قال أجئتنا لتخرجنا من ارضنا بسحرك يا موسى فلنأتيك بسحر مثله) ـــ صدق الله العظيم ـــ سورة طه. فلما جاءتهم اياتنا قالوا هذا سحر مبين) سورة النمل.

قال الفيلسوف اليوناني المعروف ارسطوطاليس (الانسان حيوان ناطق..) ولكني اقول الانسان كائن مؤمن فمنذ وجود الانسان على الارض كان لهُ نوع من الإيمان وكان يبحث عن الله خالق هذا الكون وماعدى الانسان لا وجود لكائن بحث او يبحث بلهفة عن خالق هذا الكون.... كان الانسان منذ وجوده كائنا مؤمنا بشكل من الاشكال حتى انه كان في بعض الاحقاب من الدهر يعتبرالشمس والقمر والبراكين والسيول و القوى الطبيعية الرهيبة الها او ألهة يخاف منهم... وقد اصبح البحث عن الله والاقتناع بوجوده أصبح نوعا من أنواع العلوم وذلك هو علم معرفة الارواح.... ان مسألة معرفة الارواح هي في حد ذاتها علم من العلوم ... كان النبي سليمان رغم نبوته وعبقريته يجهل علم الروح وكان محبا لجاه الدنيا والثروة والسلطة الدنيوية وملذاتها التي حللها الله للانسان.... أي كان بعيدا عن عالم التصوف ولايدرك علم التصوف لذلك طلب ممن حوله ان يأتوه بعرش بلقيس ... ولكن من كان يستطيع أن يأتي له بعرشها إلى فلسطين بأسرع وقت وهي في بلاد اليمن... كان ذلك العصرلاوجود فيه للسيارات ولاالطائرات ولذلك لجأ في طلبه هذا الى من كانوا لهم معرفة تامة بعلم العالم الروحي.... وكما جاء في القرأن الكريم :(قال عفريت من الجن أنا اتيك به قبل إن تقوم من مقامك) فطلب النبي سليمان ان يأتيه غيره بوقت اسرع... وكما جاء في القرأن المجيد أجاب عفريت كان عالما بعلم الارواح:(بسم الله الرحمن الرحيم: قال الذي عنده علم الكتاب انا أتيك به قبل أن يرتد إليك طرفك) ـــ صدق الله العظيم ـــ . أن علم الكتاب المذكور في القرأن الكريم كما اعتقد هو علم عالم الارواح وكان هذا العلم من العلوم التي كان الانسان يهتم به ويتطوره في تلك الازمان الى درجة يبين الكاتب المصري الشهير أنيس منصور أن الصخور الكبيرة التي تزن كل واحدة منها عدة اوعشرة

أطنان والتي بنيت بها الاهرامات رصفت بتلك الصورة بقوة العلوم الروحية لان القوى الجسدية للانسان عاجزة عن حمل ورصف تلك الصخور بالشكل الذي نراه الان.

ولاريب في ذلك بأن العلم الروحي ومعرفة عالم الارواح يكسبها الانسان ويتعمق فيها في حالة الاشراقات الصوفية ولايستطيع الانسان كسب هذه المعرفة بدون الغوص في الحالات الصوفية، هناك في الديانة الزرادشتية قوتان احداهما للخير والثانية للشر... هناك في مجال العلم الروحي أي مجال التصوف مثل تلك القوتين احداهما يكسبها المهتمون بالخير والصلاح والحب الانساني والثانية تكسبها وتستغلها السحرة واصحاب النفوس الشريرة. وبدون نوع من انواع الحالات الصوفية التي ذكرناها والتي لم نذكرها لضيق المجال هنا... لايمكن لاي انسان ان يعرف شيأ عن كنه عالم الارواح والقوى الروحية.

أعتقد اعتقادا تاما بأن السحر جزء من علم الروح ولكن روح خبيثة ومفعمة بالرجس... فمثلما يمكن تخصيص العلوم الكيميائية والكهربائية لشتى الاغراض الخيرية والضارة فكذا يمكن الاستفادة من العلوم الروحية للاغراض السالبة والموجبة... يقول النبي الكريم(محمد) صلى الله عليه وسلم:(اللهم اني أعوذبك من علم لاينفع...) واعتقد بل أوكد بان العلم الذي لاينفع هو علم السحر والشعوذة والجوانب السلبية من العلوم الذرية وماشابه تلك العلوم... وفي الحقيقة منذ أن بحث الانسان عن السعادة لم يعثر عليها الا في الاطمئنان الروحي... فالاشياء والموجودات والحضارات المتمثلة في المستلزمات المادية عجزت وتعجز دوما عن منح السعادة الحقيقية للانسانية... ولذلك كان الانسان دوما يبحث عن سعادته في العالم الروحي... ولم يعثرعليها الا المتصوفة... نرى وتقرأ بأن الحضارة والتطورات المعيشية تقدمت وتوطدت جذورها في كثير من الاماكن ولكن ذلك التطور الحضاري المادي عجز عن تأمين السعادة الحقيقة للانسان... ومثال على ذلك نرى ان الحضارة المادية متطورة في العالم الغربي الى اقصى درجة ولكن نتيجة عجز هذه الحضارة من تأمين السعادة الروحية للانسان في الغرب نرى إن نسبة الانتحارفي البلدان الغربية المتقدمة هي اكثر من كل البلدان الاخرى وذلك لابتعاد العالم الغربي عن الاجواء الروحية والانهماك التام بملذات الحياة المادية والمحسوسة.

ثمة أناس كثيرون يبحثون عن السعادة الحقيقية بطرق كثيرة ولكن لن يعثر عليها إلا المتصوفة الذين حرموا على انفسهم ملذات الدنيا المادية.. يقال أن اسكندر المقدوني خاطب الفيلسوف الرومانى ديوجينوس في احدى المرات قائلا له: ماذا تريد ان احققه لك..؟ فيجيبه ديوجينوس قائلا له: تنح جانبا لا تحجب عني ضوء الشمس. هذه هي قمة التصوف... وهذا هو الصوفي الحقيقي انه لايبدل حريته الروحية بكل املاك الدنيا ولا يحني عنقه امام أي ملك.. ان سعادة الانسان لا تتجسد في الممتلكات المادية فالاشياء المادية قابلة للفناء والتلاشي.. ربما يجد احدهم سعادته المادية في امتلاك الاموال ولكن حين تتلاشي امواله تتلاشي سعادته ايضا.. واذا كانت سعادة فلاح ما في امتلاكه لارضه التي يحرثها ... ستزول سعادته اذا انعدم المطر اوجفت المياه او فقدت ارضه لسبب من الاسباب. ولكن سعادة المتصوفة تكمن في ارواحهم وحين تبلغ روح أي صوفي درجتها التي تسعى اليها تمتلك السعادة الدائمية وليست ثمة اية قوة تستطيع ان تسلب منها تلك السعادة مادامت هي حية. لذلك لم يستطع التقدم الحضاري المادي تأمين السعادة الحقيقية الخالدة للأنسان والمجتمعات الانسانية منذ وجود الانسان الى الوقت الحاضر... بل وجد الانسان سعادته الحقيقة الخالدة عن طريق التجربة في عالم التصوف وقد ضحى كثير من المتصوفة الذين تفتخربهم الانسانية بارواحهم في سبيل تحقيق تأمين السعادة الحقيقة الخالدة للانسان والمجتمعات الانسانية ومن أولئك المتصوفين الشهداء حسين بن منصور

الشهير بالحلاج والعالم الكردي المعروف بالسهروردي الذي كان له باع طويل في علم السيمياء... والعالم الفلكي الجليل { أنو برونو} الذي كشف واثبت في لحظة من لحظات اشراقاته الصوفية بأن الارض كروية و وقف ضد رجال الكنائس الغربية واصر على ان الارض كروية وضحى في سبيل ذلك بروحه حيث قررت الكنيسة أن تحرقه حتى الموت.

****

مصادر البحث:

١-تاريخ التصوف الإسلامي/ الدكتور عبدالرحمن بدوي

٢- القيم الروحيه فى الشعر العربى/ پريا عبدالفتاح

٣- جبران في اثاره الكاملة/ روز غريب

٤-اسطورة الحلاج/ سامي خرطبيل

٥- الثقافة الجديدة/ العدد/٨/١٩٩٢

٦- ايها الولد/ الامام الغزالي

٧-فيكتور هوغو بقلمه/ هنري غيومان

٨-نظرة عامة في العبادات/ محمد باقر الصدر

٩-المستطرف الجديد/ هادي العلوي

١٠-رابعة العدوية/ محمد الشرقاوي

١١-روحي مولانا خالد/ پيرميرد(باللغة الكردية)

١٢-شطحات الصوفية/ د. عبدالرحمن بدوي

١٣-ديوان الحلاج/ د.كامل مصطفى الشبيبي

١٤-أحمدى خاني/ د.عزالدين رسول (باللغة الكردية)

١٥-المنقذ من الضلال/ الامام الغزالي

١٦-الشيخ عبدالقادر الگيلانى/ يونس الشيخ ابرهيم السامرائي

١٧-لمحات من سيرة واقوال الامام زين العابدين/ جميل ابرهيم حبيب

١٨-الشعر الصوفي/ عدنان العوادي

١٩-الفلسفات الهندية/ د. علي زيعور

٢٠-حافظ الشيرازي شاعر العرفان والانسان

٢١-الفيوضات الربانية/عبدالقادر الگيلانى

****

ملاحظة/

كتبت هذا البحث في عام {١٩٩٢ ـ ١٩٩٣} وقدمته في الاحتفال الثقافي الذي اقيم احتفاء بذكرى الشاعر الصوفي الراحل الشيخ أحمد الشاكلي في قاعة الفنانين بمدينة كلار التابعة لمحافظة كركوك عام ١٩٩٣.

قصة/ شيرزاد حسن
ترجمة/ نوزاد احمد اسود

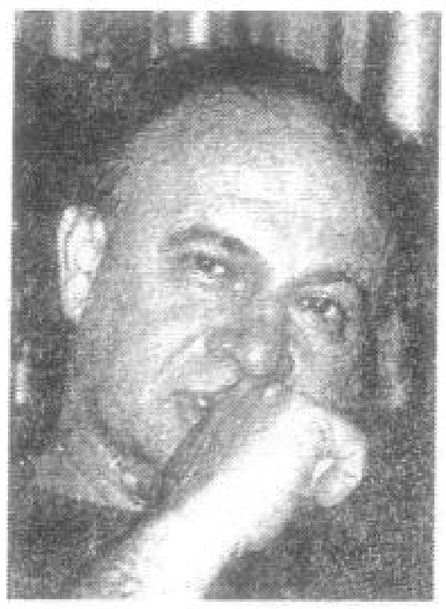

لوزان

بدلال رفعت "لوزان رأسها، ازاحت جدائلها التمرية الملفوفة التي كانت تحيط بجيدها، وسألت سؤالا ينم عن الملل والعتاب..

–(كفى ياالاس، لليال عديدة نجلس انا وانت في هذا البار الهادىء المعزول تماما وانت تتحدث دوما عن كردستان واجزائها الأربعة او الخمسة، لقد استوعبت تلك الجغرافية اللعينة افضل منك، اليس حريا ان تترك هذا الموضوع لليلة واحدة؟).

نظر "لاس" الى "لوزان" بحزن وبعينين تملؤهما عفة الشهوة و "الهم" المكبوت، كانت اضواء المصابيح الصفراء والحمراء قد اضافت سحرا محرقا الى عينيها الخضراوتين، عينان لايبدو عليهما اثر من الحزن او سالت منهما في يوم ما دموع لشيء ما او لشخص ما. بين حين واخر كانت تزيح شعرها التمري بدلال عاشقة بأناملها الرقيقة الناعمة، وبأنحناءة من راسها يسيل شعرها كما كان. كانت تحاول اخفاء خفائف تصرفاتها الأنثوية عن لاس عمدا او عن غير عمد، واحيانا اخرى ترشف من فنجان القهوة بشفتها السفلى، لم تكن تحتسى القهوة، فقط كانت تمس حافة الفنجان بشفتها السفلى بحركات كانت كافية لأثارة جنون "لاس" وهيامه.

كانت عيناها الماكرتان العابثتان تناديان ملء البار: "انهض وامسك بيدي.. انهض وعانقني". لم تكن عيناها متشابهتين، اليسرى يقطر منها العشق واليمنى ينبع منها الشهد، ما ان تغمض اليسرى تشعل اليمنى لتضيء ركنا مظلما قصيا. عندما ابعدت الفنجان عن شفتها السفلى بقي شيء من الغبار الأسود والطري بين ثنيات شفتها تلك، إن البقع السوداء لتلك القهوة العربية التي كانت لوزان تفضلها لم تستطع إخفاء دم شفتها السفلى الحار، تلك الشفاه التي أخذت بتلابيب لاس في برج (ايڤل) في إحدى الأماسي المغبشة. في تلك الامسية كان الاثنان في مهب نسيم منعش أخاذ، كانا يتطلعان الى الاضواء التي تنير باريس من الف جهة، ودون وعي منهما ودون الالتفات حولهما التصق لاس الخجول بلوزان امام حشد من الناس.

بأرهاق رفع كأس البيرة متطلعا من خلال لونها الذهبي الى لوزان متأملا وقد ارتسمت بسمة تائهة على شفتيه لتتحول الى ضحكة معلنة، قالت لوزان:

—(لماذا تضحك؟)

—(ان ملامحك خلف هذا الكأس تبدو غريبة!)

—(مشوهة..؟)

—(اجل.. ولكنها جميلة ايضا)

—(ولكنني اتذكر مرة كنا هنا، قلت لي: انا مرهق الى درجة ل أذوق معها الجمال..)

—(لوزان.. من حقك ان تعاتبيني، اعلم كم انا مقصر بحقك، في الليالي تجلسين معي للاستماع الى معاناتي وآلامي، ربما لايوجد باريسي واحد يحب الجمال بقدرما احبه.. ولكننا نحن الكرد لانستمتع بأي جمال اذا لم نمزجه مع الحزن والاسى، انت لاتعرفين الكرد جيدا، بمجرد بروز راسه من رحم امه يألف الاسى ، يالف الالم والدمع والمصائب، تناسب مع حليب الام في دمائنا، عندما تمرجح الامهات مراجيح اطفالهن وهن يتلون الترنيمة باكيات.. كثيرا ماشعر بأن انين وحزن امي قد استقر في روحي ومن المستحيل الخلاص منه..)

—(اخشى ان تكون مصابا بنفس مرض الروائي المعروف لدينا والذي بقي اعزبا.. اتعرف من اقصد؟.. گوستاف فلوبير..)

—(اجل .. كان هو الذي يقول: باستثنائي انا فان الرجال جميعا سعداء، هولاء يتفرجون على صدور وأثداء النساء واقدامهن وسيقانهن ويتمتعون بها.. لكنني لا ارى من تلك المشاهد غير الهياكل العظمية المخفية تحتها..)

—(اذن.. انت فلوبير اخر..؟)

—(لا يا لوزان.. انا وفلوبير مختلفان، ربما احس هو بالموت بصورة قاتلة، لم يستطع فلوبير مشاهدة الجمال من خلف الموت..)

—(الآن دعك من فلوبير.. قل لي لماذا تتهرب مني، لماذا لم تنم تلك الليلة في غرفتي؟ انت تعلم كم انا بحاجة اليك، لم انم تلك الليلة حتى الفجر ، لقد توسلت اليك بنفسي الم تخجل وقد تركت امرأة لوحدها؟)

—(كنت اكثر شوقا منك.. من العار احباط امرأة، والاكثر عارا ان تكون هي حبيبتك، يجب ان تنام جنبها عندما تكون بحاجة الى انفاسك الحارة..)

—(تذكرت كلمات زوربا عندما ذهب الى الارملة.. كان في اعتقاده اذا لم يذهب الى امرأة وحيدة فأن الله سيعاقبه يوم القيامة بالجحيم..)

—(لوزان.. ربما احب الرجال جميعا ان يكونوا مثل زوربا، واغلب النسوة يرغبن في رجل مثل زوربا..)

—(من المستبعد ان تكون انت زوربا، كل مرة اسأل نفسي: لماذا احببتني انا من بين فتيات السوربون كلها؟)

—(ربما لاننا نعشق الادب)

—(نعشق الادب فقط ام نعشق بعضنا ايضا)

—(أه.. انا اتعجب من رومانسيتك، ربما كنت الرومانسية الوحيدة في باريس!)

—(أي المجنونة الوحيدة)

—(انا لم اقل هذا.. لوزان ان اشخاصا مثلي ليس في باريس فقط بل ربما حتى في بلادي ينبغي ان يركنوا في المتحف..)

—(لااعتقد، عندنا ان الشرقيين هم في اوج الرومانسية)

—(في وقت ما كان الامر هكذا، لكن الآن ليس كذلك)

مرة اخرى رفعت القهوة وهي تتأمل الثمالة الراكدة، وهي تدير رأسها بنعومة مع انغام موسيقى (الدانوب).. متمتمة..

—(في تلك الليلة، نظرت الفتاة العربية في قسم الفلسفة في فنجاني وقالت: انك ستتزوجين رجلا غريبا..)

—(وهل صدقت انت..؟)

—(ليست المسالة التصديق، لكن بعض التوقعات جميلة حتى وان كانت كاذبة، انا نفسي احب الصدفة، كل ماهو مبرمج ونظامي لااطيقه..)

—(غريب.. فتاة سويسرية وطالبة فلسفة في السوربون تكره النظام.. في بلادي كل شيء يحدث بالصدفة، الحياة والموت والزواج.. حتى الثورة والانتكاسات، لكن ليست الصدفة التي تتكلمين عنها، هناك كل

الصدف او معظمها بشعة.. لذا انا وعلى العكس منك اكره الصدفة حتى العظام.. كنا شعبا رافقتنا الصدفة دوما ومنحنا انفسنا للقدر..)

–(لندع الصدفة جانبا.. لنتحدث عن انفسنا، عني وعنك في تلك الليلة عندما تحدثت عن كردستان...)

توقفت عن الكلام ثم تطلعت يمنة ويسرة حيث الموائد باستثنائهما قد التصق العشاق ببعضهم.. وضعت فنجانها متحسرة وقد شبكت اناملها العشرة بأصابع لاس، ارخى هو بدوره اصابعه المرتجفة، تأمل اناملها وقد بهت صبغ اظافرها، وتعجب من اصفرار سبابتها بسبب دخان السجائر. عندما شاهد لوزان وقد احنت رأسها تائهة، اراد ان يجعلها تكمل الحديث، عندما رفعت رأسها كانت مرتبكة تماما، سألت بحزن:

–(لاس.. في تلك الليلة قلت لي لماذا لاتغيرين اسمك؟ استغربت من طلبك.. لم افهم.. اسمي ماذا به؟)

–(حبيبتي لوزان.. لوزان اسم جميل وموسيقي.. لكنه اسم ليس بالنسبة لي فقط بل بالنسبة للكرد جميعا يرتبط بكارثة.. بل بخيانة..)

–(اية كارثة.. اية خيانة؟)

–(لاتتأثري.. ان سؤالك سيحول ليلتنا كبقية الليالي الى ليلة مزعجة.. علي ان اتكلم عن تجزئة كردستان..)

–(الآن فهمت.. تقصد معاهدة "سيڤر" لعام ١٩٢٠ حيث وعدوا بأقامة دولة للكورد ثم نكثوا وعدهم حسب معاهدة لوزان عام ١٩٢٣... ولكن ليس لهذا علاقة بي.. لوكنت ادرك انني التقيك كنت اتمنى لحظة ميلادي ولو بمعجزة ان لايسميني والدي بأسم لوزان..)

–(أي منهم من اهل لوزان؟)

–(لااحد.. والدي من قرية شمالي لوزان)

بهدوء سحبت اناملها من اصابع لاس وبحزن اخرجت سيجارا من العلبة حيث قدم لاس القداح بيد مرتجفة، لم يرغب في تقريب النار من السيجار المستقر بين شفتيها.. تأمل للحظة.. كان يخجل ان يؤذيها.

–(لوزان.. في قلبي سرٍ، اريد ان ابوحه لك)

–(تكلم يا لاس)

–(تتذكرين تلك الليلة في غرفتي وفي اوج العناق كيف انتفضت كرجل لدغته افعى..)

–(لاتذكرني بها.. لقد كرهت نفسي في تلك الليلة. كأنك لاتحبني يا لاس، احيانا اشعر وكأنك تمقتني..)

–(ليس هكذا يالوزان.. انت هنا اصبحت لي اختا واما ومن ثم حبيبة، لولا لطفك لأختنقت في هذه الغربة..)

–(اذن هذه عقدتك معي.. لماذا لم تتكلم كل هذا الوقت؟)

–(كنت خجلا.. لأنني اعلم لا انت ولا اسمك ليس لهما علاقة بتلك المعاهدة المشؤومة التي جزأت كردستان.. ولكن لاادرك كيف.. في تلك الليلة وفي حرارة العناق عندما صرخت : "لوزان.. حبيبتي لوزان.." تذكرت تلك المعاهدة اللعينة فجأة وشعرت كأنني لست لاس، رجل شرقي متعطش يشتهي امرأة، فتاة رائعة مثلك.. فجأة شعرت، رغم غرابة هذا الشعور وعدم منطقيته وعقلانيته.. شعرت بأنني تلك الكردستان المجزأة.. شعرت انني لست لاس بل ارض مجزأة.. شعرت كأن رأسي وشفتي التي كانت تتجول في ملامحك الناعمة.. شفتاك.. اذنك.. جبهتك.. شعرت به جسما منفصلا عن جسدي.. بقيت يدي اليمنى بين ثنايا شعرك ويدي اليسرى بأصابعها الخمسة والتي كانت تدغدع خاصرتك و وركك.. وقد تنأثرت.. وقعت شفتاي في فمك حاولت الصراخ وجدت لساني ملتصقا بسقف حلقي، لقد تساقطت جميع اسناني وتناثرت فوق ثدييك المتينتين.. فقط العينان بقيتا لسؤ الحظ تبصران.. ولو بعجز كامل كانتا ترنوان الى جسدي المبعثر.. جسدي الممزق.. حيث تنسال منه الدماء على سريرنا دون مبالاة، وكان جسدك المتفتح ينتظر بألم سواعدي المتناثرة لتحتضنه.. ينتظر شفتاي المقطعة لتقبله.. في تلك الحظة استحييت من عري.. وأنت من عريك.. من بعضنا.. استميحك العذر يالوزان.. لم اقدر.. ماذا افعل لم اقدر.. رجل ممزق مرتبك مبعثر مثلي وقد تناثرت اظافره واصابعه، انفصل رأسه عن الجسد، من العسير جدا ان يحتضن

اجمل فتاة في هذه الدنيا.. امام ناظري طفت اصابعي ومن ثم يدي اليمنى وبعدها اليسرى، ساعداي وساقاي ومن ثم جذعي على بحر الدم وقد غطست انت الثقيلة في دمي وضعت.. بجنون انا التائه ابحث عنك.. في نفس الليلة فقدت اجزاء جسدي جميعها.. وهي تبحث عن بعضها في بحيرة دمي التي كانت ترتفع باستمرار.. تبحث عنك وعني انا.. اصبحت في عمق بحيرة الدم.. حينا وبسباحة تطوفين فوق بحيرة الدم ثم تختفين بسرعة، ولكن كان من المستحيل في غرفة ملأى بالدم ان تلتصق اجزاء جسدى بجذعي والاكثر محالا هو ان اعثر عليك في بحيرة الدم تلك والتي تحولت امام ناظري الى محيط دم.. لاتؤاخذيني يا لوزان، انا اكثر رجال الارض انحطاطا لأنني ادرت ظهري في قمة الشهوة لأمرأة ناعمة مثلك.. افهميني يالوزان.. تمعني في جيدا.. انا شخص مبعثر.. ليس فقط شعبي وارضي و وطني مبعثر ومشتت بل انا نفسي ممزق ايضا.. انت تعلمين ماذا كان والدي يعمل؟ انه اقدم قصابي اربيل عمرا، واربيل اقدم مدن العالم.. لقد مزق والدي امام ناظري الآف المعز والخرفان والابقار، وامام ناظري كان الدم يسيل من اعناق تلك الحيوانات المجزورة مكونا بحيرات تحت اقدامي، كنت انا البدين القذر امسك بأرجل الحيوانات التي يقطعها والدي اربا.. وعندما كان يغضب يضربني بمقبض سكينه الملطخ بالدم، وكثيرا ما كان دمي يمتزج مع دماء تلك الحيوانات.. لوزان.. مزق ذلك الرجل روحي الى اجزاء.. في كل باريس وربما في كل فرنسا لن تجدي رجلا قاسي القلب مثله، دموي شهواني.. كان دوما يوزع اللحم مجانا على الارامل كي يجعلهن (مديونات) له ومن ثم يتزوجن منه غصبا.. انا لااعرف اسماء اشقائي وشقيقاتي، ربما كان لي اخ حمال في اسطنبول.. واسكافي في طهران.. دعيني ولاتثيري اشجاني كل شيء في حياتي مخلوع الجذور.. انا من هنا ومعك شعرت في نفس تلك الليلة ليست فقط بلادي وشعبي وكوردستاني ممزقة، لايا حبيبتي لوزان، بل حتى انا نفسي ممزق مثل الماعز العاجز الذي يأخذ القصاب بأذنه ليذبحه فيبدأ الزعيق.. أه يالوزان، الآن انا كبرت ولا استطيع تجميع اجزائي البمعثرة.. اعذريني اذا كنت احدثك بهذه اللهجة الدموية.. لحد الآن انا مندهش.. فتاة سويسرية ملتهية ب (المترو) والفلسفة في باريس بلد الشبان الفاتنين تعشق رجلا مثلي.. هناك في بلدي كانت اشباح اللواتي كنت أحبهن تتلاشى حتى في احلامي بسرعة.. لا.. ارجوك.. انا لم اصمد امام حب امرأة.. انا اموت.. اموت من حسرتي..)

كان لاس وهو يتحدث يذرف الدموع الكبيرة، تلك الدموع التي تذرفها الامهات الثكلى والارامل لأولادهن وازواجهن. كانت لوزان ترنو الى لاس. بحيرة واندهاش.. فتاة لم تجرب الحزن، ماكانت تدري كيف تواسي هذا الشاب الرومانسي المجنون، هذا الشاب الذي لايخجل ان يبكي في اكثر الاماكن ازدحاما.. لاتعلم لماذا اصبح اسمها مبعث كل هذا الحزن والبلاء. بعجز كانت تنفض رماد سيجارها في المنفضة، قالت : (كفى لا تبك كي لاينتبه الآخرون..)، رد بعسر: (أه لوزان.. انت تخجلين من مشاهدة احدهم لي وانا ابكي في البار.. نحن الكرد ولأعوام تستمع الدنيا كلها لأنيننا ودموعنا.. ان اكثر الشعوب تمدنا صامتة ازاء سفح دمائنا ودموعنا.)

—(حسنا.. حسنا.. فهمت.. غدا احاول ان اغير اسمي.. أي اسم توده

انت.. ما رأيك في اسم كردي؟)

—(أي اسم تتسمين به.. فأنت لوزان)

—(انت ظالم جدا.. انا لم اكن هنا عندما وقعت الدول معاهدة لوزان وقسموا بها كردستانك..)

—(لا تثوري يالوزان.. بثورتك تعذبين روحي اكثر، انا لم اقل ذنبك.. فقط اطلب منك المهلة كي اتخلص من هذة العقدة.. ساعديني.. انا اخشى لو التقينا في ليلة اخرى في السرير ان اؤذيك مرة اخرى.. لا تتركيني يالوزان.. انت الآن ملجأي، بدونك سأموت.. احتمليني لفترة يالوزان حتى لوكان تظاهرا.. اعلم انني اتعبتك..

اعتبري نفسك طبيبة وانا مريض مسكين و وحيد.. اعينيني يالوزان..)

–(غير ممكن يالاس.. انا فتاة واقعية.. لاتوجد فتاة بصبري انا.. مستقبلي معك غامض.. اعذرني اذا قلت انا لم اتعود على معاناة كهذه.. قبل لحظات سردت لي حلما مخيفا، فيضان من الدم.. من العسير ان افهم حلمك، المخيف هذا)

–(واثق انه صعب.. لكنه حلم رجل مريض.. مريض لحد الموت..)

–(ولكنني فقدت صبري.. وكفى)

–(لوزان تحمليني.. لاتتركيني)

–(كفى.. انا يائسة منك.. نتيجة الحب هذا معروفة.. الفراق لاغير..)

–(تمهلي.. بقيت لي كأس او اثنتان)

–(لقد انتهى كل شيء..)

–(الى اين؟ وعدتني ان أتيك الليلة)

–(كان وعدا.. لكنني ندمت.. لاتتصرف بنزق كالسابق وتزعجني في منتصف الليل..)

–(الوقت مبكر يالوزان.. انت لاتعلمين انني اموت في كل مرة حينما تسأمين مني واراك في ليلة تالية ملتصقة بشاب اخر..)

–(انا لست بمريم.. في الحقيقة.. كل مرة اقرر التخلي عنك.. ولكن..)

–(أكملي..)

–(انت تعلم..)

–(فهمت.. آتيك ذليلا.. اتوسل اليك كي تصالحيني.. انت تعلمين كم هو مهين لرجل شرقي ان يقع على حذاء امرأة..)

–(ولكنك تدرس في السوربون يا لاس..)

–(اللعنة على سوربونكم..)

–(يبدو انك جئت بعقلية فلاح ولاتبغي ان تتغير)

–(أه يالوزان.. مرة اخرى تريدين اهانتي.. انت المتحضرة تشتمينني)

–(اسمع يالاس.. يبدو اننا لانتفاهم.. عندك الحقيقة هي الاهانة..)

–(لاتغضبي كي لايسمعنا الاخرون..)

–(لاتخف).. لا احد منتبه لنا.. انظر هؤلاء منهمكون في نعيم العناق والقبلات.. اما نحن فنتعارك)

–(اعذريني لوزان.. كفى.. لقد فهمت)

–(لا.. اسمع.. لليال عديدة استمع الى شكواك ودموعك.. الحق ان تستمع انت الليلة الى معاناتي.. انا ولحد لان ولأجلك بقيت متشبثة بعذريتي..)

–(لا.. انت ذكرت مرة ان والدك رجل قروي..)

–(قلت.. ولكن انا الآن في باريس وانا حرة.. ومن حقي ان اتصرف كما اشاء..)

–(لهذا السبب اريدك.. لم اجد في كل باريس اطهر منك..)

–(عقلية عجيبة..)

–(لماذا العجب)..؟)

–(لاس.. عفة الفتاة ليست في ذلك الغشاء الرقيق ربما تمزق اثناء صعود ونزول.. اذا كانت العفة والطهارة موجودة فأنها في الخيال وفي الروح والدماغ..)

–(ما هي العفة عندك؟)

–(بقاء الخيال طاهرا)

–(يعنى انك متضايقة لبقائك عذراء والخطأ خطأي انا؟)

–(انا لم اتحدث عن الخطيئة)

–(حسنا اذا كنت متضايقة لهذا الحد من عذريتك فتخلصي منها..)

–(ها.. اراك تنفعل.. هذه المرة تريد انت اهانتي..)

بحزن اطفأت سيجارها في المنفضة وبغضب سحقتها لمرات عدة ثم سحبت قطعة منديل ورقية ومسحت بقية رماد السيجارة من اناملها .. وكان لاس يتمعن بحزن و بعيون دامعة في ملامحها و حركاتها و جمالها الذي يبدو من المستحيل الامساك به... جمال بسيط من غير تعقيد. رفع كأسه بيد مرتجفة وارتشف ما فيها دفعة واحدة... في اللحظة تلك نهضتْ لوزان و مسكت

علبة السيجار لتلقيها بغضب في حقيبتها .... وتركت عدة فرنكات على المائدة.. بصوت مبحوح ملىء بالخوف سالها لاس:

—(ماذا بك يالوزان؟)

—(انا ذاهبة..)

—(لماذا ؟ .. ماذا حدث؟)

—(قلت لك ... هذه الليلة احبطتني بشدة ... لهذا انا ايضا اريد احباطك)

—(تلتقين مع عاشق أخر؟)

—(هذا يخصني انا)

لمرات عديدة شاهد لاس هذا المشهد في الافلام... فتاة غاضبة تترك حبيبها وحيدا على المائدة.. ولكن لم يخطر في باله قط ان يحدث هذا المشهد معه و بقسوة بالغة في بار مركون كهذا.. فالت غير مبالية:

—(لاس.. لاتنزعج.. انا ذاهبة.. في تلك الليلة شاهدت نفسك وانت معي في السرير ممزقا، وها انذا اشاهدك الان كذلك .. كنت اتمنى لو جمعت اجزاءك المتناثرة.. لااستطيع مشاهدة رجل ممزق هكذا..ولست من الفتيات اللاتي بامكانهن مواساتك وتهدئة خاطرك..انا سعيدة هذه الليلة بتركك في مأساتك هذه لوحدك.. حتى تفهم ان المواساة لاتعني شيئا.. اعذرني اذا كنت اوذيك اكثر .. انا بحاجة ماسة الى رجل...احد عشاقي القدماء... راغبة في حنان و في عطف،بل نار شهوة ربما ليست لفتاة عاشقة.....)

—(لاتكملي لوزان... فهمت قصدك...)

—(لا.. اسمع .. في هذه الليلة سوف ابحث في الازقه والبارات عن رجل ارافقه الى غرفتي.. لكن رجلا موحدا وليس باربعة اجزاء !)

سحبت الكرسي الى الخلف، كان العشاق على الموائد منهمكين في احلى لحظات غرامهم.. لااحد انتبه اليهما حيث كانا منذ فترة يعاتبان.. معاتبة غلبت صدى وايقاع موسيقى (الدانوب) .. بخفة ادارت له ظهرها وخطت بنشاط.. دفعت البوابة الزجاجية وصارت على الرصيف.. توقفت لحظة... التفتت يمنة ويسرة وعبرت الشارع بسرعة.. بقامتها الهيفاء كانت تبدو من خلال اضواء السيارات مثل جسم سحري لامع كان لاس يتابعها حتى اختفت عن الانظار وقد هدأ البار باستثناء الهمسات و موسيقى الدانوب، لم يكن يسمع أي صوت اخر.. ملأ كأسه ورنا الى الفرنكات بحزن... بأنهاك امتد الى الخلف متأملا رسوم وزخرفات السقف... بشراهة احتسى كأسه دفعة واحدة.. كان خجلا من جلوسه هكذا وحيدا لوقت اطول.. تحرك.. لكنه لم يستطع الوقوف .. نظر الى نفسه متعجبا.. لقد تناثرت يداه وساقاه وسقطت تحت المائدة ... كان العرق ينصب من عموده الفقري... بحسرة تأمل في العشاق الملتصقين تحت الاضواء الخافته، لم يكن يدرك هل كان ذلك حبا و عاطفة مجردة ام شهوة شبابية... وضع روحه العذبة امام شلال موسيقى الدانوب العذب لكي يغسلها.. هل يصمت ام يصرخ ليجمع حوله السقاة و العشاق.. لا.. الافضل ان لايطلع على حالي احد كان يحدث نفسه في منتصف الليل بعد خلو المكان، اتوسل الى السقاة ان يطلعوا على حالي ولايخافوا.. لأنه لم يكن قط ان جلس رجل ممزق الاجزاء على مائدة يشرب ويبكي.. ان يرفعوا جذعك مع الكرسي و يرفعوا يديك و ساقيك فيما بعد..اتمنى ان لاينسوا شيئا.. في الليالي لاتنام باريس فهي الواعية لكل شيء باستثنائي انا.. في هذه الليلة اضواؤها لاتنير قلبي المعتم.. بلسان اخرس و بأنين ابكي واقدم لهم عنوان لوزان، حينذاك سيقدمونني الى سائق ثمل وهو يقطع بسيارته عشرات الازقة والشوارع ويهز رأسه مع صدى الموسيقى دون ان يكون منتبها للرجل الذى ينزف دما في المقعد الخلفي.. واخيرا سيرميك وحيدا وممزقا في احدى الارصفة امام احدى العمارات.. تغمض عينيك وتراها بعين الخيال، في وقت متأخر من الليل ستصطدم لوزان وعشيقها الجديد بشخص ممزق الجسد، عندما تلتصق بعشيقها كأميرة ترنو الى الجسم الممزق...اه انه لاس الحبيب، لاس المطروح على الارض دون اهتمام مثل جسم ميت بارد، عبثا ينزف

الدم منه ويسيل في ثقوب المجاري... حتما ستشفق عليك وستجمع هي وعشيقها جذعك المقطوع الاطراف و يصعدان بك السلالم ويرميانك فوق مخدع لوزان ... معا ينعدد الاثنان عبر السلالم ليجدا اربعة كلاب مسعورة عبر اضواء الارصفة وقد خطف كل منهم طرفا من اطراف لاس وقد ترك كل منهم خيطا رفيعا من الدماء على الرصيف، مرة لوزان تطارد الكلاب وطورا أخر عشيقها يطاردها.. خطوات ثم تفتر عزيمتهم و يرنوان الى بعضهما في حين تكون الكلاب قد تفرقت في الازقة... ويتعانق الاثنان ببرود و يصعدان الدرج، عندما يفتحان باب الغرفة.. يا للعجب... ان لاس غارق في الدم وقد اختفت الارجل القصيرة للسرير في الدم ايضا.. دم غزير لا يبدو نازفا من رجل واحد.. لون الدم.. رائحته و حرارته تبعثان شهوة قاتلة في جسد لوزان.. لاتستطيع الصمود، تغلق الباب برجلها و ترتمي في احضان الرجل الازرق العينين الذي رأنة في كل الشوارع ولاتعرفه... يرنو اليهما بعيون مليئة بالحسرة ويتساءل بلسان اخرس ولماذا كل هذه القسوة؟..

يتأمل العشيق الجديد ولايعرف هل هو امريكي ام اوروبي، فرنسي ام انكليزي ام روسي...يغرقان في قبلة حارة خانقة.. تطفو لوزان رويدا على دمائك و تغطس احيانا.. في بحر الدم ذاك يتعانقان.. بين حين وأخر يرميان بقطعة من ملابسهما ويلبسان دماءك المتخثرة... يبصقان دمك ... تملأ اذنيك بالدم حتى لاتسمع انين شهوانية لوزان ... كعاشقين مزيفين او ولهانين يلتصقان و يطفوان فوق دمك ... دمك النازف عبثا و دوما.

١٩٩٣/٤/١٤

*زقاق الفزاعات ــ مجموعة قصص، شيرزاد حسن، الطبعة الاولى ــ ١٩٩٧ .

قصة: شيرين. ك

ترجمة: عبدالله قرداغى

الجسد الابيض

انه الآن جسد هيولي، عيناه فقط باقيتان كما كانتا. لقد فقد جسده تقاطيعه، منذ متى!؟ انه لايعرف.. لان الزمن قد انطفأ لديه.

(كانت تلك المرأة تعشق عينيّ الى حد الوله.. ان عشقها هو الذي أبقى على عيني كما هما.. وإلاّ لم العينان فقط!؟)

المرأة تلك حين كانت تحدق في عينيه كانت تقول له أشياء غريبة كثيرة:

–انه لمؤسف ان تحبس العينان الجميلتان هاتان وراء عدستي النظارة!!

أو انها كانت تقول:

–عيناك خلف عدستي النظارات تجذبان النظر اكثر ..

كانت تلك المرأة أحيانا، لاسيما في بداية تعارفهما، تحلفه و تأتي بمنديل أبيض لتمسح به جفنيه وتقول:

–قسماً بالله أنك كحلت عينيك.. بالله ألم تكحلهما!؟

(كلما كنت أنوي ايقاظها.. كنت أمرر أهدابي على خدها الزجاجي.. كانت تستيقظ بصرخة كلها دلال بحيث يوقظ الرجولة فيّ وتقول أشياءاً غريبة تشبه الشعر)

–دعني.. لانعم بلحظات أخرى من الراحة تحت ظلال ومظلة رموشك!

حين صارحها بحبه لأول مرة خاطبها بعينيه، وبعد سنوات عديدة حين كانا يتذكران هذا اليوم، كانت تلك المرأة تقول له:

–كانت عيناك شبيهتين بسيف ماسي حاد، كنت أشعر بأنهما تقولان لي: اما حبي أنا أو الموت. لم يكن لي أي خيار سوي الأستسلام.

–وأنا الذي كنت قد ذقت أنواع البلايا، ولم أكن يوماً ما جبانا، الا انني، حين كنتِ تنظرين الي بمنتهى الهدوء، بتلك العيون الحالمة ، كانت ركبتاي تبدأن بالارتجاف والارتخاء، ولو لم أكن أحسب للناس حساباً، لكنت قد صرخت : أحبك..أحبك

حين وقف الجلاد القميء قبالته لاطلاق الرصاص عليه تقدم منه أحد الجلاوزة ليعصب عينيه، لكنه لم يسمح له بذلك وفلت نفسه بقوة فتركه هذا غير آبه بما يحدث..

(كنت أريد أن أرى كل شيء. كانت رغبتي الاخيرة هي أن تبقى عيناي آخر عضوين من جسدي حين ينطفئان..

ركز عينيه على الجلاد الذي أمسك مسدسه بيديه عالياً كي يصل الى مستوى جبينه..

(للحظة واحدة أعتقدت بأنني أستطيع قتله بنظراتي الحادة قبل أن يُصيبني الجلاد بطلقاته..)

صلية من الطلقات الكاتمة جعلته يترنح، وقبل أن يسقط على الارض توقف قلبه عن الخفقان وهو واقف وأنفتحت عيناه أكثرمن ذي قبل وتجمدت نظراته بمنتهى الغضب.

(قدر ما تستغرقه اغماضة عين أرتجفت يدا الجلاد وسمعت طلقة ترك صدى في جمجمة رأسي، فأنقطعت عما يدور حولي بعد ذلك و شعرت بأنني أنزلق الى أسفل داخل نفق بارد. مع انحداري الى الاسفل كانت أعضاء جسدي تتغير لحظة بعد أخرى ويصبح جسدي رويداً فرويداً رقيقاً و يتحول الى البياض فاقداًحجمه و وزنه حتى لم يبق له أي ثقل .. فجأة دفعتني قوة كبيرة من الاسفل دفعة قوية فجرفني اعصار ما كقطعة ورق أو ريش طائر أو ورقة وردة مقتطفة نحوالاعلى.. فتصاعد جسدي الضبابي الابيض الشفاف الىأعلى ببطء أول الامر ثم بدأ يسرع بشكل تدريجي)

دون أن يلتفت الجلاد القميء و الجلاوزة الى الجسد، وكأنما يطاردهم شخص ما، هربوا نحو السلالم بسرعة، ومر بجانبهم ببطء وتكاسل رجلان أو ثلاثة، كان أحدهم يتأبط قطعة من النايلون الملفوف تحت ابطه.

(في لحظة ما رأيت الجسد الذي كان لي وعرفته كان مسجاً هناك، في ذلك السرداب المظلم و الرطب، كانت الدماء تسيل بخط رفيع من صدغه على كتفه و رقبته ، وكان ثمة مسخان أو ثلاثة يقومون بلفه بقطعة من النايلون)

كان المطر قد توقف.. كانت الخيوط الاخيرة لاشعة الشمس الحمراء المتسللة بين قطع الغيوم الرمادية قد أصطبغت الافق بلون احمر، وكانت تعّمق ظلال الاشياء قتامة. وكلما كان حفار القبور يوغل في حفر الأرض كان ثمة طين وطين طين..

(في اغماضة عين شاهدت جثتي موضوعة في كيس ، وقد تمددت في حفرة قليلة العمق في سفح التل، وثمة شيخ يطمرها بالتراب والطين بمسحاة وهو يلهث.. بعد ذلك المنظر تصاعد جسدي الشفاف بسرعة كبيرة الى أعلى فدخلت الى فضاء كانت ألوانه تتحول بسرعة من أزرق فاتح الى أزرق فيروزي.. الى أزرق مخضر،الى أزرق غامق، نيللي، نيللي غامق، أسود، قطراني، وفجأة أمطرت علي ملايين النجوم و الاقمار والشموس).

في تلك الليلة كان الحراس، المشردون والتعساء.. السراق والقتلة.. المجانين.. القطط والكلاب .. العشاق.. وجميع الذين لا ينامون ليلاً كانوا ينظرون الى السماء بدهشة لأن عشرات الشهب كانت تتساقط..

(وسط تساقط الشهب والكواكب كان جسدي الأبيض يتأرجح مثل ريش ابيض أملس لطائر صغير.كانت عيناي تريان ولكن حواسي الاخرى قد تعطلت . كانت الرغبات والاحاسيس والاشواق منطفئة تماماً.. انذاك ادركت بأنني ميت.)

في حينه، عندما كان يعيش مع تلك المرأة، كلما كان التعب يهّد طاقته، حين كان التشاؤم يُظلم الدنيا أمام عينيه، كان يضع رأسه فوق فخذ تلك المرأةو يقول بصوت شبه محتبس ونغمة ملؤها البكاء:

-انني تعب جداً.. انني ضجر و الموت وحده ينقذني من هذا التعب. حين يموت المرءُ تنطفي احاسيسه كاملة.. ان الاحاسيس هي مصدر تعاسة الأنسان..

انه الآن جسم أبيض شفاف.. منذ متى؟ لايعرف.. ان جسده بلاحدود .. هل هو صغير أوكبير؟، لايعرف..

(أرى.. ان عيني وحدهما باقيتان على حالهما.. انني أريد أن أصعد عالياً أكثر.. أن أطير.. فهل من نقطة أعلى؟ يمكن أن تكون الجنة تلك النقطة، أولستُ شهيدا؟! لاأدري، أريد أن أنحدر الى أسفل.. نحو الأرض، لأعرف في أي مكان دفنت جثتي.. لكنني لاأستطيع..)

تلك المرأة تضع في كل عيد نوروز باقة من النرجس وفي رأس السنة لكل عام شمعة خضراء وفي عيد ظالانتاين (عيدالحب)تضع وردة حمراء أمام الصورة الكبيرة.

(لم يكن طبيعياً في حياته..كما لم يكن في موته طبيعا أيضا.. ان سحر موته كامن في هذه النقطة بالذات.. لايمكن أن يكون له قبر مثل الناس الاعتياديين ، لايمكن، لا..)

بدأ الجسد الابيض يتحرك جيئة وذهاباً تماماً كفراشة خريفية ذابلة في مهبِ ريح عاصف.. انه لايهدأ؟ منذ متى؟ كم سنة؟ كم قرناً؟ لايعرف..

آيادَب حروب الطواطم

كم مسيحاً أخر ينبغي عليَّ أن أصلبَ اليوم كي أكون مُخلّصاً؟! وكم مصحفاً ينبغي على((أبي موسى الاشعري))[1] أن يرفع فوق أسنّة الرماح كي يردع بني أمية تارةً، ويهدي الخوارج على((عليّ)) تارةً أخرى ؟! كم جرحاًعتيقاً أستنزف؛ كيلا تنتزح الغربة أباً من عيون صغاره..؟! كم جلداً ينبغي علي أن اسلخ اليوم للطواطم، كي ينمو الزغب على جلود العبيد و غلمان السلاجقة المستوردين من بلاد المافيا و التسكع والصعلكة؟! كم مرةً أخرى ينبغي علي ان أُذبح قرباناً تحت قدمَي جلادي؟! وكم حنيناً الى وطن مسروق ينبغي علي أن أُعلّبه في علب الشعارات كي تستقيم إلا بدمعة ((زينب))[2]؟! أفلا أيها القرمطي انهض إذن .. اليوم يومك، هيا اسفح زق الخمر على وجوه الآلهة الموبوئين بالدماء و الزنى بالا بجديات، والكتابة بدمعة الفقراء المهدورة هنا و هناك كي تُسترسل اللحى و تطلق أبواق البدع و الضلالات، أفلا أيتها النار اندلعي جنوناً إذن.. فأشجار البلوط كلها حُطبت، وان وان كانت على وجه الماء هشيماً.. فكم جنوناً ينبغي علي اليوم ان أسرق؛ ان أختلس كي لا تصرخ ((زينب)) بكل دهشة الطفولة:

— ألم نعد نملك حتى الخبز[3]؟!

— ((أرجمي (المهاتما)[4] بدمعة واحدة يا ابنتي؛ جرّديه اليوم من مِئزره واستري عري الطفولة فلقد طالت أنيابه كبد البراءات وطهر الآيادب، وتاه ملوك القرامطة في صحارى النفط و شركات التجسس والعمالة حتى أوقد ((أفلاطون)) النار في الجمهورية، فابتلع الرؤساء العروش في كروش ذويهم و بنيهم..وربما بين سيقان جواريهم وغلمان الليل ما برحت تتسلل الى مخادع حريم السلطان لاستنساخ القادة و الفرسان في الايام البيض الايام السود، عسى أن يتوقف قتل الخبز يا ابنتي، عسى ان تتوقف الزندقة و ينهض ((الحلاج)) فيبصق في لحى البرامكة و الرشيد معاً و يسري بالسحاب و خراجه اليك)):

— ولكن الخبز يا بابا؟!..

– أواه يا ابنتي.. كم بابا.. وباباً ينبغي علي ان أقتحم كيلا يعتقل الحقدُ الحبُّ، كيلا تخدر الدمعة في فوهة بندقية يقتلها الخجل مذ علقت باكتاف الاخوة الاعداء[٥].. فتراشقوا مراراً بالخيانات و خطايا باباهم! ؟ ألا تبَّت يداك يا بابا.. لماذا كنت بابا؟ و باباً مشرعاً لجحيمي؟! فكم قلماً آخر ينبغي علي اليوم ان اكسر؛ كي تعلو سنابل القمح بوجه الريح؟! كم صحيفة أحرق، كي تندلع النار في ثياب اللصوص، فيسقط الذهب المهرب من تحتها ؟! كم سوراً أقيم على الحدود، كي لا يتاجر المهربون بدمع الجياع؟! لم يعد لي من شيء سوى أن أصيح بأعلى صمتي؛ ويْلكم من دمعة((زينب)) غداً.. يدركها (الحسين)، فدراهم((الحجاج)) بدأت تسعى جنوداً تحاصر سبي الحريم؛ تطوق عنق((يزيد)) و هامت الإبل في صحراء البلوط[٦] ولسوف تدرك البلاط. فلقد غلطت حوافر الخيل جوعا، ودارت الانفالات دورتها واجتاحت ظلال التين و الزيتون و هذا البلد الأمين ثانية؛ وماجت سفوح((سفين))[٧] و عانقت ((هلگورد)) و ((پيرمگرون))[٨] واجتاح الماء ((دشت هولير)) وغضب السماء أوشك على الهطول؛ وتفشت الاسرار طاعوناً في نزلاء ((الشيراتون))[٩] و انطلق الهمس من عتمة الحناجر المخنوقة بكل دهشة المشردين عن الديار و الخلان، كم أنثالاً ينبغي ان نتلقى اليوم كي ينقطع نسل اللصوص وغلمان السلاطين و الزناة بدمعة الاطفال؟!

كلكم سرقتم ألوهيات الآلهة واغتصبتم عروشاً كانت مخبأة في آهات العراة الخفاة فهل أُلملم كل تلك الآهات.. كي نتوقف دمعة ((زينب)) عن احراق النرجس وغابات السنديان؟!

كانت عيناي معلقتان في الافق الممتد بعيداً أمامي بلا هدف، عندما كانت العربة تندس في الآتي من المسافات كسهم تمادى في اختراق ذلك الفضاء الملبّد بالزرقة و الفراغ.. و حينها، لم اكن أحس بشيء سوى الرغبة في الاستمرار بتلك الانطلاقة، على الرغم من أن رأس أحد رفاق السفر يسقط فجأةً بين الفينة والاخرى فوق كتفي، فيستفز في داخلي عويل المكان.. فيجتاحني الأنين وإحساس مقرف بانني مازلت ساكناً في مقعدي الذي لم يكن يربو على شبرين من الارض الهاربة من تحتي الى الوراء. لم تكن الذاكرة قد أبرقت لمحطة قادمة، ولم تكن قد رسمت جدولاً بالنقاط الحمر في خارطة المغادرة عندما بدأ رطانات الحوارات المألوفة والأسئلة المدجنة تقتحم الاسماع بلا استثناء أو استئذان فتتوزع على هواها في فضاء العربة التي كانت قد تكورت تماماً في رحم الريح الساكنة و المسكونة بالصخب والأنين. لست أدري أي فضول بشع رفعني الى التقاط بعض تلك الرطانات المدجنة في زريبتنا منذ زمن بعيد دون ان يقوم أحد بتنظيفها:

– هربا من الزريبة؟

– وهل تظنك تدرك فردوساً؟!

– لا.. ولكن الحياة هنا فقدت و جهها..

– تعني اغتصبت واصبحت عاهرة؟!

– ماذا؟!

– لاشيء.. كنت أدندن لحناً قديماً..

– وتسافر؛ وانت بهذه الحالة؟!

– وماذا بها؟!

– عفواً.. تخيلت شيئاً ما ولكني لم أمسك به..

– عليك ان تنشب مخالبك جيداً كي تمسك بشيء.

– وهل تظن شيئاً بقي للامساك به؟!

– بصراحة.. كان((الخردل))[١٠] أرحم.

– والانفال و التشرد في الخوانق و الكهوف..

– والزرائب المفروشة بالزرق و بول الحمير وو..

– وكبس الرؤوس حيةً في البساطيل السود..

– ماذا قلت أستاذ؟!

– لاشيء..لاشيء، كنت أدندن لحناً قديماً.

— في الحقيقة ان للسفر في أيامنا هذه، أرباحاً مركبة،

— مثل أرصدة الساسة في البنوك الاجنبية تماماً.

— اللهمّ لطفك يارب..

— كلما كان العُري أقبح، كانت الارياح اكثر واسرع، إنه القانون.. اليس كذلك؟

— ماذا؟!

— لا..لاشيء، كنت أدندن...

— لحناً قديماً، أليس كذلك؟ لطفك يارب..

— بالسفر، كما قلت ياسيدي، تزداد ثقافة و اطلاعاً وخبرةً.. واذا ما سهل الله لك سبيل الرزق، فالفرق في صرف العملة،

— حدث ولا حرج..

كانت الاشجار والاكمات و الجدران و البشر والبقر كلها تمرق بكتفي الطريق كما تخر الشهب وتتلاشى((قبل ان يرتد اليك طرفك)) ولكنها لم تكن تعني شيئاً في ذاكرة أدمنت على تهريب المسافات عبر برامج الانترنيت؛ فصليل السيوف البابلية و الاشورية والميدية والساسانية، وصهيل الخيل الأموية و دسائس العباسيين كانا كافيين لاستدراج صرخات الاسكندر في الكورداخيين الى الخوانق و السفوح الموبوءة بالخردل وغاز الـVX [11] ومن ثم كتم أنفاسه في عنق الرحم قبل الولادة.

لم تكن الرطانات قادرة على القتل من الطهر مثل الاشاعات التي كانت تتخذ الاشكال التكعيبية و السوريالية في مقهى ((مچكو)) [12] و أقبية المجلات و الصحف المحلية ولكنها كانت أشد فتكاً من ذلك الافق الممتد أمامي إذ كنت ألهث هارباً من مخالب تلك الدمعة التي كانت قد بدأت تتحجر في مقلة((زينب)) وهي تدندن لنفسها بكل دهشة الطفولة:

— ولكن الخبز يا بابا؟

فكيف بالحليب اذن .. يا ابنتي؟ وعلب النستلة، وسلال الفاكهة المستوردة في ثلاجات مكاتب رؤساء

التحرير، و صناديق سياراتهم الفارهة؟! وكيف بأبيكِ وساقيه النحيلتين اذ تذرعان((الستيني))[١٣] دورة، دورتين، ثلاث.. وربما، أربع دوراتٍ في اليوم الواحد .. ومن ثم يعود.. ويعود جافا، يابسا، وقد نضح الماء المخبأ تحت جلده كله، ولاشيء البتة، سوى الوعود.. أجل وعود مغلفة بـ((إن شاءالله)) و شرائط ملونة:

— هل تأكلين الوعود حبيبتي؟! إنها لذيذة..

— نقتله[١٤]؟!

— نعم يا ابنتي .. النستلة الوحيدة التي عزمتها هنا.. و منذ سنوات وأنا ازدرد الكثير و الكثير منها، فكيف بي و كيف بأيادبي المجهضات؛ واسمي المسروق في أضابير محاكم التحقيق السرية و مراكز الشرطة؟ وكيف بالرغيف المعلق في السماء وأنا لا أطال حتى سقف بيتي ولا حتى رأسي الذي لم أعد أجده فوق كتفي؟! وكيف؟ وكيف؟ وكم كيف أكيّف كي تفهم العشيرة والأهل، ويدرك القوم انهم يمضغون لحمي و يجترون تاريخي فيتقيأوني قيحاً و صديداً قد يتسلل الى المياه الجوفية فينشر الوباء فيهم حيث دخلنا عصر الأوبئة وفضائياتها البلاحدود؟! أواه..أواه، ياسفراً بلا محطات على طرقات بلا أوطان، بلا جواز سفر، بلا هويات، إذ تتعالى الرطانات، وتتعفن رطوبة الحوارات، وتمورميامها الاسنة بالضفادع الميتة:

— ما أرخص الهويات في ((شيخ الله))[١٥]؟!

— حتى الجوازات، وان كانت مزورة!؟

— وهل نملك شيئاً واحداً ليس مزوراً؟!

— نعم أستاذ؟!

— لا..لاشيء...

— الپاسپورت البلوك[١٦] بعشرة آلاف دينار

— لا..لقد بلغ في الاونة الاخيرة مع الفيزة، سبعين ألفاً..

— هذا يعني انه ينبغي علي ان أدور ((الستيني)) سبعين الف مرةً ولا أحلم بپاسپورت.. سيزيف يأكل شبابه و يشرب النار، يداعب صخرته بقدم عارية.. نسي حذاءه فوق فوهة بركان، يبحث عن التنين..

— ماذا تقول أستاذ؟!

— لا..لاشيء، كنت ادن...

— اللهم رحمتك.. لطفك يارب..

((كم وجهاً أبصق فيه كي تشغل المرايا وتعود الى ماكانت عليه الوجوه فيها؟ كم مراة أحطم بكف خاوية كي تعمل الانوف المجدوعة بالزكام؟! لقد طالت النتانة عنان السماء؛ حتى انحرف الاولياء أيضاً وبدأوا البحث عن النشوق و تعاطي الهروين المخبأ فيها؛ فكم ركعةً أصلي كي تعود النبوءات الى طهرها؟! كم شهراً أصوم عن الكلام كي تتعلم الألسنة كيف تمارس اللواطة بكلمة ((لا)) واحدة.. واحدة فقط!)) وسقط رأس على أحدى كتفي، فأقلق السكون الذي كان يسكنني؛ حدقت في وجهه فاستجاب بابتسامة معتذرة واشغل يديه بالبحث في جيوبه؛ قدم لي سيكارة فاخرة وأتبعها بعود ثقاب مشتعلة في محاولة سريعة لاشعال النعاس الذي كان يخيم عليه. مجّ سيكارته و نفث حلزوناً من الدخان سرعان ما أفشى عبق الحريق في داخلة؛ ثم تمتم وكأن أحداً لا يصغي إليه:

— من مساويء السفر وحيداً أنك تظل تلوك نفسك..

— ((وتشعل الحرائق في داخلك وتظل تحطب لها ذكرياتك دون أن تصادف أحداً يستوقفك ويقول لك كفى، فتحتد المسافات امامك اكثر فاكثر كلما أوغلت في الصمت و التدخين المزمن الذي غالباً ماكان يضطرك الى استجداء السيكارة أو سرقتها أحياناً من ذلك الشحاذ الضرير الذي كان يحتل نهاية شارع((آراس))[١٧]، لم أشاهده يوماً قط مثلي؛ كان دائماً يفرش أمامه منديلاً متربا تتوزع فوقه دنانير معدنية و بضع سكاير يلقيها إليه ابناء السبيل؛ غالباً ماكنت أحسده فيما كنت اجتازه، وكم راودتني الرغبة

في الجلوس الى جانبه أمج سكايره وأسكت وجع قدمي وركبتي، آه..ما يزال الوجع يتجمع في عظام الكاحلين، ويتسرب الى الذاكرة المسافرة الى التيه)):

- هل تسافر للعمل؟!
- بالتأكيد.
- وفي هذا العمر؟! أغني قد لا تجد أحداً هناك يستخدمك...
- لابد أن أجده حتى وإن استخدمني في غسل الاواني ..
- أوه.. انت متفائل جداً، أحمد ربك واشكره، إن استخدمك أحدهم في تنظيف المرافق الصحية.
- لا يهم العمل.. ومهما كان حقيراً فهو عمل وأجرة بالدولار، وهذا كما تعلم اليوم.. قمة الطموح في بلادنا..
- وفي زمن الحروب..
- ((حيث لا وقت فيها لشيء سوى التيه))!
- يبدو أنك بدأت تعاني من مرض ((الهومسيك))[١٨] ومازلت في الطريق الى الغربة؟
- كلا..لست رجعياً الى هذا احمد.. فهذا مرض العصور الوسطى.
- ولكننا عرفناه مؤخراً، أفلا تحب وطنك؟!
- ألم نغدره بعد؟
- لقد اجتزنا بوابة((ابراهيم الخليل))ألاتعلم؟
- ((آه... بوابة الجحيم.. أين انت يا ((دانتي))؟!
- ماذا قلت استاذ؟! انها بوابة الدولار.
- تفو..تفو..تفو..

ربما ساوره الشك في بقاء رأسه فوق كتفيه، ففرك فروته ومجّ سيكارته طويلاًوهز رأسه فيما كان ينفث حلزوناً آخر من الدخان استنشقته ساخناً بدلاً منه. كنت أحس بالجوع الى المزيد من الدخان و الحرائق على الرغم من ان سيكارتي لم تكن قد انتهت، ولكن رغبة جامحة في البكاء اجتاحتني عندما ضج الفضاء من حولي بالأنين.

قراءة ارقام النص:

١) طلبته مراراً خلال السنوات السابقة و مازلت الح عليه بالحضور ليرفع القرآن على أسنة الرماح لوقف اقتتال الاخوة..و لكنه...

٢) آخر العنقود..على الرغم من انها ماتزال في السنة الثالثة من عمرها فانها اكملت قاموسها اللغوي تماماً باستثناء حرفي((الزاي))و((السين)).

٣) الخبذ في لغة الاطفال تعني الخبز وان كان الكبار ايضاً قد أحبوا اللثغ بحروف الكلمة العذيزة.

٤) العراب.. الاب الروحي في الميثولوجيا الكوردية المعاصرة.

٥) لأنهم فقدوا القدرة على التعرف الى عدوهم، ادمنوا قتال بعضهم حتى فقدوا وجوههم ولم يعد بمقدورهم حتى التعرف على بغضهم..

٦) قصة قصيرة للمؤلف سبق وان نشرها في جريدة ((صوت الشعب))

٧) سلسلة جبلية تطل على مصيف ((صلاح الدين))وشقلاوة في كوردستان العراق

٨) سلسلة جبلية تطل على السليمانية في كوردستان العراق ايضاً.

٩) فندق سياحي في أربيل، اعتصم فيه المقاتلون الكورد حتى اصبح هيكلاً عظمياً مجرداً من كل شيء حتى اليوم ولكن المشردين ما برحوا يسكنون ذلك الهيكل العظمي كنوع من الدعم المعنوي للحركة السياحية في عاصمة كوردستان.

١٠) الغاز الكيميائي الذي استنشقه الكورد مراراً... فغابت عنهم وجوههم و رحلت الى المنافي و ممالك الغربة.

١١) الغاز الذي استشهدت به مدينة ((حلبجة))

١٢) المقهى التي أدمن الادباء الكورد على معاقرة الجلوس فيها وتقع الى الجهة الشرقية من قاعدة قلعة ((اربائيلو)) التي تقتلها الاشاعات منذ خمسة آلاف

سنة ولم ممت حتى اليوم علـى الرغـم مـن تشبع تلـك الاشاعات بغازات الخردل و الـVX.

١٣) شارع رئيسى بعرض ستين متراً يدور حول مدينة اربيلٍ بشكل دائري وقد صممته السلطات العراقية حرجاً منها على جمالية المدينة التي تجلت مراراً في سهولة تطو بقها بالدبابات والمدرعات واحكام السيطرة عليها.

١٤) نوع من الشوكولته يحبها الصغار و الكبار و لكنهم يلثغون بحرف السيل فيها لان حكومات الاقليم و فرتها لهم بكثرة.

١٥) اكبر اسواق ((اربيل)) لتداول العملات الاجنبية وتزوير البطاقات الشخصية وجوازات السفر وشهادات الميلاد والوفاة و الماجستير و الدكتوراه و الساسة واقطاب التصوف و المذاهب والايديولوجيات المعاصرة في ظل سيادة القانون!

١٦) جواز سفر غير مستخدم و غير مغسول بالاحماض و السوائل الكيمياوية المزيلة للاسماء والبيانات الشخصية . والپاسپورت هي البضاعة الاكثر رواجاً في سوق((شيخ الله))!

١٧) شارع رئيسي في مركز مدينة اربيل يضج بالمكتبات و باعة الصحف و المجلات ويحظى دائما باهتمام كل الناس حتى الشحاذين والمكفوفين و المعوقين.

١٨) الهومسيكHOME SICK: مرض الحنين الى الوطن والترجمة الحرفية هي مرض الوطن الذي انتشر في معشر الكتاب و الادباء و الشعراء و الفنانين مثل وباء الكوليرا في كوردستان .. وللاسف يشعر سياسي كوردي واحد بالنخوة والشامة لمقاتلة هذا المرض على الرغم من خطورته على السياسة القومية والوطنية، والغريب في اعراض هذا المرض انه يتفشى بين هؤلاء المرضى وهم داخل الوطن فغالباً ما تراهم في بلادة الحمير في شوارع أربيل. ٢٠٠/٦/٢٩

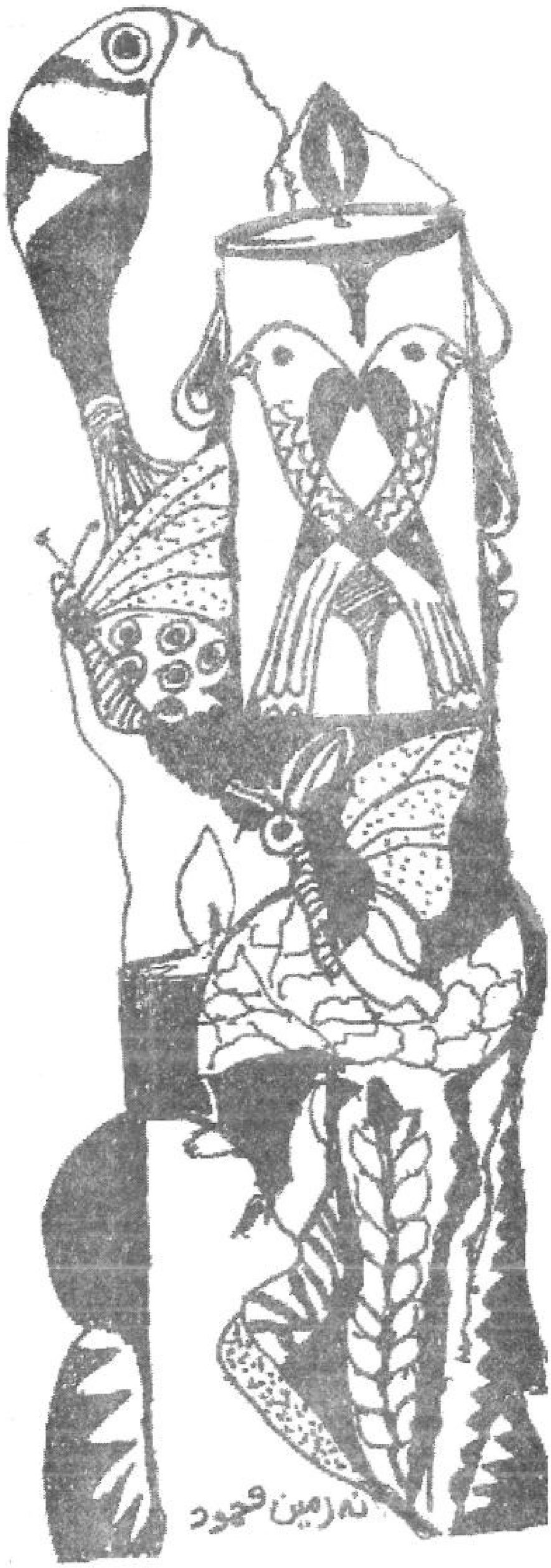

د.لطيف محمد حسن

تداعيات امرأة استثنائية

سمعتُها تتمتم بصوت كسير: دعوني يا إخوتي البشر فأنا أقول لكم: يا إخوتي البشر ولو أنكم غرستم أنيابكم في لحمي وعظامي و دمي... دعوني فأنا رأيت الجريحَ يُداوى و أنتم داويتم جرحي بطعنة خنجر فوق جرحي!! كأنها بصوتها الكسير هذا أزالت كل شارة و هالة حول نفسها فما رأيت لا شهادة و دكتوراه ولا ثلاثين جائزة فخرية نالتها هي، فما رأيت إلا إمرأة تنطق بكامل أنوثتها و رقتها.... وكنت غرقا في لجة هذا التأمل، سمعتها من جديد ولكن هذه المرة تخيلت أنها توجه الكلام إليّ:

–ماذا بك أراك مدهوشا؟!

كدت لا املك جواباً ولكن قلت بتلعثم:

لا.. لا يا سيدتى لا شيء... و حدسى قال لي، انها تريد أن تبوح لي بقصة ألم متأجج في صدرها ولكن قبل أن تفتح فاها، لهيب حسراتها لفني، وأمواج خيال متلاطم غمرتني كشريط سينمائي مستعجل ... رأيتها صبية تحوم حول والدتها المريضة، تذرف الدموع على الوالدة المبتلاة بداء عضال في صدرها الذي طالما احتضها وهي طفلة....

رأيتها تنقل الخطو من دار الى دار في محلات (وارسو) تلقي الدروس على صبيان و صبايا هؤلاء الذين منَّ الله عليهم بشيء من نعمائه لقاء أجر كانت تعاون بجُزءٍ منه أسرتها المتواضعة، و ترسل البقية منه إلى أختها (برونيا) الطالبة في الكلية الطبية بجامعة (سوربون)، رأيتها هي كذلك ملتحقة بالجامعة نفسها طالبة في كلية العلوم.. رأيتها منزوية في غرفة موحشة تقضي ليالي الشتاء القارس من غير مدفئة يقلل لهيبها شيئاً من رعشة جسدها الذي أضناه البرد والجدو التعب والتقشف.... ورأيتها على سريرها في هذه الغرفة مرتدية كل ما تملك من الملابس تقيها البرد القاتل، وهي غارقة في صفحات و أسطر كتبها...

كانت أفكاري تنقل الهمس من بين هذهِ المشاهد في طرفة عين، فاستقر بي المطاف على حروف سوداء فسرعان ما ملأت لوحة أمام عيني، فلم أكد أرى شيئا سواها، إذ توصفها بـ (سارقة الأزواج)...

فشهقت شهقة من يُرمى في البحر وهو لايجيد السباحة.. وربما كما لفتني لجة الخيال، هي كذلك كانت غارقة في همومها و خيالها، و حين رفعت رأسي فلم أتمالك هذهِ المرة إلا أن أكون صريحاً معها فقلت كمن يرمي طلقة:

قرأت عنك خبراً عجيباً....

—أعرف ماذا تقصد، أو لست تعني ماكتبت الصحافة الفرنسية بشأني... (سارقة الازواج)..

فأنا تعرقت خجلاً - يا إلهي - كيف تتجاسر إمرأة أن تقول على نفسها هذا... وقلت لها:

ولم يا سيدتي خالفت حكم الدين وعرف مجتمعك،

—إن احببتِ بعد ما فقدت زوجك الراحل فهلا أحببتِ رجلاً أعزبَ غير الاستاذ (ثول لا تكفان) المتزوج و الأب لطفلين... و أردت أن أردف سؤالي بلفظة مسكينة، لكنها هي سبقتني إليها:

يا مسكين، فهل لأحد سلطان على مملكة القلوب؟! وأخاف أن تكون أنت كذلك واحداً من هؤلاء الصحفيين الثرثارين؟!...

فقلت: أنا وهذا النوع من الصحافة... أنا والثرثرة و الفضولية ؟! أنا وأن أنفخ في الأبواق نفخ هؤلاء، كأنهم لم يجدوا نغمة أخرى إلا أنتِ و أمراً من امورك الشخصية، حتى إنهم بصلافة و قفوا لك بالمرصاد على باب (مؤتمر سولفاى العلمي)...

لولا أن ستروكِ.... لولا أن ستروكِ....

الا يوجد موضوع آخر لهؤلاء الا أنت كأنه ليست هناك أمم تَبيد و مدن تُدمر وأوطان تُحتل.... قالت:— وربما وقع كلماتي كان برداً وسلاماً على قلبها هوناً يا أخي هوناً عليك.. أ تابعت تفاصيل اخبارهم؟ أما وجدت لحن حقد وظلم و عصبية مقيتَة إن تابعتها فلا ضير من الاعادة وان لم فأسودها عليك، فأسمع مني ماذا يقولون ((و الآن ايها الفرنسيون هذهِ هي... البولونية المهاجرة جاءت إلى بلادكم فقيرة ، مريضة جاهلة، فتعلمت، و شفيت من أمراضها، وأثرت، و تزوجت فتىً فرنسياً لامعاً في علمه... لم تكن عظام الزوج قد بردت في قبره حين انشأت علاقة آثمة مع زميلها و زميل زوجها الاستاذ (ثول لانكفان) عالم فرنسي آخر تسطو عليه الأجنبية الغريبة، سارقة الازواج))

فلم اتمالك الا و صحت:

صحيح كما قلت إنها عصبية مقيتة بغيضة...

—رويدك فأنت أدليت برأيكَ، دعني أنا أقول أنا صاحبة الأمر.. نعم جئت الى بلدهم و تلقيت علماً و لكن كانت حروفه مكتوبة بالماء، أما عندي فلم تبق الحروف كما كانت ماءً بل أرجعت لهم الفضل كل صاع اضعافاً مضاعفة، فكتبت لهم حروفاً من نار... إنهم يمنون عليَّ بجرعة دواء أخذتها من مستشفياتهم فأشفى الله بها سقم جسدي ولكن عيونهم نائمة أو منومة عمّا قدمت لأبنائهم من زبدة أفكاري و علمي فشُفيت بها قلوبهم و عقولهم، فلا النوم عليهم ما أكثر عشاق الكباب و ما أقل عشاق الكتاب!! ويعاتبونني على (فرنكات) حصلت عليها بعرق جبيني و سهري وكفاحي كأني سرقتها من خزائن آبائهم التي حتى الفئران لا تجد إليها سبيلا... وشاباً ألمعياً خطفته و سطوت عليه، أنا خطفتُه أم هو خطفني، وحرّمني من نسيم وطني، و دغدغة مهدي و ارجوحتي، و حضن أرمعي و قهقهتي؟! يا ليتني كنت قروية لا تعرف من

الحياة الا النبع و مرابض الشياه... وياليتني... و ياليتني لم...

صدى كلماتها كانت تتخلل وترن في أعماقي، و تقارب الخيال شدَّني الى أفق بعيد... بعيد كي يجول فيه خاطري كيفما يشاء، فوقعت في مناجاة نفسي: و الآن يا (مانيا) لم فعلت هذا؟ أيقظته روح كانت كامنة فيك و أيقنت أن لا جدوى للعلم وحده ولا حياة ولا روح فيه إلا أن يدّب فيه الود و المحبة؟ وكنت تفتقدين هذه المحبة أيام زوجك الراحل أم كنت جاهلة بها وما اكتشفتها حينئذ؟

مسكينة... مسكينة يا مانيا لقد اكتشفت في حياتك إكتشافين خطيرين ، الأول : الخاصية الشعاعية في عنصر الراد يوم، التي شاركت في تقدم ابحاث الذرة التي ومرَّ بها إخوانك البشر بعضهم بعضاً من بعدك...

و الثاني الحب الذي أنت دمرّت به نفسك...

مسكينة... مسكينة يا من كافحت كثيراً ويا مَنْ عانيت من فقدان حنان الأم في صغرك و فقدان الزوج في نضجك، و الخيبة و ضياع الأمان والراحة في كبرك...

ولكن ـ يا مانيا ـ مع ما فوجئتُ به من أخبارك، ـ والله ـ أنك لا تزالين موقع إعجابي، و أكن أجلالاً لكل خطوة مشيتها في دروب مدينتك لتعليم تلك البراعم اليانعة، و أكن اجلالاً لكل لحظة قضيتها في غرفتك الزمهريرية وأنت طالبة جامعية، و أكن اجلالاً و احتراماً لكل لحظة تفكير و تأمل قضيتها في مختبرك مستنتجة الاكتشافات العلمية...

أما خطؤك هذا ـ إنْ حسبناه خطأ ـ وقد يخطأ حاطب بعدما شهد بدراً فحذار... فحذار يا عمر أن تسلَ السيف بوجهه ! ! !

***النصوص داخل المعكوفتين مأخوذة من كتاب ((الغريب و المثيرفي شخصيان التأريخ اعداد طاهر محمد القصاب))**

***توظيف لما حدث في التأريخ الأسلامي حينما بعث حاطب بن ابي بلتعة برسالة سرية الى أهله في مكة تكشف عن نية المسلمين في فتح مكة، وحينما حصل المسلمون على الرسالة، فناداه الرسول (ص) و كان عمر بن الخطاب أراد أن يضرب عنقه بسيفه فمنعه الرسول(ص) من ذلك و قال المقولة الموظفة هنا.**

ترجمة الشاعر عباس بوسكاني

كتابة نص مع الشاعر المعاصر

(رفيق صابر)

(١)

بحيرة طفل ألامس الصبح
و اشم رائحة الشفق و الخضار
أتمعن في اوراق الشجر و الندى و النهر
و هي ترضع الضوء
اهب لألم الالوان المتناثرة
و اصرخ كطفل:
المع ايها الجمال
ـ بنفس الحيرة اسمع غناءك الشجي
مع نغمة بعيدة (١).

- انامل تمسك باقباس من الألوان تعزف على اوتار جدائل الشجر، اول اغنية بعد الرضاعة.
- رحم الشفق جمبذة تشهق بهدوء حتى السكرة...
- ترقص الندى على خواصر الالوان بغنج غجري، تذوب سحراً و تلمع بفرح طفولي.
- الشفق يطرح و شاحه الهلامي، ليغسل المخيلة قبل ان يغزوها صهد الشمس.

❖ صخرة عتيدة وسط النهر تحبس انفاسه تقول:

ـ اصمتي ايتها الامواج لنسمع سمفونية خلاخيل الندى. . . !

❖ نسيم يحمل على اكتافه نغمةً، بهدوء على الشاعر تحت الشجر ليستفيق من غفوة الضياع و الحيرة...

ما زالت عيناك الناعستان بقايا حلم ما

ضفائرك الليلية لم تزل كما القمح الأخضر تنثر

عطر التراب و المطر و الشمس

اصابعك الناسعه ما زالت تلعب بالضياء

و تزيح غشاء الظلمة عن قلبي

عارياً مدهوشاً

اصابعك

تجعلني اواجه نفسي (٢)

❖ اصابعك حقول ابدية على بياض مخمل تفتح الف الف فم في ثناياها.

❖ سرير يتارجح على اقباس النور...

تحت الوسادة حلم وردي لاتفسير له غير الذوبان في عشق ازلي.

❖ اصابع نعسة تغسل وجهها بمنديل الشفق

تنغرس في هضبات الجسد لتكتب عليها انشودة الضوء.

بنفس اليد التي كنت المس بها جبين الغيم

ايقظت الحجر و الجذور

بنفس اليد

منحتك مستقبلي كباقة ورد

بغرور طفولي كنت اعتصم

و اوصد الباب بوجه اليقين

ثم افتح الشباك و قلبي بوجه الشك

بنفس اليدين

رأيت الانكسار في قيد معصمي

كان رديف العبودية

و شاهدت على جسدك السرور

كان رديف الجمال (٣)

❖ غيمة تسترخي على ارائك السماء تحلم بان تلامس الارض.

مطر كطير رؤوس الحجر، يشق حجاب الارض لتوقظ الجذور.

❖ باقة ورد تحمل بيدها سلة من الاحلام

❖ وجه اليقين، يعني اليقين. منذ الأزل

ـ افتح الباب: دعه يدخل، فقد الحمل القمر وجبته المفضلة الشك.

❖ شباك معلق في الفضاء، الزائر الوحيد شمس بوجه مضحك تسخر من الظلام.

❖ حول الحلمين، فرقة اوركسترا تعطر الجسد

بكونشرتو،

تباركها يد مشمعة بدموع الغيم

قيود تتحطم على المعصم... آه آه.. منها

ـ لا تخسر... يا ابا الطيب...!

هوامش:

١. قصائد مترجمة للشاعر المعاصر رفيق صابر (اغنية الى الجمال) ترجمة الشاعر الصديق عباس بوسكاني.

٢. نفس المصدر.

٣. نفس المصدر.

جمال الجاف ـ سدني

(٢)

ممتد هو الليل على الشوارع الممطرة

ضوء القمر يملأ الفراغات بالظلمة و الضياء

و انا العاري الموهوش،

انا الذي لم اترك بعد رائحة الرمل و المطر

و الوان المساء

يلامس يدي سر آخر

فتاخذني قشعريرة باردة

ارتعش مع لمعان الليل

اناديك بخوف

فيرتجف ضوء القمر و الظلمة مثلي

فابتل اكثر

و مع صدى الليل

اسمع نشيج بكائك*

❖ ظلام يرتدي عباءة الضوء، تتجمل بها الفراغات قبل ان

تقفز على جدائل النسيم.

ـ ايها العاري:

اعتمر عمامتك التي تشع ضياء و امسك بشعاعها الشاحب

و كحل اهداب الليل.

❖ للمساء الوان ما بعد الألوان.

❖ سر يقود السر تجرهما عربة الكتمان، محطتهما الاخيرة

عالم كبير.. صغير.. القلب.. !

❖ ارتعشت المعالم.. ظن انه ارتعش، قامت القيامة، لا

تخشى،

ـ انك تحتمي بالضوء و السكون.. اول خلق و اخره، تنتمي

لهما، ولا يعترف العالم بانتهاء نفسه.. رغم السخافات و حروب

الارقام الغازية.

بنفس الاندهاش الطفولي استقبل الصباحات

مع الطيور الناعسة

مثل الفراشة اشم الزهور و الندى

و هي ترضع الضوء

بنفس الاشتياق الم الالوان المتناثرة

و مع هجرة اخرى

اخاطب اول مسافر:

((صباح الخير يا صديقي العزيز))

أجابه كل شروق

و غروب

مندهشا، اصرخ ملء فمي:

الى متى اتشرد لسحرك

و اجن لامنياتك

ايها الجمال..*

❖ صباحات.. طيور ناعسة.. رضاعة.. و كلها مملكة زغب

مشيد على امتان، تنزل كابراج على اخاديد الجسد العاري...

تبحث عن السر المطمور.

❖ الشروق و الغروب لعاب يسيلان كالشهد من فم السماء.

❖ لاتتشرد كالقمر.. استحم بالغيم يعبق رائحة الله

سياتي خجلاً و ينزل على قوادم الشجر خطوة بعد اخرى

ليقل ملء فمه الضوئي العذب:

((مساء الخير يا صديقي العزيز.. انا مثلاً

تلمسه بهدوء لتمسح بها وجه (شيخ معرة) يرى نفسه

لاول مرة.

نعم يا ابا الطيب...!

(انتهى)

هوامش:

❖ القصيدة للشاعر المعاصر (رفيق صابر)

ترجمة الشاعر الصديق عباس بوسكاني.

جمال الجاف سدني

شعر وترجمه: صلاح محمد

الورود البيضاء

سأقطف الورود البيضاء،
من الابواب الفاحمة
وأضعها على الرياح التي
تلعب دوما
مع سترتي السوداء
وتبعدني عن الكآبة
*
لن ابالي
للاصوات الناحسات،
الصاعدات
الى السماء يوميا
وفي أية محيطات كان
مسقطهن في الليالي
*
قدما انا سأمضي
والأشياء

الأشياء كلها مملوءة باللاشيء

الأشياء جميعها

مملوءة بماء النار

وبرودة مذعورة

وذلك الصمت الشاهر لمدية

وراحته مخضبة بدماء الشاحبين

تلك المدية التي تضع الطعم للشمس

ثم تغني

تغني للقطط الشاردة

من نهايات الحروب المستمرة للجنس

*

وإن اهتممت أم لا

ستمتلىء عربات الريح بجثث الذابلين

قف ولا تمضي من هنا،

هنا وفي مصيبة مبهمة

سيسقط حائط ما

على رضيع حظك النائم

ذلك الحظ الساقط من عشه

وقت حدوث تشرخ ليلة ما

كليا كان المطر قد بلله

والقلب

كليا كان قد أدفئه

*

انا لن احب البرد،

أو الحر

رباه، اخلق لي حبا

يشبهني

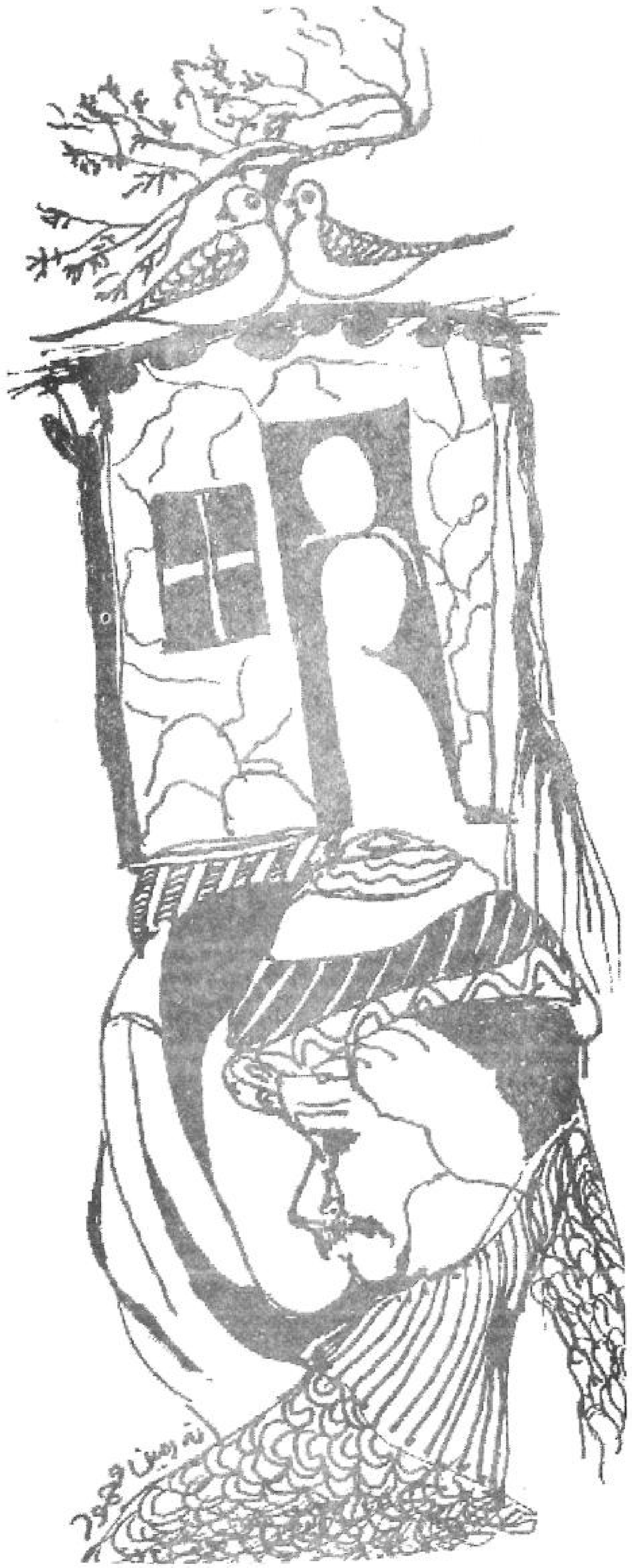

لأن الأخريات لسن لي

والحدائق ترشها السماء

ولكن عليها عيون طامعة

لكي لا استجدي اكثر من نفسي

لتوصيلي

الى مدافن القبلات التي

قطعت رقابهن في معارك الخجل

وحبيبتي

لم تلبس الحداد لهن

رباه،

انني لن اعرف أبدا

كم الوقت

ولا اعرف نمرة هاتف احد ما

والامكنة التي سأغدو فيها

لن أضع فيها من جديد قدميَّ

ومد الي الأيادي

وانزع الشريان مني

كي لا تتوه الطرقات مني

منشوره ف مجله شعرستان

العدد/٩

السنه/ ٢٠٠١

الآتـــي

مثل حزن مسافر يقبل:
انه البحر المكتسب سبعة ملامح
يقبل بخطى الموج
غول يشتهي الزرقة.
ثيابي جسمان الضفاف.
الورقة طيور هامدة
تهمس الأشياء
"وأسفاه !
مئة عام وأنت تعبث باسم البحر
لكنك مازلت ظامئا.."
*حفنة من العقيق تزركش الحائط
عظام الأسماك،
عيون القبطان المستغربة
حذائي،
قمر (مغتسل)
*غريبا ومباغتا
تعال هذه المرة
هكذا بخطوة الخيال
ابتكر اسما جديدا
للماء للموج
والحس المرتوي

حاوره: عبدالله طاهر البرزنجي

د.لطيف محمد حسن: الحداثة الكردية تتسبق الحداثة العربية بعقد من الزمن تقريباً

الدكتور لطيف محمد ناقد وأكاديمي كردي، أشرف على اعداد العديد من الاطروحات الجامعية وله محاولات جادة في الكتابة النقدية كما نشر مجموعة من النصوص الشعرية في الصحافة الكردية، التقيناه في مقر مجلتنا ودخلنا معه في حوار حول النقد والادب والهموم والمشاريع الشخصية.

د. لطيف محمد حسن

*من مواليد محلة ملكندي (ابراهيم باشا) في مدينة السليمانية سنة ١٩٥٥.

*اكمل الدراسة الإبتدائية والاعدادية– في المدينة نفسها.

تخرج من قسم اللغة العربية– كلية الآداب –جامعة الموصل بدرجة (إمتياز) وكان الأول على الكلية والجامعة..

حصل على شهادة (ماجستر) في الأدب العربي ونقده من كلية الآداب جامعة صلاح الدين عام ١٩٨٩ على رسالته (الحياة والموت في شعر آبي قاسم الشابي دراسة في الثنائيات) بتقدير (إمتياز) بأشراف للدكتور غالب المطلبي.

نال شهادة الدكتوراه من جامعة الموصل على رسالته (الفضاء الشعرى عند السياب) بأشراف الأستاذ الدكتور عمر محمد الطالب وهو الآن استاذ مساعد ورئيس قسم اللغة العربية بكلية الآداب– جامعة صلاح الدين–اربيل.

من بحوثه المنشورة:

١-من و تۆ لەنێوان بوون و هەبووندا لەديوان و رۆژان ئەڕواو تۆ هەر خۆشەویستی منی. فەرەیدوون عەبدول بەرزنجی دا، گۆڤاری زانكۆ.

٢-لەنێوان ئیلیوت و پیرەمێردا/ گۆڤاری زانكۆ تایبەت بە رووداوەكانی كۆنفرانسی زانستی سێیەمی زانكۆی سەلاحەدین.

٣-مفهوم القوة في شعر أبي القاسم الشابي/ گۆڤاری زانكۆ

٤–الطبيعة بين السياب وگوران (دراسة نقدية مقارتة) گۆڤاری زانكۆ

٥–البنية الثلاثية في سورة الناس. دراسة نقدية/ مجلة الأستاذ الصادر من كلية التربية – ابن رشد – بغداد.

٦-دیالێكتێكی وردیلەیی و قەبەیی لەهۆنراوەی (جوانی بێ ناو)ی گۆراندا/ مقبول للنشر فی مجله زانكۆ.

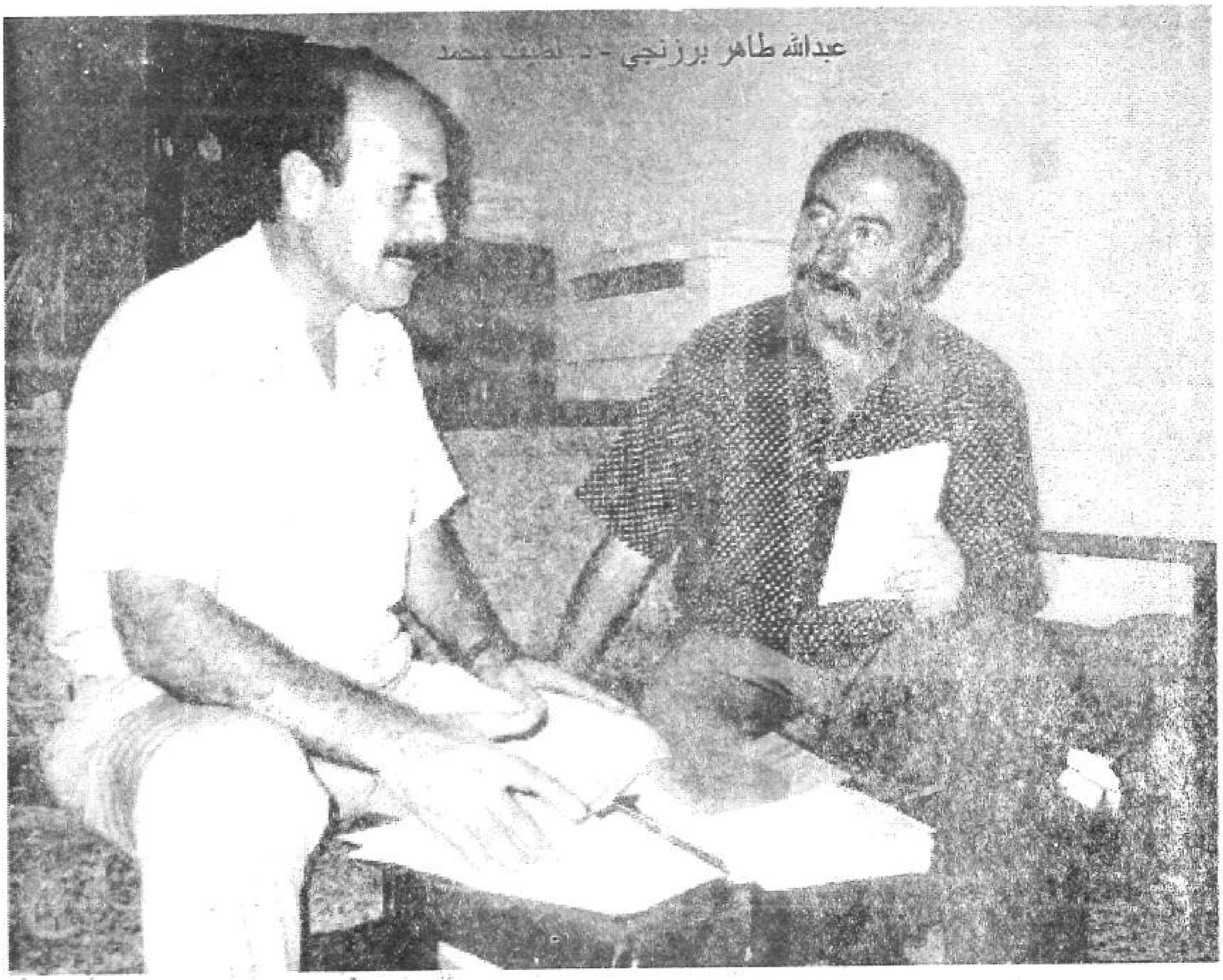

– من الشابي إلى السياب كيف اخترت هاتين التجربتين ؟ وما دورهما في تحديث القصيدة العربية؟

* فيما يتعلق بالشق الأول من السؤال (كيف اخترت هاتين التجربتين ؟) قد لا أجد لاختيار هاتين التجربتين سبباً مباشراً وواضحاً ، هل القدر قادني إليهما ؟ هل ثمة سبب موضوعي تكمن وراء التوجه نحوهما ؟. ويمكنني القول هنا أن قوة خفية في كياني – قد لا أجد لها تفسيراً – تدفعني – في دائرة الإحساس العميق بالحياة – الى الدراسات النقدية التي تنطوي على شيء من الفلسفة ، وقد يكون هنا التلاقي بين هذا الإحساس وتجربة الشاعرين ، التجربة المفعمة بالإحساس العميق بالحياة ، فمن هنا كانت الدراسة في مرحلة الماجستير تخص الشابي تحت عنوان (الحياة والموت في شعر الشابي – دراسة في الثنائيات) ، ومن الواضح ان موضوع الرسالة يقع مباشرة في صلب هذا الإحساس الفلسفي ، وكانت الدراسة الثانية في مرحلة الدكتوراه تحت عنوان (الفضاء الشعري عند السياب) ، الذي يبحث عن الرؤية الفضائية (الزمكانية) التي لها مساس عميق بهذا الإحساس الفلفسي كذلك ، وربما يكمن السبب في النقد ذاته ، فأن الدراسات النقدية في حقيقتها هي وليدة الفلسفة والى يومنا هذا لا تنفصل عنها .بالنسبة للشق الثاني من السؤال (دورهما في تحديث القصيدة العربية ..) كان اتجاه قصائد الشابي في الثلث الأول من القرن العشرين ينصب في التيارات الشعرية المنادية الى تجاوز النمط التقليدي مثل مدرسة الديوان وشعراء المهجر (الرابطة القلمية) ثم مدرسة أبولو وبخاصة هذه الأخيرة التي كان الشابي على

صلة بها وينشر قصائده في المجلة المشهورة الصادرة من تلك المدرسة .

والأمر بالنسبة للسياب لاغبار عليه ، ويكاد لا يؤلف كتاب في الشعر العربي الحديث أو في الحداثة الشعرية ، أو الشعر الحر إلا وهناك ذكر للسياب وإبداعه الشعري ، بالرغم من الخلافات الموجودة بين الدارسين بشأن ريادة النمط الجديد الذي سمي بشعر التفعيلة أو(الشعر الحر) تجاه السياب ونازك الملائكة وآخرين ، ويتجلى دور السياب في هذا المجال في مسيرة الشعر العربي ، إذ حذا حذوه شعراء كثر وكان السياب يمتاز بالتدفق والحيوية وترك بصمات على القصيدة العربية لايمكن غض النظر عنها إلى يومنا هذا ... بعكس نازك الملائكة التي تراوحت في مكانها ، بل إلى حد ما تراجعت إلى النمط القديم .....

– كتبت عشرات الدراسات الجامعية حول أدب السياب وفق مناهج متعددة ... أي منهج اخترت بصدد هذا الموضوع في أطروحتك الجامعية ؟

* بالنسبة للجملة الممهدة لسؤلك الموجه ، فلا أعطي لنفسي حق التقييم للدراسات التي كتبت عن السياب ولاتصنيفها وفقاً للمناهج النقدية إلا أن في جميع ما قرأت عن السياب راق لي كتاب الدكتور إحسان عباس عن حياته وشعره وكتاب توفيق حسن بعنوان (الموضوعية البنيوية .....) وإذا سمحت لي الانتقال الى صلب السؤال (أي منهج اخترت) ، فأعتقد إن هذا السؤال محرج ، فمن الممكن التخلص منه بكلمتين وأقول ببساطة (المنهج الفلاني) إلا أن الباحث حين يقول هذا ويزعم أنه كتب وفقا لمنهج معين أ يكون قوله حجة له ؟ و يكفي ما يقول هو ؟ أم أن الدراسة يجب أن تشهد على زعمه ، ففي هذا المجال بالرغم على أن الباحث من المفروض أن يكون على وعي تام بمنهجه المتبع ، إلا أنه من المؤسف كثيراً ما نقرأ في الرسائل الجامعية والكتب المنشورة والبحوث الأكاديمية وغيرها أن الباحث أو الكاتب قد اتبع المنهج الفلاني وبخاصة المناهج الرائجة في يومنا كالبنيوية (التكوينية ، والتفكيكية) والأسلوبية والسيميائية والمعرفية وغيرها ..... بيد أن القارئ الفطن يصطدم حينما يقرأ المحتوى ، غالباً مالا يجد ألا صورة مشوهة لذلك المنهج المزعوم . ومما يؤسف له أكثر أحياناً نجد شطحات لاتمت بأي منهج من صلة ناهيك عن هذه المناهج المذكورة آنفاً أو نجد إنشائية جديدة في ثوب بنيوي مزعوم مثلاً ... أما بخصوص الرسالتين اللتين كتبتهما – وقد ذكرت عنوانيهما ، فلا حاجة لتكرارهما – فأود أن أقول بكل تواضع إنني لم أقل في مقدمتيهما قد اتبعت المنهج الفلاني صراحة ، بيد أن الذي قلته ، لقد أفدت (وأشدد على لفظة أفدت)... وكنت حذراً في هذا المجال بالرغم من إفادتي – الى حد ما – من البنيوية والسيميائية والمعرفية في كتابتهما ، ويرجع الفضل في ذلك الى أستاذيّ الفاضلين الدكتور غالب المطلبي في مرحلة الماجستير وأستاذي القدير الدكتور عمر الطالب في مرحلة الدكتوراه ، لإرشادهما إياىّ وتنمية هذا التوجه النقدي عندي .

وأود أن أقول معقباً على المناهج المتبعة ، مؤكداً على أن (المتلقي الفطن/الناقد/المنظر) هوالذي يحدد المنهج المتبع نظراً للبون الشاسع بين مايزعم بعض المؤلفين ومتن الرسائل والكتب التي يكتبونها – غالبا – إلا لدى الكتاب المقتدرين . وبخصوص رسالتيّ كذلك حبذا رزقا متلقياً / ناقداً / منظراً وقال كلمته في المنهج المتبع فيهما .

– أجد هنا وهنالك مقالات واشارات الى عقد مقارنات بين أدب السياب وعبدالله كوران ، هل تقتنع أن تكون هناك صلات بين أدب هذين الشاعرين ؟ وهل تمت الحداثة الكردية في فترة ريادة الحداثة العربية أم أنها تستمد في ريادتها من الأدب التركي ؟ .....

* ليس هذا سؤالاً واحداً ، بل سؤال عنقودي يحتاج الى الاجابة في صفحات ، الا أنني أقول ملخصا

ومكثفاً إياه ..... فيما يتعلق بوجود الصلة بين السياب وكوران – نقول : لا ونعم في آن واحد ، أذ لايمكنني أن اجزم القول بتأثر كوران بالسياب ومن الواضح ان السياب لم يكن متأثراً بكوران لجهله باللغة الكوردية – تأثراً مباشراً وقدكان كوران شاعراً ناضجاً قبل بروز السياب في ساحة الأدب العربي ، وفي الوقت نفسه يخطئ من يظن أن كوران لم يكن قارئاً للأدب العربي ولامتذوقاً إياه ، فنظرة عاجلة في محتوى ديوانه حيث مجموعة قصائد عربية مترجمة الى اللغة الكوردية ، تقنعنا برد هذا الزعم ... وبأعتقادي إن نقطة التلاقي بين الشاعرين لاتقع في هذه المطالعة والترجمة من لدن كوران للأدب العربي فحسب ، بل مايشكل الصلة بينهما بصورة غير مباشرة هو تأثرهما المؤكد بالأدب الأوربي وبخاصة الادب الرومانتيكي ثم التيار الواقعي فيما بعد ...

وانطلاقاً من هذه الصلة غير المباشرة ومجموعة محطات متشابهة في حياة الشاعرين وفي ريادة الشعر الحديث ، إذ لاتنحصر الدراسات المقارنة في دائرة التأثير و التأثر المباشرين كما كان تشترطه المدرسة الفرنسية قديماً ،وبهذه المناسبة من حقي أن أقول للتأريخ ، على حسب علمي أني أول من كتب دراسة أكاديمية بين الشاعرين تحت عنوان (الطبيعة بين السياب وكوران) وكانت مشروع تخرج مقدم الى قسم اللغة العربية بكلية الأداب في جامعة الموصل للعام الدراسي ١٩٨٥ – ١٩٨٦ وحصلت على تقدير (إمتياز) وكانت الدراسة تتألف من ثلاثة فصول ، فصل خاص بحياة الشاعرين ، وفصلين في دراسة الموضوع فنياً ، فضلاً عن تمهيد في محور الأدب المقارن ومفهوم الطبيعة مصطلحاً أدبياً ، وخاتمة . وبعدما تعينت عقب تخرجي مباشرة سنة ١٩٨٦ في كلية الأداب /جامعة صلاح الدين ، قدم قرأها زميلي العزيز عادل كەرميانى – الدكتور حالياً – وقد كان آنذاك طالباً في المرحلة الرابعة في كلية ذاتها ، وقد استنسخ نسخة لنفسه ، وكانت في مكتبته الشخصية الى أن أحترقت مع كتب مكتبته في الحادثة المفجعة المؤسفة بالنسبة لنا جميعاً ، وأظن لي الحق هنا للأمانة العلمية ان أذكر دور هذه الدراسة ضمن الحوافز التي دفعته الى كتابة رسالته في الدكتوراه بعنوان (الصورة الموضوعية في شعر السياب وكوران) باللغة الكوردية سنة ٢٠٠٠ بجانب تأثره برسالتي للدكتوراه (الفضاء الشعري عند السياب) مما أشكر له اعترافه بهذا حينما كتب مقالاً ونشره في مجلة زاگروس الصادرة في اربيل حول هذه الرسالة ويكاد يفضلها على جميع ما كتب عن السياب لحد الآن – على حسب مايعتقدُ هو – وكذلك للأمانه العلمية اذكر أنني بعدما تعيُنت بكلية الأداب وجدت زميلي الفاضل الدكتور ظاهر لطيف كريم وقد قال لي في أواخر السنة نفسها (١٩٨٦) انه كتب رسالة الدكتوراه في جامعة كلاسكو بين الآداب الثلاثة (الكوردي ، والعربي ، والانگليزى) في موضوع الشعر الرومانتيكى وقد تطرق في ثناياها الى أدب الشاعرين ،. السياب وكوران ، ثم جاء زميلنا الدكتور

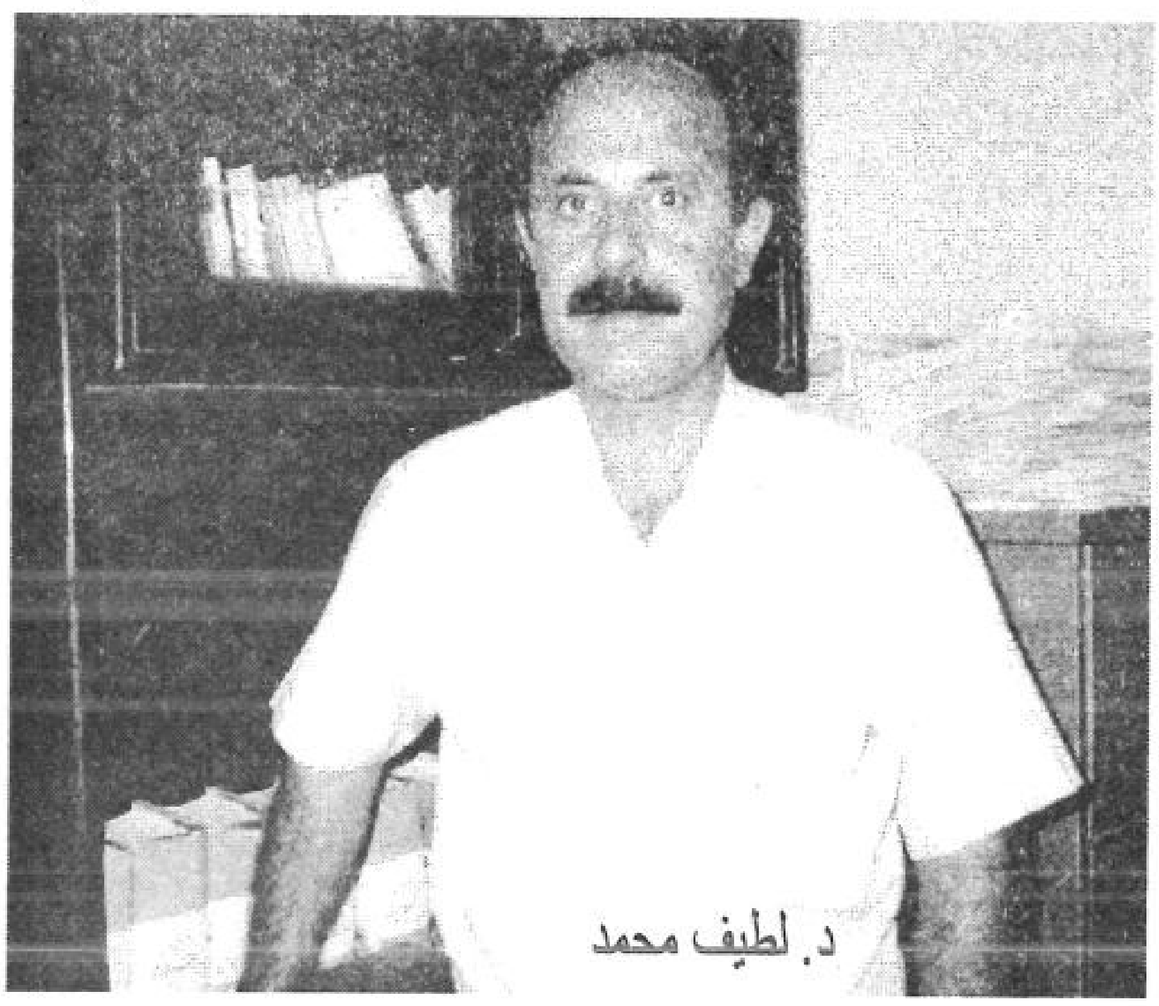

د. لطيف محمد

عادل لمةرميانى وكتب رسالته المذكورة سنة (٢٠٠٠) .وبالنسبة للشطر الآخر من السؤال (الحداثة الكوردية والعربية والتأثر بالأدب التركي ...) أثناء دراستى عن السياب و لوران توصلت – وهو مثبت في الدراسة – الى أن الحداثة الكوردية تسبق الحداثة العربية بعقد من الزمن تقريباً وذكرت سبب هذا السبق كذلك ، اذ أن الخروج عن القصيدة العمودية بالنسبة للأدب العربي يعني الخروج عن الاصالة العربية وكانت هذه المحاولة محاولة صعبة ، بيد أن الأمر يختلف ومعكوس تماماً بالنسبة للشعر الكوردي الذي تحرر من العروض العربي ورجع الى الاصالة المتمثلة في الفلكلور الكوردي المبني على المقاطع الصوتية .

أما استمداد الحداثة الكوردية من الأدب التركي ، فلا يمكن نفي الإفادة من الادب التركي ، لما يصرح لوران نفسه بهذا – كما معلوم لدينا جميعاً – الا أن بجانب هذه الافادة أعتقد أن البؤرة الحيوية في كل ابداع جديد (الحداثة) تقع في صلب الصراع الكائن في بنية الأدب ذاتها ، على وفق المفهوم الجدلي – مع انني لاأنكر الدور الفعال للتيارات الفكرية والثقافية والأدبية الوافدة التي تهب على الآداب المحلية – الذي يمكن أن يندرج النشاط الأدبي ضمنه كبقية النشاطات الاجتماعية ، وهذا المفهوم يوحي بالعلاقة الجذرية بين القديم والحديث في آنٍ واحد فيكون النص الجديد أصيلاً (قديما) وحديثاً في آن واحد لانه يحمل في كيانه بعداً قديماً وبعداً جديداً ، فيحمل القدم مرتين مرة عبر بعد ماضوي اذ أنه منبثق من كائن قديم ومرة عبر بعد مستقبلي ، سيصبح قديماً بمرور الزمن عليه ، وكذلك يحمل الحداثة مرتين مرة بأنه كائن (وليد)جديد الآن ومرة بأنه يحمل جنيناً سيولد في المستقبل .فمن هنا أريد أن التفت الى أن تأثير مولوي وبيرةميرد – على سبيل المثال لاالحصر – لايقل في لوران من تأثير الأدب التركي والأوربي ان لم يزد ... حيث كان لوران جذوة موهبة ثم أتت نفحة من الخارج فأججت جذوة هذه الموهبة الأصيلة فيه ..

– يرى المتابع انك تتعمق بجد في تحليلاتك النقدية ماسبب عزوفك عن النشر في الصحافة الكوردية ؟!

* لست عازفا تماما عن الصحافة الكوردية ، لي مشاركات وان كانت متواضعة وقليلة ، وقد يكون بسبب الكسل ، أو يعود الى أنني أحبذ البقاء في دائرة الظل لأن للانتقال الى دائرة الضوء احياناً تبعات لاطاقة لي بحملها . ومن ثم الانشغال الوظيفي الاكاديمي كما تعلم من المحاضرات والامتحانات وتقييم البحوث والمناقشات وإشراف طلبة الدراسات العليا والاعمال الادارية والعلمية في اللجان ، كلها تأخذ منا جهداً ووقتاً كثيراً ، وكذلك أسقاط الحق الاكاديمي من البحوث التي تنشر خارج مجلة معترف بها أكاديمياً من الجامعة .. من الاسباب التي تقود الى شبه عزلة ، و خلاصة القول ان الذنب يعود لي بدرجة أكبر ... وأن كان هناك تقصير من الدوائر الصحافية ومؤسساتها ، فأقول حبذا تجاوزت الصحافة الكوردية ، المحسوبية والاحتكارات والانحيازات التي تكون كلها قيوداً بوجه المثقفين الجادين الذين لايعرفون فن السباحة في بحر التملق ..

– إهتم النقد في النظريات الادبية بالمؤلف من فترة طويلة وتوجه نحو الإهتمام بالنص في الخمسينات والستينات وفي أواخر الستينات ركز النقاد على القارئ كمنتج للنص وظهر إثر ذلك في منهج نقد إستجابة القارئ(المتلقي وفي تنظيرات ياوس وفولغان أيسر . كيف تنظر الى موقع النقد الكوردي تبعاً لهذا التقسيم : المؤلف / النص / القاريء .

* بما أن حقل الأدب لايتجاوز ثالوث (المبدع وماحوله من مؤثرات واقع الحياة والبيئة /النص /المتلقي) وأن النقد يتناول هذا الحقل بالتحليل والكشف والتقييم ، أذن فلا بد من أن تنحصر الجهود

النقدية في هذه الدائرة الثلاثية . وكما تفضل سيادتكم بأن النقد في حقبة زمنية كان منشغلاً بالمبدع وحقبة بالنص فالآن جاء دور المتلقي المتمثل في (نظرية التلقي)وكيفية التعامل مع النص .

وفي عودة الى تأريخ النقد الأدبي أود أن أشير الى أن في كل حقبة — حتى في بدايات النقد — لم يكن دور النص و دور المتلقي ملغيين أو مضمحلين حين الأهتمام بالمؤلف لأن الناقد في كل الاحوال كان متلقياً وكذلك النص كان نصاً و منفداً للدخول الى عالم المؤلف . بيد أن الذي كان يحدث فهو غلبة الاهتمام بطرف من هذه الأطراف على الطرفين الآخرين ، وفي هذه العودة — وأنا مختص بالأدب العربي ونقده — يحضرني قول القرطاجني بشأن المواطن التي تجعل النص بديعاً ((وأما مايحسن من ذلك ويعد بديعاً فأن يكون أحد المتضادين يقصد به في الباطن غير مايقصد به في الظاهر، فيكون في الحقيقة موافقاً لمضاده فيما يدل عليه جهة من المجاز والتأويل)) وأظن في قوله هذا وبخاصة ماتحته خط ، ماهو قريب الى مفهوم نظرية التلقي في وقتنا الحاضر .. بيد أن الفارق بين ماسبق والآن هو إلقاء الافكار بصورة عابرة وفي خطوط باهته من غير تبلور فكري ومنهجي ليس كما هو الآن في نظرية التلقي ... وأعود الى صلب السؤال (نظرية التلقي) ، وأود القول هنا بأن وراء تبلور هذه النظرية خلفية ذاتية (مثالية) و(موضوعية) في آن واحد متمثلة في الفلسفة الظاهراتية التي تجمع بين المثالية والموضوعية معاً بأعتبار العالم —وفي مجال الأدب(النص) — وعياً مفارقاً ، فمن هنا برز نشاط المتلقي ليس كقارىء أعتيادي بل قارئ يهب كياناً للنص عبر تأملاته وتأويلاته المتعددة للنص ... أذ أن قطبي نظرية التلقي (هانز روبرت ياوس) و(لفغانغ آيسر) كانا من المتأثرين بالفلسفة الظاهراتية التي تبناها كل من هوسرل وهيدغر وبخاصة هذا الآخير بعدما تأثربه (غادامير) في اطروحاته الفلسفية وأدخل هذه الاطروحات في صلب النظرية الأدبية ، والمهم في مفهوم نظرية التلقي ، كما نادت البنيوية الى موت المؤلف فنادت نظرية التلقي الى موت القارئ الاعتيادي (الاجتماعي / الواقعي) وخلق القاريء (المتلقي الفعال) في تحول الذات القارئة الى ذات متلقية أو الى ذات نصية — إن صح التعبير — عبر ذوبانها في النص ، متجاوزة مستويات الاسقاط (الخروج الى المؤلف) والشرح والتفسير السطحيين الى قراءة شاعرية ثم الوصول الى مستوى التأويل بحفر طبقات النص ، وأن أمراً كهذا يحتاج الى طاقات فعالة فمن هنا تنبني أصول نظرية التلقي على الوعي والفهم والكتابة والقراءة (بأعتبار النص كياناً مكتوباً مثبتاً — لامسموعاً — بحاجة الى التأمل و التعمق والتأويل) كي يصل المتلقي الى بناء النص من جديد بغض النظر من كون هذا البناء الجديد للنص كان مقصوداً لدى المبدع أولا — إذ تتحرك وجهات نظر المتلقي في مستويات النص لبيان آفاق التوقعات ومجموعة أسئلة مطروحة واعطاء كيان مستقل للنص .وفيما يخص النقد الكوردي والنظر إليه من زاوية نظرية التلقي ... لاأدري هل أنت معي أم لا ؟ علينا أن نسأل قبل هذا السؤال هل للنقد الكوردي كيان مستقل وملموس ؟ وليس عيباً أن نكون صرحاء في هذا المجال بخصوص شعب مزق كيانه وإثر ذلك تبعثر أدبه وعباقرته ، ونحن نحاول هذه الأيام لمّ شتاته ... وبخاصة اذا عرفنا موقف الامم المجاورة لنا ازاء هذا السؤال حيث يصرح بعض نقاد العرب بخصوص النقد العربي ويصنفونه بأنه مقاربات نقدية ومحاولات وكذلك بعض المهتمين بالأدب الفارسي ، بالرغم من وجود حضارة عريقه غارقة في القدم مع إستقرار بالنسبة لهما . لِمَ نخجل نحن ونعترف بأن ما موجود مجرد محاولات نقدية ؟ و ماهو جاد فهو عالة على النقد الأوربي ومتأثر به .. وبالرغم من هذا فأن هذه المحاولات الجادة تكاد تكون قليلة ونادرة ، وأغلب ماموجود يقع ضمن تأريخ الأدب والدراسات الأدبية وتبعاً لهذا يأخذ

الأهتمام بالمؤلف القسط الأوفى ،لا النص ولا المتلقي . بمفهوم حديث نابع من (نظرية التلقي) .

– كتاباتك النقدية تخلو من تسليط الضوء على الجنس السردى في الأدب . ماسبب ذلك هل ينبع السبب من إيمانك التام بالتخصص .

* لحد الآن نعم ، ويجوز أن يكون السبب ماتفضلت به .. ولكن يجب أن لاننسى الوحدة الأدبية ، وأقصد العلاقات القائمة بين الاجناس الأدبية بالرغم من أختلاف تقنياتها وانطلاقاً من هذا بالرغم من أن جميع البحوث التي كتبتها موادها اعمال شعرية بيد أن أغلبها تختمر بمفاهيم روائية ولعل مصطلح (الفضاء) في رسالتي للد كتوراه الذي هو مصطلح روائي أصلاً خير دليل على ذلك ، حتى رسالة الماجستير قبل ذلك مليئة بالمفاهيم الروائية وبقية البحوث المنشورة بعدهما ، وأود أن أقول أن ضمن مشاريعي المستقبلية بحوثاً – وهي جديدة في مجال النقد – في صلب الأعمال الروائية الكوردية ولي أمل في أنجازها – إن شاء الله –

– اذن هل تتابع الرواية والقصة الكوردية وماسبب ندرة الرواية في الأدب الكوردي ؟

* النصف الاول من سؤالك يتبع ماسبق ، ولعل جوابي فيما سبق يكفي ويغطيه . وفيما يخص النصف الثاني (ندرة الرواية الكوردية). أظن أن كيان هذا الجنس لصيق بالأستقرار والحضارة ومتى عرفت امتنا الكوردية الاستقرار حتى تملك ثروة ثرة من الروايات ؟، هذا من جهة ، فمن جهة اخرى إن هذا الجنس بمفهومه الحديث (لاالحكائي) غريب على آداب المنطقة – ولاعيب في ذلك لان لكل أمة خصوصياتها الفكرية والاجتماعية والأدبية فمن هنا اذا كان المعنيون بالأدب العربي يقرون بخلو الأدب العربي من هذا الجنس ويحددون عشرينيات القرن العشرين بدايه لظهور هذا الجنس الأدبي تحت تأثير الأداب الأوربية وكما نعلم كان للعرب كيان ودول وأستقرار ، فكيف بشعب منكوب مغلوب على أمره كشعبنا الكوردي. ولكن ، مايفرح القلب هو إن هذا الجنس في نمو مستمر ويكون له مستقبل مضيء مع استقرار شعبنا أكثر بعون الله .

– أنت استاذ جامعي متخصص في الدراسات النقدية وتكتب على نحو أكثر باللغة العربية ما رأيك حول الأدب الذي يكتبه الكورد باللغة العربية ؟.

* منطوق سؤالك (... يكتبه الكورد / بصيغة الحال) يقطعنى عن الالتفات الى الماضي ، الى العباقرة الذين شاركوا في بناء الصرح الحضاري على الأقل لثلاث أمم مجاورة . وفي هذا المجال أقول لاتزال هذه الجهود مستمرة ، ثمة كتاب مبرزون في وقتنا الحاضر يكتبون باللغة العربية – ولاأريد ذكر أحد كي لاأجحف بحقوق الآخرين – فهم يملكون ناصية اللغة العربية بصورة قد يعجز العرب أنفسهم أن يكتبوا مثلما يكتب هؤلاء...

مع هذه الظاهرة إلايجابية علينا أن نذكر الجانب السلبي أذ يلاحظ في مجال الصحافة والترجمة الضعف والركاكة ، غالباً ، وأود أن أقول بهذا الشأن لمعالجة هذا الهبوط اللغوي على الكتاب الكورد الذين يريدون الكتابة باللغة العربية أن يتخلصوا من التفكير باللغة الكوردية داخل أدمغتهم وترجمة هذا التفكير الى العربية ، وأعني التخلص من الترجمة (الدماغية /الداخلية) . بل يجب أجتماع التفكير والتعبير اللغويين في لحظة واحدة وفي عملية واحدة غير مارة بالترجمة الداخلية ، ولو أن الوصول الى هذا المستوى صعب المنال الا أنَّ إجادة التعبير مرهونه به ، وحينئذ تكون إجادة اللغوية والأدبية .

– النقد الاكاديمي أثيرت حوله نقاشات حادة في فرنسا –في الستينات– وهاجم عليه ناقد

مثل رولان بارت بشكل لاذع ووصفه قائلاً انه نقد يهتم بحياة المؤلف والوثائق الشخصية ولايعير الاهتمام للنص . ماذا تقول حول النقد الاكاديمي في جامعات كوردستان .

* أشم في سؤالك هذا شواء المنافسة الحادة بين الأكاديميين ومن هم خارج الجامعة ، وأنا لاأريد أن أشعل فتيل الصراع بين الطرفين ، وبهذا الصدد من الخطاء أصدار حكم جازم و تعميم هذا الحكم على الكل ، لذا أقول بتحفظ ولاأعمم الكلام على الجميع بشأن وضع النقد في جامعات كوردستان ، فأكرر ماقلته في محور سؤالك عن نظرية التلقي ، لعله يفيد في هذا المحور هنا . فأن المحاولات النقدية تغلب عليها صفة الجمع وأقتباس آراء الآخرين بغياب الشخصية الناقدة – غالباً– وهذه السمة تنطبق على الجامعات وخارجها ، ولو أن الجامعة بصفتها جهة علمية مسؤولة اذا كانت مقصرة – هي التي تتحمل القسط الأكبر من الوزر .

– نطالع بعض الاطروحات الجامعية في مجال الأدب ولانجد فيها سوى التطرق الى حياة الأديب والمرجعيات الاجتماعية وتأريخ الأدب والمواقف السياسية الباهته بعيداً عن التوجه نحو المهمة الاساسية للنقد والتركيز على شعرية الأدب وتقنياته الفنية ، هل تعزو سبب ذلك الى المشرفين أنفسهم أم الى تردي مستوى الطلبة والباحثين ؟.

* لايمكن اتهام جميع الرسائل الجامعية بهذا المستوى المتردي كما أن سيادتكم دقيقون في طرح السؤال فقلتم (بعض الأطروحات) ، ولعل المستقبل يبشر بالخير لأنى أجد أحياناً بين الطلاب من هو جاد ويريد كسر هذا الجدار والنفاذ الى فضاء النصوص الأدبية ، وقراءة ظلالها ورموزها وبيان النسيج الجمالي فيها ماأستطاع الى ذلك سبيلا وكذلك ثمة أساتذة فضلاء يريدون قدر المستطاع أرشاد الطلاب الى هذه الوجهة السديدة التي من المفروض أن تكون عليها الرسائل الجامعية ، ولكن مع هذا أسمح لي أن أضيف من باب الحرص العلمي ، الى ماتفضلت به ، فأقول أحياناً المستويات أدنى بكثير من التطرق الى هذه القضايا التي تحسبها قضايا هامشية ، فحبذا هذه القضايا – حتى لوكانت هامشية – مدروسة بصورة علمية و منهجية لرضينا وقبلنا بأضعف الايمان .

وبشأن السؤال المطروح أود أن أوضح كذلك قضية نقدية مهمة ، حينما ندعو الى الاهتمام بالجوانب الفنية وتقنيات النصوص وجماليات النسيج الادبي ، فهذا لايعنى القطيعة المطلقة بين الفن والمرجعيات الفكرية والاجتماعية والسياسية بيد أن مهمة الناقد الأدبي ليست مهمة الباحث الاجتماعي والسياسي ، فهذا مجال وتلك مجالات .. والمطلوب في التحليل الأدبي أو النقدي – حتى لوكان واقعاً في دائرة الصلة بين الادب وهذه المرجعيات البدء بالنص، والتطرق الى تلك المرجعيات يجب أن تنطلق من النص لا أن تفرض على النص حشواً وجسماً غريباً . أما سبب هذه الحالة غير العلمية بأعتقادي يكون الأطراف الثلاثة مسؤولة عنها ، حيناً الطالب ، وحيناً الاستاذ المشرف ثم توجهات الجامعات والمناهج الدراسية والتعليمات المطبقة وكيفية قبول طلاب الدراسات العليا .

– المناهج الأدبية استمدت سطوتها من تأريخ الأدب ، فالطالب لايعرف شيئاً عن التطورات التي طرأت على الساحة الأدبية منذ أكثر من خمسة عقود ، ماذا تقول بصدد هذا الموضوع .

* ان الخلل هنا في المناهج الدراسية والاستاذ الجامعي معاً فيجب أعادة النظر في تلك المناهج أولاً وادخال التطورات التي حدثت في الساحة الأدبية في أطار تلك المناهج ، ومن ثم على الاستاذ الجامعي متابعة مايحدث في الساحة الفكرية والثقافية والأدبية

والنقدية ليكون مرشداً وموجهاً جديراً بحمل الصفة الاستاذية ..

وفي هذا المجال أود أن أشير الى ظاهرة أصبحت عرفاً أكاديمياً أحياناً ولايمكن تجاوزها لدى البعض ، وهي عدم السماح بكتابة الرسائل على الأدباء الذين هم قيد الحياة الابعد رحيلهم عن دنيانا بحجة أن تجاربهم الأدبية لم تكمل بعد ، وهذه الظاهرة باعتقادي – بالرغم من أن فيها شيئاً من الحجة العلمية – مجحف بحق الأدباء والدراسات الأدبية معاً وتنصب فيما تفضلت به من جهل الطلاب بالتطورات الحاصلة في الساحة الأدبية ونتاجات الأدباء المعاصرين والنظريات النقدية الحديثة . وبعد إتهام طرف الجامعة والاستاذ أسمح لي أن أعود الى الطالب الذي هو المحور الأساس في القضية ، فماذا يفعل الاستاذ الجامعي أحياناً مع طالب لايرغب في الحقل الأدبي ولايقرأ كتاباً فكرياً وثقافياً بل يتوانى حتى في قراءة الكتب المنهجية وباعتقادي أن الطالب الجاد المحب للعلم والأدب بأمكانه معالجة الخلل حتى لوكان صادراً من المناهج التعليمية أو كان في شخصية الاستاذ . أقول مرة ثانية ماذا يفعل الاستاذ مع طالب جاء فقط لنيل قشرة العلم (الشهادة) فقط وكسب اللقب العلمي لغاية في نفسه بعيداً عن دائرة العلم ذاته.

– لا يقتصر نشاطك الادبي على هذا الميدان الاكاديمي نرى بين آونة واخرى تنشر قصيدة او مقطوعات شعرية او بعض قصص قصيرة في مجلات الاقليم.. فكيف المزاوجة بين هذا وذاك ؟

* بدءاً اريد توضيح مسالة مهمة بخصوص هذه المزاوجة وهي أن العاملين في المجال الاكاديمي لاياخذون حقهم الطبيعي – سلباً وايجاباً – فاحيانا يظلمون غيرهم ويستغلون اللقب العلمي لنشر ما لايصلح للنشر، فياخذون اكثر مما يستحقون، او بعكس ذلك فيكون هذا اللقب العلمي وبالاً عليهم وعلى الشهرة الابداعية نتيجة اسباب مختلفة..

اما بالنسبة لي فاني لست شاعراً محترفاً ، فاكتب الشعر لذاتي – وكما نعلم جميعاً – ان الشعر قبل كل شيء وليد معاناة الذات بيد انه لا يبقى منحصراً في دائرة الذات فحول ذات الشاعر دائماً ذوات متفاعلة – اخذاً وعطاءً – فمن هنا قبل العمل في الحقل الاكاديمي كانت لي محاولات شعرية والى الوقت الحاضر، فتعترضني حالات تتحتم علي الكتابة، واغلب هذه الحالات تحدث حينما اجد نفسي في دوامة فكرية او في طاحونة فلسفية او محاطة بهالة من الشعور الجمالي وذكريات الطفولة، وهذه الدوائر تتشابك في اغلب ما كتبته، قلق الذات يلتحم بمعاناة شعبي المنكوب الممزق، وتتجاوز المعاناة هتين الدائرتين الى دائرة فكرية فلسفية مرتبطة بمصير الانسان ونكبته في الحياة. وعلى سبيل المثال اقرا المقطوعات الشعرية والقصص القصيرة التي نشرتها في اعداد من مجلة (نووسةرى نوى) و قصيدة (الشمس والمدينة والقطة السوداء) المنشورة في مجلة كاروان وكذلك قصيدة (سيروان والاحتراق) المنشورة في المجلة نفسها وقصيدة (٠ ، ١) في مجلة نوسةرى نوىَ وغيرها كثيرة لم تسلك سبيلها الى رقعة الصحافة او الطبع لحد الآن، التي اتمنى ان ترى النور وتنشر في دفتي ديوان – بعون الله –

اعداد وتقديم: حسين نيرگزجاري

من رواد التساهل والتسامح فى الدين

الامام أبو حنيفة :-رائدا للاجتهاد و الانفتاح على النص

هادي العلوي الحجة والمعلم الشاخص في التراث العربي الاسلامي، والسباح الماهر في أعماق تأريخ الحضارة الاسلامية و مدارسها الفكرية.

اضاف العلوي في أواخر عمره الطافح بالعطاء الثقافي، كتابا قيما في السيرة لـ (١٥) شخصية إسلامية وقانونية رفيعة، ان كتاب ((شخصيات غير قلقة في الاسلام)) لجدير بقراءة متفحصة، ارى من الضروري اطلاع القراء الكرام على تأريخ بعض من هؤلاء الشخصيات وأخص أبرزهم وهو أول الأئمة السنية الاربعة و أبو حنيفة (رض).

واختياري لابي حنيفة لم يأت من نظرة الاهمال أو الاستخفاف بالأئمة الأخرين، بل جاء من كون أبو حنيفة رائدا جريئا في حينه من بين الفقهاء للتساهل والتسامح في الدين، وللحقيقة فأن الأئمة الاخرين أتوا بكثير من الاجتهادات تجاوبا مع ضروريات الحياة المتغيرة باستمرار.

ان الاجيال اللاحقة من المسلمين وحتى من غير المسلمين ترنو الى ما أبدعوه نظرة تقدير واحترام، فمثلا:-كان أبو يوسف من أبرز تلامذة أبو حنيفة ومن اشهر القضاة في عهد العباسيين،يوجد حاليا تمثال لابي يوسف في مدخل كلية القانون بجامعة سوربون بفرنسا وكما قال لي أستاذي الكبير نوري عبدالله حين عرضت عليه مسودة هذا المقال.

(مولده ونشأته)

نعمان بن ثابت الكوفي :- جاء في بعض المصادر ان جده من أهالي (كابل) بافغانستان، أما الدكتور رشيد الخيون فيقول في احدى مقالاته إن روايته الفارسية(أو الافغانية... ح) لم يقل بها غير الباحثين المصريين أمثال أزهرة وشوقي ضيف، قالوا ذلك عن أبي حنيفة وعن أبي نواس وكأن العراق كان خاليا من البشر قبل الفتحين (الفارسي والعربي)، ان كوفة من المدن العريقة بامتدادها البابلي وتكوينها الحضاري، وأذا لم تكن ذات مواصفات مغرية لما كان الفاتح أو الغازي يجهز نحوها الخيل والرجال.

ولد أبو حنيفة عام (٨٠هـ) في الكوفة ونشأ فيها، واحترف تجارة الخز- وهو نوع من الحرير- واستمرعليها بقية حياته، اتجه في مقتبل شبابه الى الفقه، وكان من جيل مابعد التأسيس وكان من رواده أبراهيم النخعي وأخرون مثل حماد بن أبي سليمان (١٢٠هـ)، ويرى الدكتور رشيد الخيون ان الأخير كان شيخ أبي حنيفة المباشر وقد أخذ منه الفقه مدة(١٨)عاما.

يرى الاستاذ العلوي ان أبي حنيفة تقدم في الفقه متجاوزا جيله السابق ليصبح واحدا من اعلامه في جميع الاجيال وصاحب مدرسة متكاملة سميت فيما بعد بالمذهب الحنفي، وتتلمذ له ثلاثة صاروا فيما بعد من كبار فقهاء الاسلام وأبرزهم أبو يوسف ومحمد بن الحسن الشيباني.

قاد أبو حنيفة حركة نهوض في الفقه الاسلامي بتأسيسه البحث الفقهي على (القياس والرأي)، وكان الفقه أصلا بدأ في المدينة (الحجاز) وبأخذه (بعد القرآن) بالحديث وهو الاتجاه العام لدى الفقهاء من التابعين وأبناءالصحابة، والذي تبلور في مذهب (مالك بن أنس) وهو أحد الأئمة الأربع للسنة.اما أبو حنيفة فاعتبر الحديث النبوي من مصادر الاحكام وليس المصدر الأوحد، فكان لايأخذ بالحديث الذي روي عن طريق واحد، وهناك قضايا ومسائل لم يرد فيها نص قاطع،وفي هذا النوع من المسائل يستند أبو حنيفة الى القياس، ووسع في القياس الى قاعدة (الاستحسان) وتعني:-

((توسع القياس بما هو أرفق للناس)).

هذه القاعدة بداية في سلسلة الاجتهادات التي تبدأ بتطبيق النص الصريح القاطع ثم احلال الرأي الشخصي للفقيه فحل القياس الدائر في حدود النص رفقة بالناس.

صنع الامام الاعظم أبو حنيفة (القياس) في أربع مسائل وأبقاها مقيدة بالنصوص الخاصة بها في الكتاب والسنة وتلك المسائل هي:- العقوبات، الكفارات، الرخص، التقديرات، وللتوضيح أذكر احداها وهي الكفارات:- عبارة عن الغرامات التي تقدم عن جناية أو مخالفة غير مقصودة ومنها دية قتل الخطأ، والقياس في هذه الحالة شموله بقتل العمد، الا ان الامام منع القياس وعدم شمول بقتل العمد تحفظا واحتياطا لحيلة قد ياجأ اليها القضاة أو الشهود أو القاتل، وترك الحكم في هذه الحالة للنصوص.

(طفرة كبرى فيما هو سائد)

قبل (١٣٠٠)سنة رفع الأمام الأعظم أبو حنيفة راية التسامح والسهولة في الدين ومصلحة الرعية، ونبذ التشدد والتزمت، وأبقى فسحة للرأي، أعرض هنا جملة من الأحكام اجتهد فيها أبو حنيفة، ويعتبرها علماء القانون والاجتماع في هذا العصر طفرة كبرى فيما كان سائدا وهي:-

١- فهو لايكفر مسلما مادام ادعى الاسلام دينا(ظاهرا أو باطنا)، والانسان عنده اياكان ألاله الذي يعبده واي الاديان اتخذ واي الانبياء أتبع؛ مقدس الدماء لايجوز سفكها.

٢-أقر للطفولة حرمتها اذ لايجوز الاعتداء عليها فابن الزنا عنده - مثلا - لايقتل ولايستعبد.

٣-تعديل احكام الخمس:- فرضت ضريبة (الخمس)على غنائم الحرب، فكانت الغنيمة تدفع لغانمها بعد دفع الخمس للنبي أولا ثم للخلفاء فيما بعد، ويقتسم الخمس على خمسة أسهم واحد للنبي وأخر لاقربائه والثلاثه الباقية لليتامى الفقراء وابن السبيل، بعد وفاة النبي (ص) وضع سهمه في أهل الديوان وباجماع أراء الفقهاء اما سهم ذوي القربى أبقى على حاله باتفاق المذاهب الثلاثة السنية والمذهب الجعفري، وأسقطه أبو حنيفة وجعله من نصيب اليتامى وابن السبيل وقال:- فليأخذ فقراء بني هاشم نصيبهم منه اسوة بالآخرين ولايعطى لاغنيائهم.

٤-التكافؤ في الدماء:- نص القرآن على القصاص في قتل العمد، وفرض الدية في قتل الخطاء اذا كان القتيل مؤمنا، ولم يعين جنس القتيل: امرأة أم رجل حرا أم عبدا،واختلف الفقهاء في ذلك، فحكم الكثير منهم التفريق بين الحالات، فأوجبوا القصاص في الحر ومنعوه في العبد، وفرقوا في الدية فجعلوا دية المرأة المقتولة خطأ نصف دية الرجل المقتول خطاء،كما وأسقطوا القصاص في القتيل غير المسلم، وجرى على

تلك الأحكام كل من المالكية والحنبلية والشيعة.أما أبو حنيفة فأوجب القصاص للمسلم وغيره، فالمسلم اذا قتل غير مسلم يقتل قصاصا وهو حكم عمر وعلي و عمر بن عبدالعزيز، وساوى في الدية بين المسلم وغيره اقرارا لمبدأ التكافؤ في الدم بصرف النظر في الدين، كذلك ساوى بين دية الرجل والمرأة، وهذه الأحكام من نتائج قاعدة(الاستحسان). اما فيما يخص العبيد فوصل الى نصف الطريق فأوجب القصاص على الحر اذا قتل عبدا لغيره، ولم يفرضه على حر قتل عبده.

٥ـ قضاء المرأة:ـ لم يجز الفقهاء تعيين المراة في القضاء قياساعلى عدم جواز مبايعتها بالخلافة، لكن أبو حنيفة أجاز ذلك فيما تصبح شهادتها في ألاحكام مما يعني جواز تعيينها قاضية في المحاكم الشرعية (توسع الطبري و صاحبه أبو الثور فاجازا لها القضاء في جميع الأحكام).

٦ـ ولأبي حنيفة أحكام مماثلة في قضايا جزئية، رد فيها على مبادئ دينية مشهورة و معدودة في المسلمات المجمعة عليها منها مبدأ:ـ (الأجر على قدر المشقة) مثل أداء الفرئض بطرق شاقة طلبا في زيادة الأجر يوم القيامة مثل الحج مشيا فأقر أبو حنيفة بان الحج راكبا افضل من الحج مشيا وجاء بحجج كثيرة، وقال ايضا ان النكاح افضل من العبادة الزائدة على الفرائض.

في سياق أخر أباح أبو حنيفة لغير المسلم (ذميا أو محاربا)دخول المساجد بما فيها المسجد الحرام،وبقية الفقهاء يترددون بين السماح في المساجد العادية و منعه بتاتا، وأحل أبوحنيفة طعام غير المسلمين (عدا المجوس)لان ذبح المجوس ـ كما هو شائع ـ بالخنق وليس بالذبح.

وقع أبو حنيفة في أخطاء ناتجة عن القياس الشكلي في بعض المسائل مثل :ـ اعتباره ما يخرج من البحر من اللآلىء والمرجان والنفائس الأخرى في حكم السمك المصطاد فلم يوجب فيها فريضة الخمس، ولم يراع الفرق في القدرة ولا في الجهد المبذول، استدرك هذا تلميذه الأكبر (أبو يوسف)فأوجب الخمس فيها مخالفا مذهب استاذه، وله أقيسة شكلية من هذا القبيل.

لقد توسع علماء المذهب الحنفي وعلى خطى أمامهم في مباحث القياس مستفيدين من(منطق أرسطو)الذي ترجم بعد وفاة الامام أوفي السنوات الأخيرة من حياته، إلا إن الأمام تعرض للنقد من كبراء اتباعه فيما بعد.

اشتدت الحملات على أبو حنيفة من جهتي الشيعة ومن بعض المذاهب الأخرى وخاصة أيام الحكم السلجوقي، ومن الأمور التي أثارت استفزاز أهل السنة الآخرين تأييده للخروج والعصيان على الخلفاء بالسلاح.

الامام الاعظم أبوحنيفة هو الوحيد بين الفقهاء الذى يواجه الحملة العاتية من التشهير والاتهامات، وترجع اكثرية الأسباب الى القياس و فتاواه العقلانية،والى تأييده لحمل السلاح ضد الخلفاء، وكان الثمن الذى دفعه أبو حنيفة في القياس قليلا حيث الشتائم والتشهير، الا أنه مشى في طريق أوعر عندما أقدم على الافتاء بتأييد الثائرين على الخلفاء.

(في سلك المعارضة)

عاش أبو حنيفة في السنوات (٨٠–١٥٠ هـ) وكانت حقبة ازدهار البحوث الفقهية والكلامية، وان تلك البحوث ترتبط مباشرة بحركة معارضة الأمويين وأوائل العباسيين.

فقد شارك العديد من الفقهاء في الانتفاضات المسلحة بأنفسهم أو بوسائل أخرى مثل مقاطعة الدولة وامتناع بعضهم عن العمل في القضاء والادارة لئلايكونوا من (أعوان الظلمة)، وكان أبو حنيفة من البارزين في هذا الميدان بل كان رائدهم الاكبر.

وحول مشاركة أبو حنيفة في الانتفاضات فقد أفتى بتأييد وثبة(زيد بن على)،في الكوفة ضد هشام بن عبدالملك ودعمه بالأموال،وافتى بعده تأييده ثورة

البصرة بقيادة ابرهيم بن عبدالله الحسني ضد المنصور العباسي وكلاهما من الشيعة الزيدية، ولم يؤيد ثورة العباسيين اذ كشف بثاقب بصيرته تشابه سلوك الأمويين العباسيين في الحكم، الا انه لم يؤيد وثبات الخوارج.

(معالم من سلوكه الاجتماعي)

كان في معيشته يعتمد على تجارة الخز مما لم تجعله تاجرا كبيرا بل وفرت له يسرا، وكان ينفق منها على تلاميذه والمحتاجين من الناس، ويحتفظ منها بأربعة آلاف درهم في السنة عملا بقول الأمام على(رض):- (المال أربعة آلاف درهم ومازاد فهوكنز).

ولم يلتزم عيشة الزهاد وحياة المترفين بل اختار الاعتدال.وتزمت في اخلاقيات البيع والشراء حيث لايقوم بالدعاية لبضاعته لان فيها تغرير بالمشتري، ولم يتبع وسائل التجار كاخفاء العيوب والتحكم في السعر والاحتكار، يروى ان الشريك التجاري لابي حنيفة (حفص بن عبدالرحمن)قد أخل مرة بتلك الضوابط فباع صفقة وأخفى عيوبها ولما علم أبو حنيفة بالأمر أخذ حصته من ثمن المبيع وتصدق به كله.

((ردود الفعل))

ولما ظهر أبو حنيفة كفقيه ألمعي في الكوفة وكرائد لمدرسة الرأي وذاعت شهرته في الآفاق،ظهرت تحديات وانتقادات لآرائه الجريئة وخاصة مذهبه في القياس،علما بان الأمام الشافعي أخذ بالقياس ايضا ولكن في أمور معينة ولم يتوسع فيه، والمذهب الشيعي يمنع القياس منعا باتا.

وناقدو أبي حنيفة يرون ان الاحكام لاتعلل مادامت صادرة عن الشرع هذا ما يراه مذهبا مالك وابن حنبل.

(موت سقراطي)

مصادر الحنفية تقول ان مخابرات (المنصور)رصدت تحركات أبو حنيفة بعد ان علمت بتأييده لثورة ابراهيم في البصرة، فأمر الخليفة والي الكوفة بتوقيفه وارساله الى بغداد، فعاش(١٥)يوما فسقاه سماً في(١٥٠هـ).

ويرى (ابن الحج)في كتاب (الخيرات الحسان /ص ٦٧-٦٨):-ان الخليفة لمادعاه الى بغداد لم يتجرأ على قتل أبي حنيفة لغير سبب ظاهري، فطلب منه القضاء مع علمه بانه لايقبل ذلك، فدس له السم وهو في سن(٧٠).

أوصى أبوحنيفة في السجن أن يدفن في مقابر الخيزران لانها أرض طيبة غير مغصوبة ، وتسمى مقابر الخيزران في أواخر العصر العثماني باسم (الاعظمية)نسبة الى لقب (الأمام الأعظم).

المصادر/

١-الأشعري (٣٢٤هـ)مقالات الأسلاميين.

٢-الخيرات الحسان لابن حجر في حياة أبي حنيفة وفقهه.

٣-وفيات الاعيان /لابن خلكان.

٤-تأريخ بغداد /الخطيب البغدادى.

٥- أبو حنيفة حياته عصره/ تأليف الشيخ أبو زهرة/عالم ازهري وهو من المعاصرين.

٦-مسند أبي حنيفة /دار الكتب

أحمد پيرمامى ـ هەولير

الشكلانية أم التشكيل
بين الشعر و القصة القصيرة الكوردية المعاصرة
الدكتور فرهاد پيربال نموذجاً

كوردستان ـ بعيدة ـ عن الحياة الجديدة ـ عن السعادة ـ عن الفن الجميل.لم تتبلور مصطلحات نقدية كثيرة في ادبنا الكوردي المعاصر، وقد تتصدر تلكم المصطلحات الشعر و الشعرية والشكل و الشكلانية و التشكيل و التجريب و التغريب و ما الي ذلك، فكان لابد لنا إن نضع النقاط على الحروف ـ كما يقال ـ ونبدأ في الأقل بمحاولة متواضعة لتعريف أو رسم ملامح بعضها، فالشكلانية، قبل كل شيء، ليست تشكيلا باي حال من الأحوال من حيث ان الشكلانية تركز جل اهتمامها وعناصر على رسم خارطة ثانية لشكل النص على الورق بعد ولادته، وهذا الشكل قد يساهم وقد لايساهم في شحن النص بمعنى اضافي أو بمنحه ترميزاً معيناً لأيصال خطاب النص ومعناه الى ذهن المتلقي. أما التشكيل فانه على العكس تماماً من الشكل و الشكلانية من حيث استمرارية حركته الدؤوب في التحولات المتعددة (غير الرتيبة) سواء في انحراف المفردة اللغوية عن سياق معناها العام و المستهلك ام في تقطيعها الى اصواتها المنفردة وخلق فراغات او فضاءات مقصودة فيما بينها أو اعتماد حركة الصورة الذهنية لثيمة نص على مساحة الكتابة كما حاول ذلك الدكتور(فرهاد پيربال) في الصورة الذهنية المتخيلة لـ(شيراتون تحت المطر)[1] حيث انتهز حركة التاريخ الخاص ببناية فندق الشيراتون في اربيل وما آلت اليه البناية(كشكل) وهيكل عظمي سلخت عنه مغلفاته وجلده إبان حركة سوسيولوجية تشكيلية لحالة اجتماعية و طوبوغرافية لا حقة حفرت مفرداتها في ذهن (بيربال) بقسوة، فتحولت هذه القسوة كحس انساني الى تشكيل بالكلمات ـ بضع مفردات ليس اكثر ـ ولكن تلكم الكلمات تمتلك من الشحنات والايتمولوجيا الغنية بحيث تستفز ذهن المتلقي استفزازاً قد يماثل استفزاز كتاب او مجلدات باكملها عن طبيعة و عناصر و تاريخ الصورة الذهنية التشكيلية: ((كوردستان/ بعيدة/ عن الحياة الجديدة/ عن السعادة/ عن الفن الجميل.)) هذه المفردات توزعت على مناطق الهيكل المجرد وتحت

وابل من زخات المطر المتفجر من فوهات المدافع و البنادق و صواريخ(RBG7)و على قامة الفندق الهيفاء التي كانت تملأ العين ذات يوم بالغزل وأحلى الكلام والحياة النابضة بالحركة و الحيوية.

صحيح إن التشكيل نفسه، وبعد إن يستقر على شكل ثابت على مساحة الكتابة، يتحول إلى شكل، ويمكن اتهامه بالشكلانية، ولكن هذه المفردات او العبارات التي تمنح ذهن المتلقي وتستفزه، قد تورطه أو تجرجره إلى الاشتراك في تشكيل آخر وبذلك يتواصل التشكيل و يحتفظ بديمومة استمرارية في حركة متعاقبة يساهم في خلقها ورسم مواقعها وبالتالي استيلاد خارطة اخرى قد تختلف تماما لحركة النص الذي افلت من بين اصابع (فرهاد بيربال) واصبح فضاء مفتوحاً لذهن المتلقي.

ويضعنا الدكتور(بيربال) ازاء اشكالية اخري في التشكيل ولكن، هذه المرة، يضع قصيدة كلاسيكية من الموروث الكوردي تحت مقصلة المغادراتية فيمارس معها عملية تفصيل (تقطيع بالمقصلة) لتتشكل بعد ذلك آيادب معاصرة تتبلور للمرة الأولى في الادب الكوردي المعاصر[٢]. قد يتهم البعض هذا التشكيل بالكولاج او ما شابه ذلك، ولكن العملية تختلف تماماً من حيث القصدية ومن حيث حركة التشكيل بالاقتطاع من نص قديم و محسوم وربما مستهلك على أن هذا الاقتطاع لم يكن (كولاجيا) بقدر ما كان ابداعاً وخلقاً جديداً لوجود جديد على انقاض وجود قديم عبر تفصيل مفردات الوجود القديم. وعملية التفصيل هذه واحدة من ركائز الايادب المغادراتية المعاصرة في الادب الكوردي الذي يخطو خطواته الاولى نحو الدخول في الالفية الثالثة. إذن.. التشكيل ليس شكلاً، فالشكل جمود وموت وقولبة في أطر محددة علاوة على ان الشكل نوع من الاعتقال الذهني في حين إن التشكيل حياة، حركة، استمرارية، انبعاث، استيلاد وجود آخر.. و اظنني بذلك قد بلورت

د. فرهاد بيربال

مصصلحين حام حولهما الكثير من الضبابية و الاشكاليات.

علي إن(فرهاد بيربال) وان كان قد أولى اهتماماً خاصاً بعملية التشكيل لم يتخل عن إبداع مجموعة آيادب مغادراتية بلغة اعتمدت قبل كل شيء على الانحراف عن السياق العام للمعنى المستهلك أو على انحراف معنى المشهد الشعري او الصورة الذهنية المتخيلة مع تعددية الثيمات والمعاناة من الحنين و الغربة، فهو غالباً ما يكون طفلاً كبيراً يحبو على الاربع سعياً الى صدر الأم، كما يبدو جلياً في آيدَبه المعنونة (تەرتەبيل . سَقْط المتاع) حيث يحبو في احضان:

((حلم جميل.. جداً طويل/
كالطفولة التي لاتفارقك ابداً
كالجمال الذي لايغادر مخيلتك أبداً.
كل ما امتلكه وتمتلكه و ما سوف نمتلكه،
تخسره من أجل ذاك الحلم،
وفي النهاية تصبح نبوءاتك؛
هالة.. حول وهم قمري؛
قميصك، ملابسك الداخلية.. على سرير حزين
وانت عار... ترتجف

كالطفولة التي لاتغادرك أبداً
كالجمال الذي لا يهجر مخيلتك أبداً))[٣]
ويعود (فرهاد) مرة اخرى الى العزف على اوتار الحنين للأم.. للوطن.. للأهل للاصدقاء في رسالة مغادراتية طويلة جداً يحقق فيها ضربة معلم - كما يقال - حيث يستفز ذهن القاريء فجأة في عنوانه (قصيرة طويلة جداً الى أمي)) ليمهد لمساحة واسعة جداً (متوقعة) للكتابة ومن ثم يفاجيء المتلقي بعبارة جداً قصيرة وبخيلة من حيث المفردات ولكنها تحتل مساحة واسعة من المفاجأة والاستفزاز: ((النص رقم ٤) حيث يقول بكل بساطة وهدوء قاتل: ((اشتاق اليك....)) أما الإنحراف بالمشهد الشعري، وعبر حركة تشكيلية أيضاً في نصه رقم (٥) حيث يصعد اعلى قمة في مدينة الغربة بحثاً عن نسمة قادمة على اجنحة الريح من الوطن البعيد، ولكنه يرى كل شيء... يرى كل المدينة.. ولايشاهد أربيل الوطن.. الطفولة، الام... الاصدقاء .. الذكريات.... هذا هو (فرهاد) في آيادبه المغادراتية و موسوعيته و تشظيه فيما بين كتابة التاريخ الكوردي احياناً و العمل الصحافي أحياناً، والعمل الاكاديمي احياناً، ورعاية المركز الثقافي الاجتماعي(شرفخان البتليسي) باستمرار، وادارة الندوات و الحلقات الدراسية و الاخذ بيد الشباب نحو الا بداع و التفاعل مع الحياة، وتلبية متطلبات(تەرزه جاف) ومؤسستها الزوجية التي في زيادة وتطور مستمرين، فقلما نشاهده ماشيا لاننا اعتدنا عليه راكضاً دوماً يلهث تعباً دائماً، كما في قصته القصيرة (الهارب) والتي يبحث فيها عن ساقة الضائعة لكي يتمكن من الهرب... عفواً.. من المغادرة من القصة الكلاسيكية التي غالباً ما تتمركز على ادارة الحدث تحت سطوة الموضوع أو الثيمة، الى القصة المغادراتية التي سوف تورطه يقيناً في بناء العلائق البنيوية بين مفردات الوجود اللغوي و الى الكتابة تحت درجة الصفر.

إن الشكلانية المستهلكة في القصةالقصيرة الكوردية ما تزال تحتل الصدارة في الكثير من القصص القصيرة الكوردية من حيث الارتكاز في حبكتها على الحدث وادارة مفردات الحدث بلغةتوصيلية بدلاً من لغة خلق، ومن حيث ارتكازها على الثيمة الموضوعية سواء كانت ضمن حركة الروي من الداخل ام من الخارج، وللاسف الشديد، لا استطيع في هذا الصدد الاشارة الا الى اسماء محددة لاتكاد تتجاوز اصابع اليد الواحدة استطاعت تجاوز تلكم البناءات فنياً ولغة، وفي مقدمتهم القاص و الروائي الكبير(محمد موكري)و (الدكتور فرهاد پيربال)و القاص (جليل كاكه وەيس) و القاص (احمد محمد اسماعيل) واسماء اخرى ظلت تراوح في فضاءات القصة السبعينية او خرجت من الساحة القصصية الى سوح اخرى. على ان اشكاليات التشكيل تبقى قائمة تحت السؤال الذي يطرح نفسه بالحاح؛ هل تظل القصة القصيرة قصة قصيرة فيما اذا تخلت عن ركائزها الفنية التقليدية (حبكة، حدث، ثيمة، ذروة، نهاية...الخ) أم أنها ستغادر ذاتها ايضاً - كما حصل مع الشعر و قصيدة النثر - الى جنس ادبي آخر يمكن ان نطلق عليه ايضاً مصطلح آيادب مغادراتية ؟!

ولقد حاولت ومازلت ايجاد و بلورة نماذج قصصة يمكن ان اصطلح لها آيادب مغادراتية، وعثرت على الكثير من النماذج و خاصة لدى (موكري) و (فرهاد بيربال) وغيرهما على ان الاشكالية ما زالت قائمة في عملية التشكيل التي قد تتداخل في تشكيل النصوص النثرية الاخرى والتي اعتمد ادباؤنا على تسميتها بقصيدة النثر... ولكني، ومن وجهة نظر شخصية ، على يقين تام بان ادب الالفية الثالثة لابد ان يهجّن عدة اجناس ادبية في جنس واحد، وسيكون هذا الجنس بالتأكيد آيادب مغادراتية، سواء كانت قصة قصيرة ؛ رواية، قصيدة نثر...أو أى شيء آخر.

النص رقم((١))
(شيراتون)
لەكاتى باران باريندا
د.فەرهاد پيربال

ت: أ.ش

بعيدة
عن الحياة الجديدة
عن السعادة
عن الفن الجميل

كوردستان . بعيدة . عن الحياة الجديدة . عن السعادة . عن الفن الجميل.

النص رقم((٢))

حلم استاتيكى جمالى

ت:أ.ش

حلمي هذا
مثل غزالة
حزينة
نهض و ذهب الى المدينة
كل مَن يراه يجهش بالبكاء

حلمي هذا ـ مثل غزالة ـ حزينة ـ نهض و ذهب الى المدينة ـ كل مَن يراه يجهش بالبكاء.

النص رقم(٣)

من الشعر الكوردي المعاصر

مختارات من(اسوداد في الابيض وبياضات في الاسود)

فرهاد بيربال

ت/ تەرزه فائق الجاف

(١)

تەر تەپێل

حلمٌ جميل، جداً طويل

كالطفولة التي لاتفارقك ابداً

كالجمال الذي لايهجر مخيلتك

كل ما امتلكتهُ و تمتلكهُ و ما سوف تمتلكهُ

تخسره في سبيل ذلك الحلم

وفي النهاية تصبح تنبؤاتك

هـ

أ

ل

حول وهد قمري

قميصك وملابسك الداخلية

وانت عار

كالطفولة

كالجمال

على سريرٍ مهموم

ترتجف

كالطفولة التي لاتفارقك ابداً

كالحلم الذي لا يهجر مخيلتك

♦ تات بمعانٍ عديدة منها: **مكتبة** رجل الدين، اشياء عتيقة، مبعثر، **فانِ** ، **طبائع**

(٢)

(م)

كافكا يقول: كل شيء **اسود**

جيمس جويس يقول: **كل شيء رمادي**

موديلياني يقول: **كل شيء رقبة طويلة و رفيعة**

ستريند بيرك يقول: **كل شيء معركة مستمرة** بين المرأة والرجل

داروين يقول: كل شيء **((انتصار الاقوياء))**

لورانس يقول: **كل شيء هو الجنس**

نيوتن يقول: **كل شيء نسبي**

ماركس يقول: **كل شيء هو النقود**

كوركي يقول: **كل شيء نضال الطبقة العاملة**

بروتون يقول: **كل شيء حلم**

اراغون يقول: **كل شيء إلزا**

هيدايت يقول: **كل شيء فنطازيا**

موني يقول: **كل شيء زهري**

وأنا اقول: **كل شيء داء استحالة احتضان الجمال**

رؤوف عثمان

أحمدي خاني..... قراءة أخرى

لقد أتحف الدكتور عزالدين مصطفى رسول المكتبة الكردية بأجل كتاب من نوعه، حيث لم يسبقه باحث كردي حتى الآن في تسليط الضوء المشع على حياة وشخصية ونتاجات أبداع خاني العظيم بهذه الصورة النموذجية من التحليل والتمحيص. فالكتاب يضم بين دفتيه خمسمائة واحدى عشرة صفحة وطبع في بغداد سنة ١٩٧٩، ومما يثير انتباه القراء أن البروفيسور عزالدين استقى مواده وأخباره ومعلوماته من عيون المصادر النادرة التى يتعذر على الباحث استحصالها، حيث إغترف من ينابيع المصادر الكردية والعربية والفارسية والتركية والالمانية والأنكليزية والروسية، إن توثيق مديات روافد هذا الكتاب يؤكد على التقاليد العلمية والأكاديمية الرصينة في ربط المعلومة بمصدرها وأحترام الجهود الفكرية للآخرين لقد بذل المؤلف في تأليف الكتاب جهوداً عظيمة وأنكب على تأليفه ردحا من الزمن ومنحه نبض اعصابه وفيض جهوده، ولايستحق الا التثمين المنصف واحترام هذا الجهد الأكاديمي الآلق. أن المتلقي النابه والمنصف يشعر بريادة البروفيسور في هذا المضمار الذى يُغني الأدب الكردي ويسمه بميسم أكاديمي متميز. لقد قسم الدكتور عزالدين كتابه على هذه المحاور: المقدمة، حياة خاني ثم التعرج على الوضع السياسي والأجتماعي والاقتصادي لعصر خاني' خاني والمسألة القومية، النظرة الأجتماعية عند خاني، صور أثنوگرافية كردية في مەم وزين، خاني والتصوف، خاني والنقد الأدبي الكردي، وقسم كل محورمن هذه المحاور على عناوين فرعية شتى ودخل في ادق التفاصيل المتعلقة بحياة خاني ومؤلفاته وأفكاره، لقد أشار الدكتور عزالدين في تناول ملحمة(مەم وزين) وفي المقدمة، الى أفكار واراء الذين سبقوه في هذا المنحى وهم كل من الآساتذة الاجلاء: علاءالدين سجادي، كيوى موكرياني، ضياءالدين خالدي، توفيق وهبي. أمين زكي، جلادت بدرخان، كامران بدرخان، وكذلك المستشرقين: أ.ژابا، ب ارخ، ى اوربيللي، ف نيكيتين،

احمدى خانى

ر لسكو، وكوردوييف، لقد عانى البروفسور من شحة المصادر وإختلاف طبعات مهم و زين وبعض التطرف والخلافات في أراء البحاثة، وكذلك التباين في اختلاف الترجمات لـ(مهم و زين)، أشار المؤلف الى منهجه في مقدمة الكتاب [1] (كان هناك ارتباط عضوي، كامل في حركة عصرنا الأدبية وهناك وحدة ديالكتيكية بين ماهو أممي وما هو قومي في أداب الشعوب في عصرنا. فان هذه الظاهرة تطبق على الادب الشرقي في العصور الوسطى والمتأخرة كظاهرة ذاتية وموضوعية. فلقد كان هناك ترابط تأريخي وحضاري وفكري أثر على التماذج اللغوي والبلاغي أيضا وهذا مادفعنا إلى دراسة خاني كشاعر لعصره و واحد من شعراء الشرق، يعكس النسبة التأريخية بين الكرد و شعوب الشرق في عصره تأريخيا عن طريق انعكاسها الأدبي.).إن هذا المنهج الفكري وهذا التوجه الأكاديمي لاينتهك جسد النص ولايجزؤه وماينسجم صبوات المؤلف الفكرية والفلسفية، حيث لا يبتر خاني عما حوله ولايقطع جذور كينونته الضاربة في أرض وتأريخ كردستان،بقدر مايربطه بالواقع الكردستاني المتفاعل مع الثقافات العربية والفارسية والتركية، (ليس النص ((داخلا)) معزولاً عن ((خارج)) هو مرجعه. الخارج هو حضور في النص ينهض به عالما مستقلا، عالما يساعد استقلاله على اقناعنا به أدبياً متميزا ببنية بما هو نسق هذه البنية هيئتها ونظامها وعليه فإن النظر في العلاقات الداخلية في النص ليس مرحلة أولى تليها مرحلة ثانية، يتم الربط بين هذه العلاقات بعد كشفها وبين إسمه ((الخارج)) في النص. بل ان النظر في العلاقات الداخلية هو أيضا وفي الوقت نفسه النظر في حضور ((الخارج)) في هذه العلاقات في النص). ان كشف جدلية العلاقة بين ماهو قومي في الثقافة وماهو

عالمي أو شرقي يضع محليتنا في مكانها المسموح لها، أن الاستعلاء فوق ماهو عالمي، لا يأتي من أمنيات ساذجة ونبيلة بقدر ما هو وقوف بوجه التيار وجهل بحركة الواقع، لقد أشار النقاد المحدثون، أمثال فوكو و رولان بارت و درايدا الى نظرية الأمتداد أو العلاقات التي تضع محايثة الفكر الأنساني الابداعي في منطقة محايدة، لكنها تضاء من الأطراف أو محاصريها

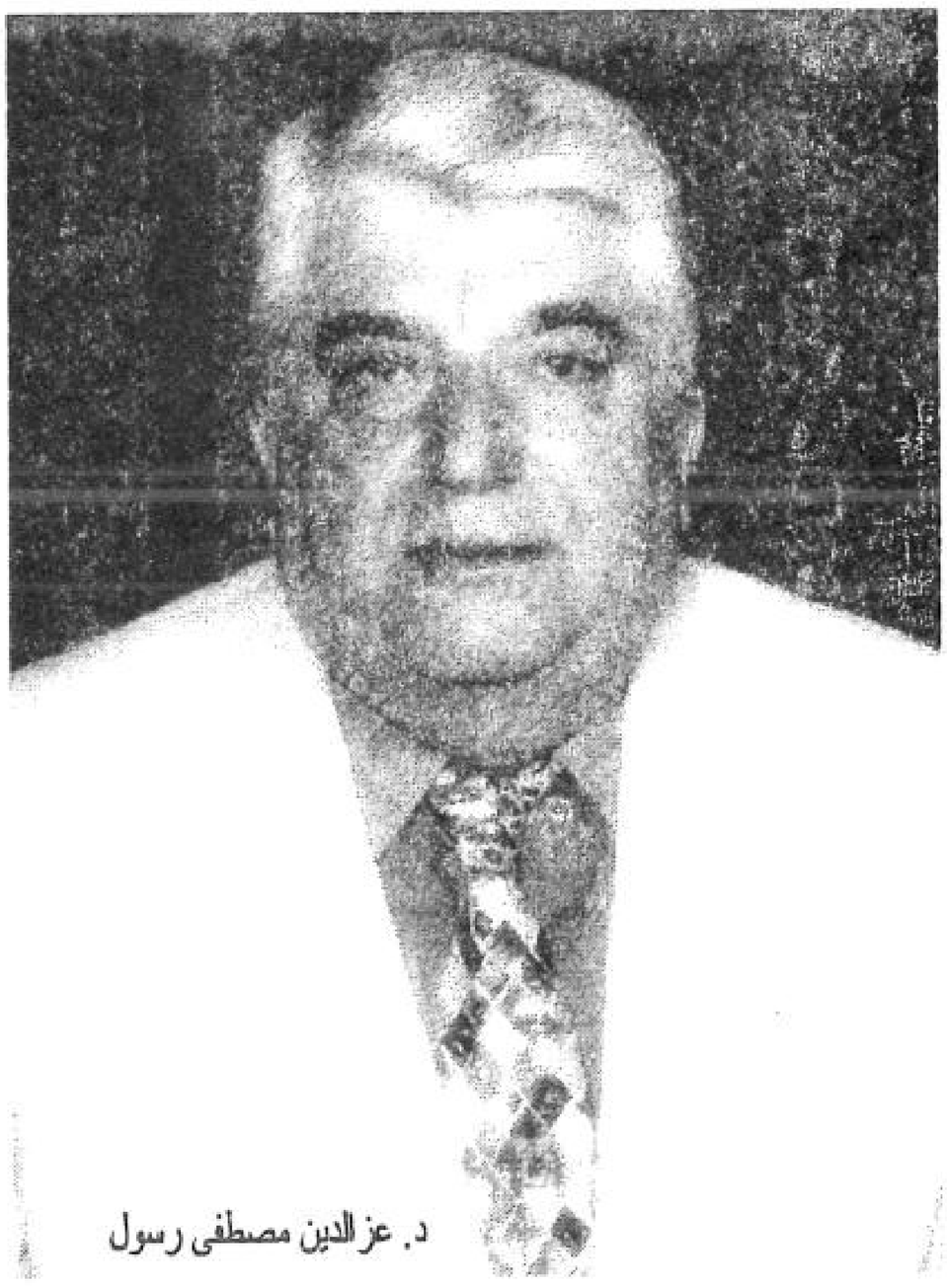

د. عزالدين مصطفى رسول

حصار المبراة للقلم، يقول ماثيو ارنولد: [٢](في كل مكان توجد علاقة، وفي كل مكان يوجد مثال وأيضاح وليس بأمكاننا فهم حدث واحد أو أدب واحد بطريقة ترضينا الا بدراسة علاقته بأحداث اخرى أو آداب أخرى)، إن المناهج العلمية ترفض الأطلاقية والتعميم الا حينما تحددها المناسبة او الحقل المعرفي الذي يلائمها و يتنفس من خلالها، فالمنهج لايكون ردئيا الاحينما يتجاهل المادة ويتنكرلها والعكس صحيح، [٣](ان للنص منطقه النوعي كما ان لتأريخ النص منطقه الموضوعي، فمنطق النص منطق داخلي ومنطق سياق النص منطق خارجي ولاتضارب في ان يبحث النقد في بنية النص وأن يبحث تأريخ ألادب في بنية سياق النص وبين هذا وذاك تتنزل إشكالية الممارسة بعد ان تستقيم أشكالية التعريف)، فالنظرة المتفحصة الى مقدمة كتاب أحمد خاني، وخاتمته ـ نتائج البحث ـ تؤصل عمق العلاقة بين المحورين وكأن الثانية نتيجة للأولى والرابط بينهما تلك الجهود الأكاديمية البارعة للدكتور عزالدين وما توصل إليه لم يسبقه أحد ولايشق له غبار. يحس القارئ بعد ان يتمعن في ثنايا هذا الكتاب، انه يعيش في القرن الثامن عشر ويطالع بأم عينيه المجتمع الكردي وثقافته وعاداته وأسباب حضارته وهو يغذ حياته بخطوات ثقال، وأن الأعداء متربصون به آناء الليل وأطراف النهار، وخاني شاهدُ على عصره كأي مثقف يحس بمسؤليته القومية والوطنية والأنسانية، وأحيانا يسبق عصره بفكره الثاقب وآرائه المستقبلية المتوثبة، أرى ان مناقشة فكر أو فلسفة خاني وتحليلها و وضعها ضمن تخوم ثقافة عصره لا يؤدي الى إعتباره فيلسوفا أو مفكراً عالماً، بقدر مايؤكد على تناوله افكاراً فلسفية مبثوثة في الثقافات المسجدية المتاحة من الحلقات العلمية في المساجد عصرئذ، هذا التوجه الفكرى والفلسفي في شذرات من نتاج خاني يدل على عمق ثقافته واستيعابه لأفاقها في عصر يتثاءب الشرق وبالأخص المنطقة الكردية جهلاً وتخلفاً، وانه يظل مثار إعجاب البحاثة المنصفين، وان الاخ الدكتور عزالدين ناقش تلك الظاهرة الأستيعابية والاحتوائية لخاني ضمن جدلية علاقته بالفكر الصوفي الشرقي كاشفا أهمية بزوغ عبقرية خاني ضمن عصره، يقول فردينا ندبرونيّر [٤](ان تأيخ الآدب المقارن سيجعل فهمنا إنجليزا كُنا أم فرنسيين للسمات الموجودة في أدبائنا العظام أكثر حدة وقوة فنحن لا نقيم هويتنا إلا

بالمقارنة بأنفس الآخرين ونحن لانعرف انفسنا عندما نكتفي بمعرفة أنفسنا !).

يا ترى هل يجوز ان يُسد الطريق أمام باحث أي كان، حينما يتناولُ نصا قديما بمنطق حداثوي مغاير؟! هل يظل النص مادة جامدة لا يتناولها الباحث الا بمنظار عصر انتاج النص بعيداً عن كل التقنيات الفنية والأسلوبية الجديدة؟ ان منطق تحريم الاقتراب من تخوم النصوص القديمة وعزلها عن المعطيات الفنية والإبداعية لهذا العصر تجاهل فض بحركة الإبداع فضاءاتها اللا متناهية، حقا ان الأخ الدكتور عزالدين ناقش فكر وفلسفة خاني من منطلق منهج الفكر المادي الذي له قيمه وضوابطه وأقانيمه الخاصة، ياترى هل هذا التناول يسد الطريق أمام باحث آخر، في تناول خاني من منطلق فكري مخالف أو مناهض للأول؟! ان الفكر الهرمنطيقي أو التأويلي يضع النص في متناول كل العصور والأمكنة ولا يحرم منافذه من استنشاق قراءات أخرى وأخرى، لانه يتجدد ضمن عالمه الداخلي في كل تناول نقدي حديث، يقول الدكتور عزالدين أسماعيل [٥] (ليس للنص معنى محدد فليست هناك بؤرة مركزية يتمحور حولها هذا المعنى، ولكن هناك دائما لعب للدوال وأنديا ح للمعنى نتيجة لذلك الى غير نهاية وبلاحدود ومن ثم تنتفي قابليته للتفسير النهائي)، فالنص يغتني بالقراءات الجادة وتتسع اطرافه وتتعمق مضامينه وأحيانا ينتج إبداعات اخرى لها اهميتها الفنية ــ ان كانت القراءة جادة ــ ، وانه كائن حي له قوانينه الداخلية الخاصة به، فأي اقحام يخالف منطق انتاج النص يميت روحه، [٦] (ان للقراءة التأويلية بعض الحظ في إعادة تركيب مالم يُقل (القول الضمني) في النص الظاهر وذلك عندما تقوم بمهمة المفسر الموجهة الى اصل المخالفات القواعدية . ماكان اختلافا عن قياس لقاعدة اللغة المرجعية يصبح دالا بالنسبة للقالب اللغوي بهذا الوجه تُظهر هذه الاختلافات مثل تنوعات كثيرة).

وأخيراً فأن كتاب أحمدى خاني هذا السفر الجليل يستحق قراءات جديدة وتناول جديد بغية إثراء ثقافتنا النقدية، ما أحوجنا اليها ونحن ندخل الألفية الثالثة بخطى ثقال!

---

[١] المصادر

١ –أحمد خاني شاعراً ومفكراً فيلسوفا ومتصوفا ــ مطبعة الحوادث بغداد ــ سنة ١٩٧٩ ــ الدكتور عزالدين مصطفى رسول . ص١٨.

٢ –الأدب المقارن ــ مقدمة نقدية ــ تأليف سوزان باسنيت ترجمة أميرة حسن نويرة ــ ١٩٩٩.

٣ –اشكالية التعريف ــ قضية النبيوية ــ دراسة ونماذج ــ عبد السلام المسدي ص٧١.

٤ –الأدب المقارن ص٣٠.

٥ –اشكالية النص ص٣٣٤.

٦ –مفهومات في بنية النص ــ ترجمة الدكتور وائل بركات الطبعة الأولى ١٩٩٦ ــ سورية ــ دمشق ص١٠٦.

د. كمال معروف

الشعر الكردى والتنوير

بيكس نموذجا

بيكس شاعر من الشعراء القوميين الثوريين الأكراد الذين أقرنوا الكلمة بالفعل. فعندما نتكلم عن القومية الكردية يجب التأكيد على أن اسم بيكس يحتل مكانة بارزة في هذا الاتجاه القومي. فقد خصص هذا الشاعر كل حياته ومات شهيداً من أجل الوطن. كان أمله الوحيد أن يرى كردستان حراً مستقلا ويرى الشعب الكردي محَرراً من كل القهرو القمع والهيمنة. ولذلك لم يتوقف طوال حياته عن التنديد بالعادات والتقاليد البالية السائدة بين صفوف شعبه بسبب بعض مشايخ الطرق الصوفية الذين يتحملون مسؤولية كبيرة في انتشار الجهل و الأمية والخرافات و الشعوذة داخل المجتمع الكردي. فطالما عرقل هؤلاء المشايخ تطور الشعب الكردي بسبب الافكار والمفاهيم الخاطئة التي كانوا يبثونها بين صفوفه، ومقاومتهم تبني قيم العدالة والمساواة والتقدم.

تشدّد الشاعر بيكس في نقده ومحاربته القيم البالية المتخلفة التي كانت سائدة في عهده بين صفوف الأكراد، حيث كان يعتبر هذه القيم قد تجاوزها الزمن ولاتُلائم الأزمنة المعاصرة لأن هذه تتطلب عقلية جديدة.

وفي قطعة شعرية تحت عنوان أيها المُلاّ كتب بيكس مايلي:

أيها الملا، استحلفك بالله
أن تترك هذه الأفكار البالية
وأرني الطريق الجديد
طريق التطور والخلاص.(٢)

وفي قصيدة أخدى يتناول بيكس ممارسات بعض شيوخ الطرق الصوفية ودعاواهم الدينية، حيث يندد بيكس بكل هذه الممارسات والادعادات الخاطئة ويعتبرها حاجزا هاما أمام تطور وتقدم الشعب الكردي. فيقارن الشاعر بين الوضعية المزرية التي

كانت الأمبراطورية الاسلامية تجتازها أنذاك من جهة و وضعية القارة الأوروبية المتقدمة على كل المستويات وفي جيمع الميادين من جهة أخرى، ويقول أن العلم و اكتساب المعارف المتنوعة هوالذي كان وراء التطور الذي عرفته أوربا والغرب بشكل عام، وكذلك يضيف الشاعر، كان إهمال العلم والمعرفة وراء التخلف و حالة الانحطاط التي تعيشها الشعوب الأسلامية اليوم، فيقول في أحد أشعاره:

عزيزي الصوفي ينوي
أن يقيم قصراً عامراً
بالحوريات وأجمل الفتيات
بفضل لحيته الطويلة فقط
عزيزي الصوفي يقول
انه باللحي تدخل الجنة
لكن ما علاقة ذلك بالعلم!.(٣)

ذلك إن بيكس كان شاعرا متنوراً في طليعة الشعراء الداعين إلى تعميم المعرفة على كل المناطق و مختلف الأوساط الاجتماعية الكردية. وهكذا ظل يدعو دوما شعبه، خصوصا الشباب منه، إلى اكتساب العلوم و المعارف في كل الميادين والمجالات، كما ظل يطالب بفتح المدارس و إقامة المؤسسات التعليمية في كل مناطق كردستان.

حيث يقول في إحدى قصائده:

إن معاناتنا تجد حلها
في المدرسة فقط
انهضوا و أفيقوا من سباتكم
فقد ولى وقت النوم
لنشعل قنديل المعرفة
ولنخلص أنفسنا من
دهاليز الجهل والأمية.(٤)

وفي السادس من أيلول ١٩٣٠ في كل أنحاء العراق بشكل عام، وفي كردستان بشكل خاص، حدثت مظاهرات شعبية عنيفة للاحتجاج على إقامة مجلس تشريعي مزيف لا يمثل إرادة الشعب العراقي وذلك بغية التصديق على المعاهدة التي عقدها الحكم الملكي البائد مع الحكومة البريطانية.

وقد كانت هذه الأحداث فرصة بالنسبة لشاعرنا بيكس صاحب التوجهات الثورية التقدمية، حيث قرن الكلمة بالعمل. فتزعم إحدى أكبر المظاهرات الشعبية

التي تمت أنذاك في كل أنحاء كردستان، وقد دفع ثمن ذلك باهظا حيث جرح أثناء التظاهرة، ثم طرد من عمله وتعرض للسجن والاعتقال. لكنه حتى داخل السجن لم ييأس ولم يشعر بالاحباط كلية وظل يتغنى و ينشد الأغاني والالحان الوطنية كتعبير عن عزمه

على متابعة النضال و الكفاح، حتى تحقيق الأهداف و المبادىء التي آمن بها.

كان بيكس إنسانا تعيسا شقيا، يعيش للشعر فقط مثل Verlaine، ورغم معاناته المادية و المعنوية ظل يدعو الشباب للانخراط في ميدان النضال من أجل إقامة العدالة و خير الوطن.(٥)

وهكذا يقول في أحد أشعاره أثناء وجوده بالسجن:

ياوطني
من ذا الذي يعشقك
فلم أنس ذكراك
في السجن والأقدام مكبلة بالحديد
لن أنسى ذكراك ما حييت
و لا تظن أن
السجن والضربات و الأهانة
بقادرة على إبعادي عنك.(٦)

بعد فشل حركة التمرد الشعبية شعر الشعب بحجم و حدود قوة و سلطة الحكم الرجعي في العراق. وكانت فرصة بالنسبة لشاعرنا بيكس ليحذر القوى الرجعية من نقمة الشعب و سخطه، لأن يوم النصر (انتصار الجماهير الشعبية) آت لامحالة، انتصار العدل على الظلم و انتصار الخير على الشر:

لاتعتقدوا أن عزيمتنا قد وهنت
فالرجال هم الذين يستشهدون و يقطعون
والحقوق لا تأتي على الأسرة المريحة
أوهامكم ضائعة، فالأكراد لن يركعوا
وصكوك الخلاص تَمض بقطرات الدم
فالشعب أقوى و إرادته لاتقصر
ولن يتنازل أبدا عن أهدافه العليا
وسيمر في الكفاح من أجل إحقاق
حقوقه ولو قطع إربا إربا
أنا أعشق اللون الأحمر
لأن بشائر الفجر تبدو من خلاله.(٧)

لكي يتخلص الشاعر من حزنه و همه وأساه و يأسه يطلق صرخة مدوية في وجه الواقع. ويعتبر أن إرادة الشعب كفيلة بقهر كل ماعداها، فالعزيمة القومية هي الأساس وليس دموع الانهزامية:

كفى بكاء و صياحا أيها الشعب
فالاهات و اللوعات لاتفيد
في هذا العالم الظالم
فصيحات الاغاثة
لن تمنع ألم الفقر
فما نحن في حاجة له في هذا العالم
هو العزم و الاعرادة.(٨)

وبعدما عاين ولاحظ أن قرارات الامم المتحدة تظل حبراً على ورق، خصوصا عندما يتعلق الأمر بقضية الشعب الكردي، لذلك يدعو بيكس شعبه إلى عدم الركون لهيئة الأمم المتحدة أو الثقة في قراراتها وسياساتها تجاه الشعب الكردي، حيث يقول:

ليقل العالم مايريد
لكنني أرى أن مايقال
كذب و بهتان
لقد جربنا السياسة الدولية
المرات تلو المرات
ورغم ذلك لا يزال بعضنا
يؤمن بهذه الخزعبلات.(٩)

هذا من جهة ومن جهة أخدى و بوصفه شاعر تقدمي و ثوري متمكن يتفجر شاعرنا وكأنه بركان عنيف أو زلزال قوي ضد فئة الأغنياء الانتهازيين الذين لا يترددون في أستغلال العمال و فقراء الفلاحين و كافة الطبقات الكادحة من أجل قضاء مصالحهم الشخصية الضيقة رغم أنهم لايتوانون في رفع يافطة القومية و الوطنية من اجل قضاء مآرب لا علاقة لها بالوطن لامن قريب ولا من بعيد. فالقومية و الوطنية عندهم ماهي ألا غطاء لأشباع غرائزهم الوطنية حيث أنهم يترددون في التضحية بالوطن ـ كردستان ـ يوم تكون عندهم مصلحة في ذلك، وهكذا يقول عنهم بيكس في أحد أشعاره:

إيه، أنت أيها الحاج المرابي (١٠)

الذي تتاجر في تبغ الفقراء
فما دمت قد بعت تبغك
و اشترته الدولة منك
لم يعد أمامك سوى أن تهب بسرعة
وتقطف باقة من أزهار القصر
التي سقته دماء الشباب.(١١)

في نهاية الحرب العالمية الثانية كان مفهوم الأخوة العربية ـ الكردية قد بدأ في الانتشار والبروز داخل الأدب الكردي وكذلك النضال المشترك الذي كان الشعبان يخوضانه معا من أجل تحقيق أهدافهما المشتركة في إطار عراق حر مستقل و ديمقراطي. وفعلاً مكن الكفاح المشترك الشعبين معا و بعد مجهودات جبارة من إفشال وإلغاء معاهدة بورتسموث التي عقدتها حكومة صالح جبر العراقية مع الدولة البريطانية.

ومن جهة أخرى يجب القول أن الأمبريالية لم تتوقف عن التامر داخل هذه المنظمة من أجل إحداث الفرقة و الخصام و العداوة بين الشعبين العربي و الكردي بغية فرض سيطرتها على أرض العراق و استنزاف ثرواتها الطبيعية والبشرية.

إلا أن المفكرين و الشعراء الأكراد كانوا أول من تفرد بالتنديد بهذه المناورات وهذه المؤامرة، حيث شددوا كثيرا على مبدأ الأخوة العربية ـ الكردية و ركزوا على ضرورة التمييز بين الأنظمة والحكومات من جهة والشعوب ذاتهامن جهة أخرى.

في ١٩ حزيران ١٩٤٧ تم إعدام أربعة من كبار ضباط الأكراد في الجيش العراقي بعد عودتهم إلى العراق، ذلك بتهمة المشاركة في تأسيس جمهورية مهاباد الكردية بإيران سنة ١٩٤٦.ولم يرض شاعرنا بيكس أن يدع هذا الحدث يمر دون أن يعبر عن تواجده ومساندته و توقه بجانب أبطال الشعب الكردي. وهكذا أعاد التذكير بالتزامه عدم التوقف عن النضال و الكفاح حتى يوم النصر الحاسم، كما عبر عن افتخاره و اعتزازه بأبناء الشعب الكردي الذين لم يتوانوا عن النضال و التضحية من أجل الشعب و الوطن الكردي. ولذلك كان دائم التفاؤل بالغد المشرق الذي ينتظر شعبه. لأنه كان يرى أن الشعب الذي لايتردد في تزعم قافلة النضال و دفع ضريبة الدم، لابد أن يأتي يوم تتحقق فيه كل أهدافه و تُستجاب كل دعواته و أمانيه.

اثبت الأكراد أمام العالم أجمع
انهم شعب عازم على العيش بحرية
شعب يُضحي شبابه
من أجل تحرير الوطن
ويتقدمون نحو حبل المشنقة
بوجه باسم.(١٢)

أما فيما يخص قضية و وضعية المرأة داخل المجتمع الكردي، فأن شاعرنا يقف بكل حزم بجانب كل الأوساط الداعية لتحرر المرأة و انعتاقها و مساواتها في الحقوق و الواجبات مع أخيها الرجل، بأعتبار أنها كائن بشري كامل يجب احترام كرامته و أنسانيته. وهكذا، و إيمانا منه بالمكانة العالية التي تحتلها المرأة داخل المجتمع و دورها الهام في تطوره و نموه و تقدم مختلف مكوناته، يتوجه بيكس و يخاطب النساء بشكل مباشر داعيا إياهن للالتحاق بصفوف النضال و الكفاح بجانب الرجال من أجل المصالح العامة للمجتمع الكردي بكل مكوناته، حيث يعتبر أن الطير لا يستطيع التحليق بجناح واحد وأن اليد الواحدة لا تصفق. ثم أن جمال المرأة لا يكمن في جمالها الجسدي فقط واستخدام مختلف أساليب و تقنيات التجميل، بل في التعلم و الدراسة و التثقيف و اكتساب المعارف و العلوم المتنوعة. فقد خصص أغلب الشعراء الأكراد، إن لم نقل كلهم، حيزا هاما في أشعارهم لوضعية المرأة و طالبوا باحترام كرامتها و إنسانيتها و وظيفتها الاجتماعية و العائلية.

تحتل المرأة داخل المجتمع الكردي مكانة بارزة. فرغم انتسابها للعقيدة الأسلامية، لاترتدي المرأة الكردي الحجاب كما لاتظل حبيسة البيت و الأشغال

المنزلية، فحتى في غياب زوجها بإمكانها استقبال ضيف أجنبي في بيتها.....(١٣)

يانسرين
مضى وقت كثير
ولازالت أهاتك ترن في قلبي
لانك حبيسة البيت
و حياتك ظلام في ظلام
أقول هذا لأنها من واجبي
هيا، انهضي و ناضلي
ما دمت في ريعان الشباب
أظهري نفسك و لاتكوني خجولة
فقد ولى زمن الحياء.(١٤)

وهكذا يمكن القول مع جيرارد شالياند أن المرأة الكردية تتمتع بالاحترام و التقدير، حيث تقول إحدى الأمثال الكردية:

((أن الذي لايخاف زوجته رجل ناقص)) فالمرأة الكردية تحتل مكانة هامة في كل الأنشطة العشائرية، بما فيها القتال و الكفاح.(١٥)

أما على المستوى الرومانسي، يتميز الأسلوب الذي مارسه بيكس في هذا الميدان بأصالته و تفرده، حيث نراه في احد أشعاره بعنوان حوار مع القمر يتأمل في القمر و يرجو مساعدته في حبه. لكن خصوصيته تتجسد أكثر في القفزة النوعية التي يحققها بيكس من عشق حبيبته إلى عشق الوطن و الأمة الكردية، حيث يُعبر عن أعتزازه و افتخاره ببطولتها و يحزن و يتحسر لألامها و بؤسها:

أيها القمر
كلنا نعاني نفس الألم
كلنا نتأوه من نفس الآهة
وآنت حالم بوجهك الأصفر
الشاحب في السماء
وانا تائة أجول بين الأماكن
أرجوك أيها القمر،
يامقصد المحبين و العشاق
ويا بلسم القلوب الحزينة.(١٦)

وختاما يمكن القول: أن بيكس كان بحق شاعراً جريئاً لايهرب أمام التحديات مهما كانت صعبة و خطيرة. فطالما حاول خصومه شراء ضميره، لكنه كان دائما يرفض بكل قوة و صلابة، وذلك بالرغم من الحياة البائسة المزرية التي عاشها بسبب تشبثه بمواقفه القومية الوطنية التقدمية النبيلة.

غير أن بيكس كان كذلك شاعرا لايملك من سلاح سوى قلمه و موهبته الشعرية. فأشعاره التي تتناول المضامين السياسية تتميز ببساطة و سلاسة أسلوبها الشعري، إذ كان همه الأساسي إنهاض الهمم و شحذ العزائم و توعية شعبه الكردي الذي كان متأثرا خلال هذه الفترة بسطوة المفاهيم المتخلفة و قيم الشعوذة وممارسة الخرافات. فقد كانت بساطة أشعاره السياسية تجعلها بمتناول مختلف القراء الأكراد مهما كانت انتماء اتهم الاجتماعية والطبقية، خصوصا الجماهير الشعبية المسحوقة و الشباب الذين كانوا يتغنون دائما بهذه الأشعار و يجعلون منها أناشيدهم و ألحانهم الوطنية المفضلة. لعبت أشعار بيكس دورا هاما في ميدان الكفاح الوطني و ذلك بجانب قوة الكفاح المسلح، ولذلك قال ((رفيق حلمي)) بخصوص الشاعر بيكس أنه شاعر كردي قومي كان دوما في طليعة الروح القومية الوطنية الكردية. فقد رفع عاليا راية القومية، حيث يأتي في المرتبة الثانية بعد الشاعر حاجى قادر كويي.(١٧)

كما أشرنا لذلك سابقا، تجسد أشعار بيكس انتقاداً حاداً تجاه الوضعية الاجتماعية التي كان المجتمع الكردي يجتازها أنذاك، كما كانت هذه الأشعار انعكاسا صادقا س للوضعية المزرية التي عاشها الشاعر طوال حياته.

كان بيكس شاعراً محبوباً من طرف شعبه حيث ظل مخلصا و فيا طوال حياته لهذا الشعب و من هنا تنبع المكانة البارزة التي يحتلها هذا الشاعر في قلب و كيان و و جدان الشعب الكردي، فقد سبب له هذا الارتباط الوثيق بشعبه ومواطنيه العديد من أنواع البؤس و القهر و القمع و الحزن و التخريب والعداوة.

بشكل عام يمكن القول أن بيكس كان شاعراً قوميا أكثر من كونه شاعراً شعبويا أو اشتراكيا.(١٨)

المصادر و الهوامش

١–اسمه الحقيقى ((فائق بن عبد الله)) ولد في سيتيك (وهي قرية تبتعد حوالى ٢٠ كلم، شمال - شرق مدينة السليمانية). بعد ما أكمل دراسته المتوسطة، صار((بيكس)) معلما بالمدرسة الأبتدائية، ثم تعرض بعد ذلك للسجن و الاعتقال و التهجير بسبب مواقفه السياسية القومية الملتزمة، ومن أشهر مؤلفاته:

- ديوان بيكس، دار نشر شفق، بغداد، ١٩٧٠.

٢–محمد ملا كريم المدرس، ديوان بيكس، دار نشر الأديب، بغداد، ١٩٨٠

٣–نفس المصدر، ص١١٤ - ١١٥

٤–نفس المصدر، ص١١٣

٥–توماس بوا، مصدر سابق، ص١٣٦

٦–نفس المصدر، ص١٧ - ١٨

٧–نفس المصدر، ص٢٢

٨–محمد عبدالرحمن زنطنة، ((بيكس))، مجلة نوسري كورد، عدد خاص، بغداد، ١٩٨٦، ص٦٤ - ٦٥

٩–محمد ملا كريم المدرس، ديوان بيكس، دار نشر الأديب، بغداد، ١٩٨٠ ص٢٤

١٠–الذي قضى مناسك الحج.

١١–محمد ملا كريم المدرس، ديوان بيكس، دار نشر الأديب، بغداد، ١٩٨٠ ص٢٠

١٢–نفس المصدر، ص٢٧

١٣–جيرارد شاليباند، الشعر الشعبي عند الأتراك و الأكراد، دار نشر أوجودي، باريس ١٩١، ص٧٢

١٤–محمد ملا كريم المدرس، ديوان بيكس، دار نشر الأديب، بغداد، ١٩٨٠ ص١٠٣

١٥–جيرارد شاليباند، الشعر الشعبي عند الأتراك و الأكراد، المصدر السابق ص٧٣.

١٦–علاء الدين السجادي، تاريخ الأدب الكردي، دار نشر معارف، بغداد، ١٩٥٣، ص ٥٧٧ - ٥٧٨

١٧–رفيق حلمي، المصدر السابق، ص٧٣

١٨–علاء الدين السجادي،مصدر سابق ص ٥٧٦ — ٥٧٧.

اشكاليات الخطاب الانثوي وتحدي الخطاب الذكوري في آيادب (ئەرخەوان) المغادراتية

المدخل ـ بطاقة دعوة للجنون

آيادب مفادراتية تمتلك قدرة نادرة على استفزاز ذهن المتلقي منذ أول أية تتصدر البطاقة التي لم اكن ادري ما تكون؟! أهي دعوة حقاً لاقامة الصلاة في حضرة الجنون؟ أم آيات زردشتية قديمة ألقت بها احدى اناث الملائكة في النار.. في دفتر معتق بالعشق و تألّهاته، انيق بأبجديانه فعثرت عليها (ئەرخەوان) وهي تخوض حتى الركبتين في مستنقع ألغام، عندما وقفت حائرة بين هروب الزمن من بين أناملها الرقيقة وهجوم الوحدة والاغتراب في هزيع الصقيع اليلتف طوقاً حول خريف العمر الذي ظل يندف وينث الايام الساقطات يوماً يوماً.. حيث يكون الصمت اللغة الوحيدة في الدنيا الضيقة.. الضيقة جداً على اتساعها؛ حتى لا تكاد تمنحها يوماً واحداً فقط، تدخل به في محراب عشق هارب أبداً:

((وحدكَ اليوم.. كن لي،
أريد اليوم ألا تفكر في أحد،
ألا تفكرفي أي شيء،
من الماضي..

من الآتي..))[1]

وتصلي ولو ركعة واحدة لجنون يستحيل الامساك به، كيداً لكل سنوات التعقل والرزانة المنافقين والانصياع لقصاصة ورق تافهة تحمل توقيع النفاق الازلي ومهر المكائد الذكورية الالهية:

((فلنشعل في محراب العشق؛
شمعة العمر الاخيرة معاً،
ونصلي الصلاة الاخيرة معاً،
اليوم.. وحده اليوم.. مرفأ نهايتنا.))[2]

ولكنها بطاقة آيات على أية حال، وليس بمقدوري اقناع ذهني بأنها بطاقة شعرية استلتها (ئەرخەوان) من تاريخ يمتد اكثر من ثلاثة الاف عام شعري، فهذه البطاقة انطوت في كل ابجدياتها على تحد كبير للزمن الشعري الذي تباهى ردحاً طويلاً بالخطاب الذكوري الأوحد في ألوهيته كما انها نفثت في وجوهنا جرأة في اختراق الحياء الانثوي الذي كان قد اصطنعه اصلا ذلك الخطاب الذكوري قسراً بدافع من الانانية و الانفراد بالسطوة الالوهية على وحدة الوجود الجنسي المشترك مناصفة تماماً:

((قد لا تتلاقي عيوننا مرة أخرى؛
في الدروب المليئة بالعشق،
وقد لا تقبّل شفاهنا بعضها مرة اخرى،
في سُكر يضجّ عشقاً،
ولا تتوهج أناملنا ذات ليلة مليئة بالعشق،
تعالَ.. ولنرتشف كأسنا الاخيرة،
ونشعل السيكارة الاخيرة
ونصغي معاً للأغنية الاخيرة
ونتخاصم.. نزعل.. للمرة الاخيرة
ونتصالح.. ونعانق الله للمرة الاخيرة..))[3]

فليس لأحد الجنسين فضل يفوق الجنس الاخر في تكوين وتشييد هذا الوجود الذي ما برح الخطاب الذكوري يعتبره من املاكه الخاصة به وحده وبكل بلادة و على الرغم من انه يدرك تماماً ان الوجود لا يمكن ان يكون وجوداً في غياب الانثى، فكان لابد لأيادب (ئەرخەوان) مغادرة هذا المفهوم وبكل شجاعة - ربما صفعت الذهنية الذكورية الشرقية صفعة قاسية - واصرار على الامساك بتلابيب يوم واحد فقط.. لتشحنه بكل حرائق الحرمان القسري، وبكل صلوات العشق - في الاقل - لكي لاتغادر الدنيا بالخسارات وحدها، وهي بذلك زاهدة جداً و متواضعة جداً في دعوتها للاحتراق بيوم واحد فقط من عمر تجاوز العقد الرابع ببضع سنوات، واظنه ذهب هدراً في متاهة النفاق الاجتماعي اللامبرر أصلاً. ولأنها إمرأة شرقية اولاً، وكوردية ثانياً، ولها موروث احتراقي زردشتي متراكم ثالثاً، كان لابد ان تضم في جوانحها وخلجات أعماقها رسالة طويلة وعريضة جداً لا تمتلك إلا ان تحطم بها جدارات الخجل المنافق وتفضح اسرار الانثى المراوغة التي ارغمها الخطاب الذكوري على التعكز عليه ردحاً طويلاً من الزمن؛ قد آن الاوان لايقافه في يوم واحد فقط:

((اليوم.. آخر مرافيء العمر؛
لا غد لنا.. تعالَ وكن لي اليوم شمساً؛
فانا لا احتمل ان اكون ظلاماً..
أنا عاشقة الالوان.. كل الالوان،
ولست اطيق الظلام..
أريد اليوم كل الالوان تَنَثُّ علينا مطراً،
وأنا.. وانت.. سكارى، ونرقص مثل(زوربا)
ونرقص.. نرقص حتى نتطهر من كل خطايانا..
اليوم فقط.. كن لي
تعال ولنتعرّى.. ولنلقِ بانفسنا في اشراق هذا الجنون.))[4]

وشحن هذا اليوم الخرافي بكل اساطير العشق علّها تمسك بتلابيب الاسطرة المغادراتية من خلال تشييد علائق بنيوية بين مشاهد الاسطورة المعاصرة التي باتت واحدة من ركائز تأسيس الايادب الاستفزازية وان تعكزت هذه الاسطرة على الذاتية الحميمة النابعة من عمق صدق التجربة التصوفية في العشق غالباً:

((اليوم.. يوم خرافي؛
اليوم أريد ان احبك بكل الجنون،
احتضنك بكل السكر و الكفر،
اشمك رمشاً رمشاً، شعرةً شعرةً..
ارتشف روحك قطرة قطرة،
احترق في جحيم آخر قبلة لك،
وأموت في اعماق عينيك.
اليوم.. آخر اغنية عشق،
آخر قبلة.. آخر كأس،
وآخر ثمل وآخر جنون.))[٥]

هذا الاحتراق وهذا الجنون الاسطوري، قلما نتلقاه في ادبنا الكوردي المعاصر، وان كنت شخصياً قد تلقيته كثيراً في ايادب (قوباد جلي زاده) المغادراتية الذي ساتناوله في دراسة مماثلة لهذه الدراسة على صفحات الحبيبة(پەيڤين) القادمة، على ان (ئەرخەوان) قد اوغلت بعيداً في تكشيف زمن التجلي في يوم واحد حتى انها استحضرت في ذهني زمن أهل الكهف الذي لملم ثلاثمئة سنة في ليلة اوبعض يوم.. ترى؟ أكان أهل الكهف بهذا العشق التصوفي الاسطوري حقاً؟ ربما ليس بمقدور (هيلين) الاجابة عن هذا التساؤل، ولكن العشق وحده والاحتراق به وحده، هو الذي يملك الاجابة الصريحة، فعندما تندلع حرائق العشق فينا لا يبقى للزمن أي مسار و تتوقف حركته تماماً أو في الاقل تختصر مسافاته الشاسعة الى لحظات يستحيل حسابها باية وحدات زمنية حتى على أدق الكومبيوترات، واعتقد جازماً ان هذا هو السر الذي استطاعت (ئەرخەوان) الامساك به بعيداً عنا:

((اليوم.. يوم بلا غد،
لآخر وجود، أخر موت، آخر صلاة، آخر إله
وآخر اليوم.. ولن يعود أبداً
اليوم.. آخر المرافيء
آخر الاساطير
اليوم آخر موت لي
فتعال..كي أموت في حضنك أنت
لأنني من بين كل العشاق في المدينة
أحببتك انت
فكن اليوم فقط لي وحدي
وحده اليوم..كن لي.))[٦]

ولمَ لايكون هذا المعشوق المحظوظ جداً جداً؟! وهل هناك امرأة في هذا العصر تعشق بكل هذا العنفوان!؟ لا اظنني اتردد لحظة قط في اشعال الحرائق في كل الدنيا لو اني عثرت على عاشقة بهذا الاحتراق.

ويتواصل الاحتراق في آيادب (ئەرخەوان)في (البكاء ـ احتراق الروح) والغريب انني فوجئت بالموت في هذا الاحتراق و لست ادري إن كان الموت قريناً لرؤية تشاؤمية استجدت في مفردات حياتها، ام انه احتل مساحته الواسعة في احتراق الروح كاشارة في عالم مليء بالاحتراق انبعاثاً للحياة الصاخبة و الحقيقية في(بطاقة دعوة للجنون) فكيف اصبح موتاً في هذا النص المكتوب اصلاً بالعربية؟

قد أبرر هذا التحول بوجود انعكاسات لمفردات حياتية ذاتية في حياة(ئەرخەوان) اليومية التي ربما اصابها شيء من الجدب و الخمول اللذين غالباً ما يولدهما اليأس المتسلل خلسةً الى ثنايا اللاوعي في اثناء ساعات النحس المفاجئة واللعينة، وخاصة عندما يتلفت احدنا حواليه فجاة فلا يجد سوى مفردات العبث ومجموعة من العلائق البنيوية الملغزة بالأحاجي

والطلاسم المتكورة على مفرداتها ببلادة الحمير.. على ان هذه البلادة احياناً قد تكون فرصة ذهبية لالتقاط ما لا يمكن التقاطه في حالات التوهج والاتقاد الذهبي المستنفر للتأويل و التفسير أو الموضَعَة فنهرب الى البلادة ونطالب الجميع بعدم السؤال:

((لا تسألوني من يكون هذا الموت،
انه موت إله؛ لم تروِعنه الاساطير))[٧]

و على العكس تماماً من لغتها المعروفة بالا نزياح عن السياق العام للمعنى، تمهد (ئەرخەوان) لهذا الموت الجميل بعبارات مباشرة و خبرية تفتقر الى الشاعرية: ((هذا الموت هو موت الروح، لم يذكر أي دين من الأديان؛ موت الروح)) لتعود بعد ذلك الى لغتها واقامة الحوار الساخن بينها وذهن المتقلي: ((أنا على الرصيف المظلم، كنت روحاً من الاحتراق، وهو من وراء النافذة المضاءة؛ كان جسداً من اللامبالاة)) ولكن اللغة الاشارية تنقطع ايضاً مرة اخرى لتسقط في المباشرة الخبرية وان كانت تنشيء علائق بنيوية غرائبية فيما بين مالا علائق بينها: ((بكائي انا، و قطرات الامطار - يواسيان بعضهما، بكل معزة.. المطر- تساقط الغيوم، البكاء - احتراق الروح، عيون ادمعي لا تترك النافذة المضاءة، كل وجودي وكل تفكيري، متروك وراء تلك النافذة..)) ولولا هذه العلائق الغرائبية لقلت ان (ئەرخەوان) قد اطلقت العنان للذاكرة العبثية لتهذي كما يحلو لها الهذيان وإن هذا الهذيان في مقاطع اخرى يبدو مقصوداً ومستنبطاً من جمالية تتمتع بخصوصية انثوية: ((كم هو بخسٌ! هذا الاحتراق.. كم هولذيذ هذا البكاء! له طعم الاحتراق.. له نكهة العشق.. ولذة الاحتضار..

هذا طريق الألف ميل؛ يقطعه البكاء)) وهنا لابد لي من الاشارة الى هذه الانزياحات عن السياق العام في تشييد وبناء هيكلية بنيوية خاصة بلغة الأيادب المغادراتية التي بدأت تجتاح أقلام الكثيرين من الادباء والاديبات الكورد، سوا، كتبوا نصوصهم باللغة الام أم بلغةالضاد: ((سنونوة لا تلتقط قطرة من دموعه، أصابع فيروزية لا تمسح خده، اذن مرهفة لا تسمع هسيس احتراق انفاسه؛ كم هي حزينة تلكم الاغاني اللواتي يلهجن بالعشق..)) وعلى الرغم من يقيني بان النص قد كتب في احدى ساعات النحس الاسود، فانه ظل يجرجر قلم (ئەرخەوان) بين الفينة والاخرى الى انبعاث الحياة و توهج العشق في خضم الاحتراق: ((العشق حلم النساء الحمقاوات، حين يعشقن بكل وجودهن رجلاً، والرجل خارج وجوده؛ يحب الاف النساء. العشق لايمنع الموت!)) بل يمنعه و يتحداه ويهزمه، لأنك يا (ئەرخەوان) تعرفين جيداً وعلى ثقة تامة بهذه الحقيقة: ((أعرف اني من دونك أموت، حتى وان كنت عاشقة اكثر من هذا.. مئات الاضعاف!)) أفلا تهزمين الموت بهذه المئات الأضعاف من العشق الذي يتحدى الموت و البكاء و يوقد الحرائق في الروح؟! هو الاحتراق في العشق اذن.. وهو الذي اجبرك ان تقولي: ((أنا غجرية في بلادي، لا أحد يمنحني مكاناً لخيمة، لا أحد يمنحني حق اللجوء، وحتى في بيتي لا املك مكاناً لكرسي، ولكني املك قلباً فيه الف عشق وعشق))[٨] ويبدو لي ان المسحة التشاؤمية المبعثرة في ثنايا هذه الآيادب المغادراتية قد ولدت من الاحساس بالغربة الداخلية الذاتية لأمرأة شرقية عانت طويلاً من وراء ستار سميك لسطوة الخطاب الذكوري السائد في مجتمعنا الكوردي الشرقي التواق الى الانفلات والتحرر من الاعتقال الذهني ومن الاسلاك الشائكة لما يعرف بالقيم و المباديء و الاخلاق الاجتماعية البالية: ((اسحب جسداً من الجراح، على اشواك الغربة، في داخل بيتي احس بالغربة، لا أرى وجهاً حنوناً، ولا اتعرف على صوت مألوف..)) هي الغربة اذن.. وهي الاحساسات المتأزمة بالخواء على الرغم من كل ذلك الاحتراق، وعلى الرغم من((حكايات الف عشق و

عشق))[٩] و على الرغم ايضاً من الزيارات المتكررة اللذيذة لرجل القمر و زهور البنفسج النائمة في السنادين الذهبية التي غالباً ماكانت تفاخر بمغامراتها بين تلال الفهود و غابات السيقان... ولكنه لم ينسَ ان يبني عشا بين شغاف القلب، ولكن القلب مابرح مغلقا كما أظن، فما الذي عساه ان يفعل (برو ميثيوس) وقد سرق النار وجاءك محمولاً على اجنحة زوبعة من العشق اللاهب؟ فأين القيت بمفتاح القلب؟ أين خبأت نافذة الروح كي يتسلل عبرها الى المحراب فيصلي صلاته الاخيرة و يحترق الى الأبد؟!

ايتها الفراشة الهائمة في ملكوت النور، ايتها الايكة المعشوشبة (بطلعتها السمراء، وملابسها الطفولية) ايتها الزاهية بكل الالوان (المضمخة بالحناء) وعبق غابات البلوط..هلمي. ((واحتلي رجل القمر.. لن يعاشر النجوم بعد اليوم، إلا لكي يلملمها ويشبكها في خيط من ضوء، قلادة للجيد الذي هام في تضاريس العشق الحريق.

إن اللغة التي بمقدورها ان تكون خلقاً بدلاً من ان تكون توصيلاً وظيفياً فحسب، بامكانها ان تمنح الابداع قوة مضافة واقتداراً على خلق وجود جديد غير مألوف علاوة على قدرتها على اعادة رسم خارطة السلوك الحياتي اليومي سواءً على صعيد العلاقات الانسانية الاجتماعية او السلوك السايكولوجي للشخصية، فهذة اللغة المغادراتية تظل اداة عاجزة مالم تؤد او تنجز عملية خلق سلوكية جديدة، واعتقد ان من الافضل التخلي عنها عندما تسقط في شراك مثل هذا العجز سواء في ابداع الايادب ام في الممارسة السلوكية، وما يدهشني حقا ان "ئەرخەوان" تمتلك هذه اللغة في "حكايات الف عشق وعشق" وفي " وان كانت الانامل من الحرير" وفي "هكذا يواسيني حبيبتي" ولكنها في نصوصها الاخيرة تشطح بعيدا عنها.. بل واحيانا تتخلص عنها واظنني لا اغالي لوقلت بان ذلك من شأنه ان يحرمنا ان نسمح بمثل هذا القتل؟ امل ان تنبعث هذه اللغة وتتبلور ابجدياتها اكثر فاكثر لدى "ئەرخەوان" بالمزيد من القراءات الجادة والخروج من قمقم الغربة ومواصلة الاحتراق بالعشق.

بقلم: الدكتور رفيق صابر
ترجمة: ئەژی دلیر

الاغتراب في نتاجات حسين عارف القصصية

الاستهلال

الرحلة السحرية لحسين عارف في عالم كتابة القصة، رحلة مليئة بالابداع و المغامرات الفنية و الامعان في الاطراف و الاكناف و الخوض في عالم الانسان الباطني.

منذ السبعينات و حسين عارف منهمك في ابداع المواضيع الجديدة و التقنية الحديثة و يساهم بشكل جاد و بطاقة ابداعية من أجل تطوير القصة الكردية.

في كل محطة من رحلته هذه، نتعرف على جانب اوعدة جوانب من عالم قصص حسين عارف المثمرة و المتشابكة و على شخصيات نتاجاته. يستهل حسين رحلته انطلاقاً من الواقع و الايمان بالمجتمع، مروراً بالانسان و الريب و عالم الانسان الباطني المضمر، جاعلاً الانسان النتيجة و الميل، بجوانبه القوية و الضعيفة، بمعاناته و رؤاه و افكاره و طموحه و اغترابه عن نفسه و عن مجتمعه و واقعه. و في نفس الوقت، ان هموم التنقيب عند حسين في مشروع استمراريتها و ديموميتها تخلق اشكال الابداع الذاتية و الفنية الخاصة بها.

قبل ان اتطرق الى مسألة اغتراب الانسان في قصص حسين، لابد من الاشارة ـ و لو باختصار ـ الى الاغتراب كعنصر فلسفي و اجتماعي و كظاهرة اجتماعية. الغربة او الاغتراب Alienation تعني الحالة التي يقضي فيها الانسان حياته مغتربا، او ان يغترب من جراء نفسه عن نفسه، و لا يصعب عليه ان يقضي حياته العادية مع مجتمعه و ماحوله كموجود اجتماعي. الانسان المغترب، و كما يقول ايريك فروم، يقطع دابر اية علاقة له مع نفسه و مع غيره.[1]

قدمت بحوث و دراسات جمة عن الغربة و الاغتراب كظاهرة اجتماعية شائعة و كنتيجة لظهور و تطور

المجتمع الرأسمالي و التي تـأخذ حالـة و شـكل الوعـي العـادي (البســيكولوجيا الاجتماعيــة). و تم توضيــح مسبباتها الاقتصادية و الاجتماعية و الذاتية.

من هنا و بالنظر لعلاقتها ببحثنـا هـذا، قـد يكـون التطرق الى شكل و حالة الوعي العادي للاغتراب و التي تتجلى في الانسان المغترب اكثر اهمية من التحـدث عـن اسباب بروز تلك الظاهرة، لان الاسباب مهما كانت فأن حالتها و نتيجتها البسيكولوجية، و على الرغم من انها تأخذ طابعها التراثي، فانها متشابهة الى حد كبير. من المستحسن ان اشير هنا و لو باختصار، الى أربعـة آراء مختلفـة لـ (هيغـل، فيورباخ، مـاركس و فـروم) حـول أسباب هذه الظاهرة. على أمل ان اتطرق الى حـالات و نتائج بسيكولوجية للاغـتراب و حـالات الاغـتراب لـدى ابطال قصص حسين.

كان هيغل (١٧٧٠ـ١٨٣٠) على اعتقاد بانـه عندمـا لايستطيع الانسان ان يجد نفسـه في العـالم الاجتمـاعي الذي يعيشه، يبدأ بالاغتراب عن ذاته. يعتـبر هيغـل في فينومينولوجيا الروح الاغتراب بانه لحظة او حالـة مـن انبعـاث و نهضـة الـروح. امـا مشـروع الاغـتراب عنـد ماركس تتمخض عنه مجموعـة نتـائج للبسـيكولوجيا، منها: العامل يغترب عن عمله، الفرد يعيش مغتربا امام نتائج نشاطات عمله، الانسان يغترب عـن نفسـه و عـن قيمه و بالتالي يجد نفسه متأزماً و متناقضا مع ذاتـه. و عندمـا يتنـاقض الانسـان مـع ذاتـه، يتحـول هـذا التنـاقض الى تناقضـه مـع الآخريـن.(٤) و علـى هـذا فبانتهاء الملكية الخاصة لاسـاليب الانتـاج الرأسمـالي، ينتـهي اضطـهاد الانسـان و عندهـا تـزول العوامـل الموضوعية لمشروع الاغتراب. لان الـذات الـذي يثبـت موضوعيته عن طريـق الانتـاج، عندهـا يعـود موضـوع الوجـود الى الـذات المنتـج و يصبـح ملكـه، أي ملـك شخص آخر.

يطـور فـروم (١٩٠٠ـــ١٩٨٠) فكـرة مـاركس ولا يحصرهـا داخـل اطـار العمـل، بـل يعطيـها محتـوى بسيكولوجيا جديداً و يتطرق الى الظاهرة بذكر علاقتها مع تطور الذكاء الذاتي للانسان و البنية الاجتماعيـة و خصوصية المجتمع العليل.

ان تطور الانسانية ادى بالانسان الى المعرفة الذاتية (معرفة الذات) و اكتساب الثقافـة عـن ذاتـه و الاشـياء الاخـرى بشـكل اعمـق. لـذا فـان الانسـان لـن يكتفـي بتـأمين حاجاتـه البايولوجيـة (المـأكل، المشـرب و الجنس)، بل انه و بعد تأمين هـذه الاحتياجات و مـن منطـق طبعـه و كمحصلـة للانـثرو بولوجيـا و الثقافـة الذاتية، يبحث عن كل مـا هـو جديد و تظـهر حاجـات جديدة. هذه المتطلبات أساسية لمن في هذا المسـتوى من الوعي و التطور و انها لاتقل اهمية عن الاحتياجات البايولوجية. لذا فعلى المجتمع ان يتأ قلم مع الانسـان كفرد مع احتياجاته.

الاحتياجات عند فروم هي:

أ. المودة و بناء العلاقات الاجتماعية.

ب. احتياجات الانسان كي يصبح منشئاً و مبدعا فعالاً.

ج. حاجة الاحساس بالعون و الهدوء.

د. شـخصية متجانسـة كنـاتج لمعرفـة الـذات و الثقافة الذاتية للانسان.

ه. تعوّد مناسب و معقول و عقلاني مـع الواقـع و العالم.(٥)

عندما لايقدر مجتمع ما على تأمين هـذه الحاجـات الجديـدة، تتشـوه الحيـاة الروحيـة للانسـان و عندهـا ينقاد الانسان نحو الاغتراب. مثل هـذا المجتمـع و كمـا يدعي فروم هو مجتمع مضطـرب و عليـل. الانسـان في مثل هذه المجتمعات يصبح مغتربا، لأن تلـك الطاقـات الاجتماعيـة هـي الـتي تقـرر مصـير المجتمـع و شـروط حياة الذين يعيشون فيه. ان عزلتنا و ضعفنا من حيث تلـك القـوى الـتي تحكمـها تظـهر جليّـاً عنـد الازمـات كالأزمة الاقتصادية و حالات الحروب.(٦)

ان توقعات فروم هـذه تعطـي بعـداً أوسـع لعوامـل الاغـتراب لأنـها لاتحصـر الظـاهرة في حـدود المجتمـع الصناعي الرأسمالي فقط، بل من خـلال ايجـاد العلاقـة

مع بنية المجتمع و دور القوى الاجتماعية الداخلة في هذا المشروع تعطيها بعداً عالمياً. اذن فالظاهرة و لوانها في الاساس نتاج المجتمع الرأسمالي الصناعي، الا انها كمعظم الظواهر و افرازات المجتمع الرأسمالي تأخذ طابعاً عالمياً و عليه يمكن ان تتخذ حالة خاصة تختلف من تراث الى آخر.

الاغتراب و الغربة تجعل من الانسان ان يقطع دابر علاقاته مع نفسه. الانسان المغترب يعيش في حالة بحيث يتبدل فيها (الانا) بالشيء Thing، و المقصود من تغيير (الانا) بالشيء هو انهيار العلاقات الابداعية للانا بنفسه و بالاخرين. و لهذا يصبح (الانا) شيئاً يتأثر بالعالم الخارجي. اما عند الانسان العادي، فأن (الانا) يتعامل بشكل نشط كي يؤثر على حواليه و على العالم الخارجي بشكل مستمر. يؤكد فروم على ان تحول الانسان الى السلع و البضائع يعني موت (الانا) في الانسان. أي موت جميع احساسات (الانا) في الانسان، لان السلع و البضائع لا تمتلك الأنا.

الاغتراب ليس ظاهرة اجتماعية و اقتصادية فحسب، بل هو مشروع بسيكولوجي في نفس الوقت، لان حالات و مواقع الاغتراب تنعكس عند الانسان كظامرة ذاتية. يقوم (م. سيماني) بتعريف الاغتراب من خلال العلاقة مع الحالة البسيكولوجية للانسان الفرد. في بحث له حول الاغتراب/ ١٩٦١ يتطرّق لخمس حالات مختلفة للاغتراب كحالة ذاتية، متحدثاً عن اغتراب الانسان: الضعف ــ الهراء ــ اللاقيدية ــ

الانزواء و الاغتراب تجاه الذات.[٧]

هذه الاصناف التي لها محتوى بسيكولوجي لا سوسيولوجي، تعرض عذاب و آلام الانسان المغترب و الحالات البسيكولوجية للاغتراب و علاقات الانسان الفرد بالمجتمع و الاشياء، قد تفيدنا مثل توقعات فروم في بحثنا هذا.

(٢)

يمكننا تقسيم النهج الكتابي للقصة و رحلة حسين عارف الى عالم كتابة القصة الى ثلاث مراحل رئيسية:

المرحلة الاولى: ابتداء من نهاية الخمسينات حتى نهاية الستينات.

المرحلة الثانية: ابتداء من بدايةالسبعينات حتى اواسطها.

المرحلة الثالثة: اعتباراً من عام ١٩٧٦ و حتى التسعينات.

بديهي ان هذا التقسيم هو مسألة منهجية و موضوع رئيسي لجانب فني لأغلب القصص في تلك المراحل و بعكسه يتعذر رسم خط فاصل و عازل بينهما و بالأخص بين المرحلتين الثانية و الثالثة. حيث حالات التشابه بينهما تجعلهما محطتين لمرحلة واحدة لا مرحلتين مستقلتين.

المرحلة الاولى:

(لة كۆرِى خەباتدا) عنوان اول مجموعة قصصية لحسين عارف نشرها عام ١٩٥٩، و فيها نجد القاص منهمكاً بالمسائل الايديولوجية و السياسية و الاجتماعية لتلك الايام. او انها كانت جانباً فعالاً في تلك الظروف الادبية ـ السياسية التي غلبت على الادب و الثقافة الكردية في كردستان الجنوبية و حتى في العراق ابان الخمسينات.

في تلك الفترة و بسبب الهيجان السياسي الذي سببته ثورة تموز/ ١٩٥٨ في العراق و كردستان، وقع الادب الكردي تحت تأثير موجة الادب السياسي و الشعارات و الهتافات. كان الادب عند معظم الكتاب الكرد في تلك الآونة، ادب المحتوى او كان وسيلة تستغل لغاية و هدف سياسي و اجتماعي. كانت معظم الآثار الادبية لتلك الفترة اما واقعية تصويرية تلتقط الجانب الخارجي للمعضلات في الحياة الاجتماعية و الانسان و قضاياه بعدسة الكاميرا (الكاميرا الملتزمة و غير المحايدة)، و اما ايديوجية سياسية و ادبية مؤدلجة. لذا لم تنتج الاّ نصوصاً قليلة، و منها بعض قصص حسين و البقية ما هي الاّ نصوص تعرضت للمشاكل و انهمكت في المسائل الاجتماعية و السياسية لتلك الحقبة من الزمن، استلهمتها مواقف الكتاب السياسية لا الادبية و المعرفية، او دغدغة الذوق الفني الشائع و الميول السياسية الدارجة للكتّاب. لذا فان معظمها نصوص ناشفة و ليست لها قيمة جمالية و معرفية تذكر.

مع ان حسين كان و حتى نهاية الستينات منهمكاً في العمل السياسي، الاّ ان مستهل عمله الادبي و ظهوره كوجه ادبي من نتاج تلك المرحلة. و فيها استنبط حسين مواضيعه من حياة الناس اليومية.

ابطال قصصه اناس عاديون في المجتمع ممن لايلفتون النظر، و يصوغ حسين قصصه بلسان شفاف و لغة سلسة و بشكل تقنية كلاسيكية تشبه لسان موباسان (چايەكى شيرين ـ ميمكه هۆلى ـ لة رۆذيَكى سةختدا ـ دوذمنةكةى مام قيتةل ـ شالاَوى دلَ..). هذه النماذج تظهر النزعة الاولية لتجربة الكتابة القصصية عند حسين.

في نهاية الستينات يعتزل حسين العمل السياسي ـ الحزبي و يتفرغ للعمل الادبي و الابداعي بالكامل، و يسعى جاهداً و برؤية جديدة للعمل الفني، و بطاقة ابداعية جديدة، و بتقنية فنية خاصة لوضع بداية جديدة لنفسه و للقصة الكردية. و على ما أظن ان (خوويةكى ثووض/ ١٩٦٩) كانت بداية لهذا المسعى الجديد.

المرحلة الثانية:

في مستهل السبعينات بدأ حسين يميل الى تجربة ادبية جديدة، ليجعل من مسألة الابداع الفني ذات التقنية الجديدة و مسألة تجدد الادب الكردي محوراً للتمعن و للهوايات الادبية، مستهلاً تجربته الفنية بالواقع ايضاً. ولكن أي واقع؟

في تلك الفترة احتلت حوادث حرب السنوات العشر (١٩٦١ـ ١٩٧٠) الجانب الاعظم من افكار و نتاجات حسين. و من خلال مجموعة من قصصه، يرسم صورة

دقيقة للأوضاع العصيبة و الصعبة لتلك الايام و حياة الانسان البسيطة و العادية للكرد في ظروف الحرب.

يحاول حسين ان يدلي لنا بان الانسان في ظروف الحرب، لم يكن طليقاً في قراراته و سلوكياته. و يذهب أبعد من هذا و يؤكد بان مصيره مرهون بالصدف و سير الاحداث. و من باب الصدفه نجد (حةمةى كؤلَةكَر)، ذلك الرجل البسيط و العادي في قصة (نان و كةوةرِي خويَناوى) تلتهمه نيران الحرب، دون ان يفهم شيئاً عن مسببات تلك الحرب. و كذلك (خازه) و شقيقتها، كيف تتعرضان للموت جراء القصف في قصة (خازەيش مرد)، او في قصة (ضالَى جةرطى ثيريَذن) حيث آهات الثعرات من الامهات بسبب مقتل ابنائهن في نفس الحادثة اثناء المجزرة الجماعية التي تعرضت لها مدينة السليمانية عام ١٩٦٣. نفس الصدف و الحالات التراجيدية في قصة (بووى كردەشاخ) حيث يجبر (هةشت) احد شخصيات القصة للعودة الى الجبل، حفاظاً على روحه و لتحدى الاهانة و الاعتداء من قبل جندي محتل.

في النصف الاول من السبعينات، يروي حسين، من خلال مجموعة قصصه، معاناة الانسان الكردي التراجيدية، رابطاً إياها بالحروب. هذه القصص صيغت بشكل مكثف و بتقنية خاصة و كأن آثار الارتباك و آلام ايام الحرب و القصف العصيبة و الحالات الطارئة لاتزال تسايرها.

تمتاز القصص بتقنيات حديثة و متنوعة. لايتعرض الكاتب لشرح جزئيات الاشياء العارضة و يركز جل اهتماماته على محتوى النص و استعمال الجمل القصيرة و المباشرة و الابتعاد عن وصف المواقع و شكل و مظهر الشخصيات. و ان استعمال المحاورات المكثفة و الموجزة من اهم الخصوصيات التقنية لهذه المجموعة من القصص.

احياناً نتعرف على شخصيات القصص من خلال تذكرهم و عن طريق الحوار و التفرد، لا عن طريق السرد و الوصف و التصوير، و بها نقف على حقيقة أمرهم: ماذا يعملون؟، اين يقيمون، في المدينة ام في القرية؟ ما هي حالتهم المادية، هل هم اغنياء ام فقراء؟ هل يجيدون القراءة و الكتابة ام أميّون؟ من خلال هذه التساؤلات نتعرف على احلامهم و آلامهم، اهدافهم و امنياتهم.

يحاول حسين في قصصه هذه، و باقل ما يمكن من الحديث، ان يتعرض للكثير من جوانب شخصياته، و ان يكشف عن جانب من الحالة النفسية لحياة انامن مرحلة الحرب و التحطيم الجسدي و الروحي لهم. بخلاف بعض الكتّاب يلتفت الى الجوانب التراجيدية للحرب و نتائجها الفيزيائية و الروحية، لا للبطولات التي يصنعها الانسان و رجال البيشمەرگة في فترة الحرب ضد الاعداء. و من خلال تلك القصص يظهر جلياً ان الكاتب ينوي الانهماك في الانسان و مصيره. تعنيه آلام و أفراح الحياة التراجيدية لانسان فترة الحرب، لاتحريض الاعمال البطولية لرجال تلك الأيام العصيبة. لذا نجده يبتعد عن أدب المقاومة و كتابة القصص البطولية التي تمخض عنها ادب المقاومة و الادب الثوري.

شخصية حسين القصصية ليس عنتراً و لارستم و لامحطّم دبابات و لامقتحم خنادق و لاهو بملتهم نيران، بل هو من الاناس العاديين في المجتمع و الذين تسحقهم الحرب بشكل همجي. انهم اناس قبل كل شيء، لانهم يتحسرون و يبكون، يضحكون و يخشون، يتأملون و يعشقون الأمن و الأمان. و في المواقع و الاوقات المناسبة، يجدهم بسلاء لايرضخون للذل و الهوان، و يلتجؤون الى الجبل حفاظاً على أرواحهم و لايرجحون الصمت مقابل الظلم حتى في أقصى حالاتهم غير المجدية.

في قصة (خوويةكى ئووض) مع ان بطل القصة يستهزأ من الحياة و الوجود، ظناً منه بان (الانسان في حياته منهمك في العبث و منغمر في الاوهام و منجرّ وراء المستحيل)[٩]. الاّ ان اللامبالاة و عدم التعلق بالحياة لن تشجعه على التغاضي و السكوت عن الظلم و عدم

الاسراع الى نجدة الانسان عند الضرورة. لذا نجد عند تعرض (حەمە) العامل في المقهى (وهو انسان مضطهد يعاني من مرارة هذه الحياة القاسية) الى الضرب دون مبرر (لايتمالك نفسه امام هذا الاعتداء و يضع اللامبالاة و السخرية جانباً) و يدافع عن (حەمه).

هذه المرحلة كانت استهلالاً لمرحلة جديدة مليئة بالابداع و كانت جانباً من مرحلة بدأت بعد عام ١٩٧٦.

المرحلة الثالثة:

تعتبر هذه المرحلة الاكثر اهمية و تأثيراً على نهج كتابة القصة عند حسين عارف ـ على ما أظن ـ حيث تتعرض مواضيع قصصه لتحول جذري و عميق. يواصل حسين مسيرة تجربته القصصية الشاقة بفكر فلسفي اكثر وضوحاً، متوجهاً صوب كنه الانسان و اغترابه، منهمكا في الجانب النفسي و الروحي و همومه الانسانية و الفلسفية.

على هذا الاساس، نجد تحوّلا في الجانب التقني و الفني للقصص، نقلة من الحوار الى الانفرادية و الرؤيا و اندفاع الفكر و تتابع التداعيات من حالة السرد الموجز و الخاطف لحالة الشخصيات السطحية الى الانخراط في اعماقهم و كشف تفكراتهم و تخيلاتهم و عوالمهم الروحية. و تحّل المشاكل و المعضلات الروحية و الفلسفية للانسان المعاصر و مسائل الوجود و العدم محل مخلفات الحرب و المسائل الاجتماعية و السياسية، و الانسان محل الايديولوجية، و الشك محل اليقين، و الوحدة محل المعاشرة و الرؤيا، و أحلام اليقظة محل الواقع. و على هذا فان الانسان و اخص بالذكر الانسان الواعي كفرد و كموجود منشغل و كعالم زاخر بالأحلام و آلآلام و العذاب و الأماني و بالتالي كشخص مغترب في مجتمع يسوده الظلم، يتحول الى لبنة موضوع القصة الاساسية.

تبدأ هذه الرحلة المتواصلة بالقصص (خاك و باران و ئاييز ـ مەرطی نابینا ـ سمۆرة)، مروراً بـ (طەلەطورط) و بـ (ئەندێشەی مرۆڤێك) تصل الى مرحلة أبعد. لاتعتبر هذه الرحلة الجديدة رحلة فنية مجردة فحسب، بل هي رحلة معرفية و فلسفية ايضاً، و التي تتطور من خلال مشروعه و بالاتكال على المعرفة و الثقافة و تجاربه الحياتية و القصصية متوجهاً نحو التكامل و النضوج. في مشروع تطوره، يلجأ حسين الى القصة الطويلة كميدان وسيع للتعبير.

ابطال قصص (سموره ـ شباط/ ١٩٧٧) ينوون التعّرف على العدد الاكبر من اسرار الوجود و ان يقفوا على حقيقة اعمالها و سلوكها عن كثب)[١٠]. الاّ ان صبري و بعد مرور حوالي (١٢)عاماً كبطل لقصة (ئەندێشەی مرۆڤێك) يعاني بسبب تمعنه الفلسفي للحياة و مشاكل الادراك و معرفة المجتمع و الانسان و تتحول عنده مشكلة اسرار الحياة و الوجود و العوز الى عاهة سرطانية يتأثر بها)[١١]. و لو ان الكاتب كان يتعرض لاناس عاديين بسطاء في قصصه السابقة، الاّ انه و من الآن فصاعداً، يولّي وجهه صوب اناس مثقفين مفكرين، اولئك الذين يعيشون في جحيم الوعي و الاستدراك و لهم مبادئهم و فلسفتهم للحياة. ابطال هذه القصص و بالاخص في (گەلە گورگ) و (ئەندێشەی مرۆڤێك) و بسبب وعيهم و مبادئهم وافكارهم و سلوكهم المغايرة لايمكنهم التأقلم مع القطيع و المجتمع. لذا نجدهم وحيدين يعيشون في حالة من الألم و المعاناة و عذاب فلسفي و اجتماعي متواصل، يتكلمون بلسان مغاير للسان المجتمع و العصر. عندما لايربطهم شيء بالقطيع و بالاخلاق السائدة في المجتمع، يتوجهون رغماً عنهم الى الانزواء و الوحدانية. و يتزحلقون الى اعماق ذاتهم و يحاورون انفسهم باستمرار. حوارهم حوار معرفي و فلسفي و اخلاقي، حوار مع روح وحيدة مليئة بآلالام و المعاناة و الرؤى و الامنيات الانسانية السامية. و باختصار هم اناس و اعون غرباء عن ذاتهم و مجتمعهم و ماحولهم.

(٣)

ان ظاهرة الغربة و الاغتراب في قصص حسين عارف نتاج ظروف اقتصادية اجتماعية سياسية ثقافية

للمجتمع الكردستاني و التي لها شكلها و حالتها البسيكولوجية الخاصة. يبرز هذا المشروع في واقع اجتماعي، بحيث يصعب على المجتمع تأمين احتياجات الانسان الروحية و لن يقف عند هذا الحد بل يحاصر الانسان عن طريق انواع القسوة و العنف الاجتماعي و السياسي و الاثني و يُهشم شخصيته.

انعدام الديمقراطية، الحكم العسكري، الحرب المفروضة على كردستان، الاغتيالات و سلطة الاحتلال الاجنبي على المجتمع، علاوة على العادات و التقاليد الاجتماعية البائدة و المشادات القبلية.. كل هذه الظواهر احدثت الاساس البنيوي و الآلي للمجتمع الجائر في كردستان. يمكن تسمية مثل هذا النوع من المجتمعات ـ و كما يدعي فروم ـ بالمجتمعات العليلة. و هيأت كافة المستلزمات و الارضية المناسبة للاغتراب و كأنها مصنع كبير لتحطيم و اغتراب الانسان.

ان مشروع الاغتراب في قصص حسين يأخذ مساره التكاملي بشكل طبيعي في اطاره الزمني. في البداية يؤدي بفترة الظواهر السلبية و مبادي المجتمع الفردية نحو التفرد و الانزواء، و منه الانجراف نحو الحالات البسيكولوجية الاخرى للاغتراب كحالة اللامبالاة و الريب و الضعف و الالم و المعاناة الفلسفية و الاجتماعية و الاتكالية و عدم المبالاة بالاشياء و الظواهر و التي تعطي مجملها حالة من الاغتراب وتجربة فكرية و اجتماعية و روحية عميقة للشخصيات. و باختصار فان الاغتراب يؤدي بالابطال من الانزواء الى حافة الجنون، كما نشير اليها فيما بعد.

الاختيار بين نوعين من الذئاب:

قصة (گەله گورگ)/ ١٩٨٢ كانت اطول القصص المنشورة لحسين، على ما أظن. يروي الكاتب فيها قصة (بارام) ذلك الانسان المثقف الذي يتخرج من اعدادية الزراعة و يغترب عن المجتمع و ينزجرمنه و ما حوله الى حدّ ما، و يصمم على ان ينقطع عن المجتمع كي يمضي حياته بهدوء و انزواء بعيداً عن الناس الذئاب (الذئاب ذات الرجلين). و يبني داراً بعيداً عن انظارهم و يقضي فيها حياته مع زوجته (ئايشا) و طفليه. و يقرر ان يجعل من مملكته فردوساً صغيراً و لن يسمح للناس الذئاب دخوله، حتى لايفسح المجال لتفشي جرثومة القتل و النهب و السرقة و الأفك و الخداع و الظلم في مملكته.[١٢] لان بارام و كما يدعي، هرب بجلدته وجلدة اسرته من شر تلك الاعمال و التصرفات و اختار العزلة و الاعتكاف.

لكن بعد انقضاء ثمانية أشهر من العزلة و الحياة المنزوية و في عز شتاء قارص، تهاجم قطيع من الذئاب الجياع كوخه و تحاصره مستهدفة الباب و الشباك لاقتحامه.

يستمر عناء بارام و زوجته مع الذئاب حتى مطلع الفجر. و لكن طول أمد العناء المروع هذا، تترسخ عند بارام القناعة بترك مملكته و ان يختار ما بين هلعه من الذئاب ذات الرجلين و الذئاب ذات الارجل الاربع، النوع الاول رغماً عنه.

في هذه القصة يتحدث حسين عن فلسفة الفرد كنهج و اسلوب لمعالجة الازمة الخانقة بين الانسان الفرد و المجتمع. و يرسم صورة شتاء قارص و عاصف و ليلة مخيفة هوجاء و ارض مذأبة و قلق و هلع بارام و ئايشى من احتمال مداهمة الذئاب لدارهم. و يصف لحظات تلك الحالة بشكل دقيق ملفت للنظر، مبيناً فيها حالتهما النفسية و ارباكهما بحيث يحسّ القاريء و كأنه يساير الحدث و يراوده القلق و الخوف مجسداً عواء الذئاب و محاولاتها المخيفة بمشاركتهما الاستماع لصوت مناخير و مخالب الذئاب على الباب و الشبابيك. استطاع ان تجسد تلك الحادثة و حالة المقاومة و الصمود التي ابداها بارام امام الذئاب، مستوى دراماتيكيا رفيعا، بشكل اعاد الى الذاكرة قلق و صلابة و عناد سانتياكو بطل قصة الشيخ و البحر لأرنست همينغواى مع الحيتان.

في لقاء له مع حسين عارف، يعتقد لوران مةريوانى بان: (گەله گورگ تحمل في طياتها الاصالة و

التراث و الفن الاروبـي. و تذكرنـا بعـالم الافـلام و علـى سـبيل المثـال هتشـكوك و الكتّـاب الواقعيـين الجـدد. كيف ان فلسفة: (فرد ما) (مواطن مـا) يتمـرد و كيـف يستسلم او يقاوم ـ جك لنـدن، همنيغـواى)[١٣]. يبقـى اغـتراب بـارام في حـدود مستهل اغـتراب اجتمـاعي و لايأخذ طابعاً بسيكولوجيا، لانـه ليس وحيداً، عـلاوة علـى ان عزلتـه لاتـدوم أكثر مـن (٨) أشـهر و الـذي ينهمك خلالها باعمالـه الفيزيائيـة و بنـاء مملكتـه، ولا يلحق كي يتفرغ للاعتكاف و يفكر مليّاً بالمسـائل و ان مشروع اغترابه يواصل مسيرته العاديـة، ولكـن مسألة عدم الانسجام مع المجتمع و اغـتراب الانسـان في قصـة (ئەندێشەی مرۆڤێك) تأخذ بعداً اعمق.

ان كـانت جـذور المعانـاة و المعضـلات و آلالام الروحيـة لبـارام وصـبري قـد تغلغلـت في الارضيـة الاجتماعية و التراثية و الفلسفية ايضاً. الاّ ان انـزواء و وحدة صبري تتحول الى نـوع آخـر مـن المعانـاة و الاغـتراب. و ان المسـألة قـد خرجـت مـن طـابع ان الانقطـاع عـن النـاس الذئـاب هـو الحـل الامثـل عنـد صبري.

هنا يمكن التحدث عن حالتين من الاغتراب:

الاولى ـ اغتراب ابتدائـي: لاينسجم كل مـن بـارام و صبري مع المجتمع و الاطراف. يغتربان عن المجتمـع و يتوجهان نحو العزلة و يتخذان موقفاً آخر من الحيـاة و المجتمـع، منطلقين مـن ان لا وجـود لعلاقـة اخلاقيـة روحية تربطهما بذلك المجتمـع. (لمـاذا تحولـوا جميعـاً الى حيوانات و عفاريت؟) اين الضمير و اين الانسانية و الرجولة؟ اين الصدق و العمـل الخيّر؟. الجميـع، كلـهم تحولـوا الى ذئـاب، الواحـد يشـق بطـن الآخـر و يمـزّق أحشاءه و امعاءه و يقطعه إرباً إرباً! اية نهاية هـذه! أي يوم حشر هذا! انا لا أتحمل هذه الحالة بعـد الآن. لن اقبل بها! لايهمني الآأن قبل الآخـرون بـها أمـا انـا فلا.. لا ولن اقبل بها)[١٤].

الثانيةـ تكامل الاغتراب و الذي يعطيه الانزواء بعـداً آخر.

صبري انسان وحيـد، تعـوّد علـى حيـاة الوحـدة و لايرغب في معاشرة الآخرين.. يناهز التاسعة و الخمسين من عمره. اعزب و كان الانيـس الوحيـد لعـزة افنـدي، ينقل وظيفيا الى مدينة اخرى، و بهذا يضع حسين بطل قصته في بحبوحة وحدانية اكثر، و يذهب ابعد من هذا، عنما يتحدث عن إحاله صـبري علـى التقـاعد، و يقطـع دابـر صلاتـه و علاقاتـه الـتي أقامـها خـلال عملـه الوظيفي بالكامل، كأنه يريد ان يهيأ حالة مـن الانفـراد المطلق لصبري لكي ينعزل على اثرها و لن يقابل غـير روحه و لن يدردش الاّ نفسه في تفسير كافـة المسـائل. ان الاشياء و الاحداث الـتي كثـيراً مـا، تـراود افكـاره، بعيداً عن الواقع المادي و الاجتماعي تكبر و تتشعب و بهذا تزداد عزلته و اغترابه و معاناته.

لايتجـاوز اغـتراب بـارام في (گەلـه گـورگ) حـدود المرحلـة الاولى، الاّ ان اغـتراب صـبري في (ئەندێشـەی مرۆڤێك) يـأخذ مـدى و بعـداً وجوديـاو فلسـفياً اوسـع داخل المرحلتين. المشـاكل تتعـدى حـدود المجتمـع و تتوجه صوب مسائل الحياة و الصدف و الوجـود. لـذا فالانقطـاع الفيزيـائي الاجتمـاعي كانقطـاع بـارام لـن يجدي نفعاً، و لابد ان يكون الانقطاع انقطاعاً روحيـاً و معنويا. يبحث انقطاع سفسطائي خلف العالم المادي و الاشياء الملموسـة عـن اجوبـة للاسـئلة الازليـة و يفتـح ذراعيـه للحقيقـة. (كـان يشـعر بانـه مـن المسـتحيل الانسـجام مـع تلـك الارض القاسـية.. لـن ينسـجم مـع دساتيرها و قوانينها و انظمتـها.. يجد نفسـه مخترقـا عمـق الكـون بسـرعة الضـوء، ولايمـت بصلـة بعنصـر الانسان و لا بالكويكبة التي تدعى الارض من قريـب او بعيد! هذه الحالة تحولت الى شـطحة تصوفيـة و كأنـه يحتضن الحقيقة النهائيـة و عمـوم الوجـود و العـدم، و كأن نقض الحقيقة يمحو الوجود و تبقى كما هـي دون زيادة او نقصان)[١٥].

ان الرؤية الفلسفية لصبري تجاه الوجود و العدم و إدراك ظواهر الحياة و التعرف علـى الطبيعـة الحيوانيـة للانسان تصل الى مرحلة بحيث تتحول هي بعينـها، في

فضاء الحياة الانفرادية، الى موضوع و مصدر ايجابي للمعاناة و آلالام. لذا تتخذ بعداً لامتناهيا و مطلقا و تحول حياته الى جحيم و تؤدي به الى حافة الجنون. هذا الجحيم ياخذه صوب (زيبا) الداعرة بشكل لاارادي في البداية، لالتفريغ نزواته الشهوانية و لاتستطيع زيبا من اسعاد جأشه. و في ليلة بعد انتصافها يهجر منزل زيبا بشكل اعتباطي مهرولاً. الى أين؟ لايعلم. الاّ ان موجة اللاشعور تهديه نحو تل سه‌يوان باتجاه ضريح والديه بالتحديد، كي يوجه باسئلته اليهما. لأنهما من اوجداه في عالم مليء بالمآسي و الظلم دون اختياره هو. و الآن اصبح موروثاً تاريخيا لهما. لذا فليس من الدهشة ان يجابههما، وفي وضع كوضع صبري طبيعي ان يعتبر هما المسؤولين الرئيسيين لآلامه و معاناته، و ليسا الخالقين الوحيدين له فحسب، بل يشكلان رمزاً تاريخياً، حيث مهدا الارضية لحياته المأساوية..

(أماه.. أبتاه! جئت لأوجه بالسؤال اليكما، ارجو منكما الاجابة عليه... لماذا وجد مكان لأكون فيه و وجد مكان لأتوجه اليه؟!

إفهماني.. لماذا؟! تريث برهة لاستلام الرد و بعدما يئس من استلام الرد، رقد و الانزجار الممزوج باليأس يغلب عليه.[١٦]

هل ان مقتل صبري، في هذه اللحظات و في هذا الموقع الذي يمسك بهما (الماضي ــ التاريخ) سببه السؤال الخطير الذي وجههه؟ ام انه احدى تلك الصدف التي تمارس لعبة تراجيدية في مجتمعنا بمصير ابطال قصص حسين و مصيرنا و مستقبلنا نحن؟

لو لاتلك الطلقة الطائشة التي أنهت بهذه الحالة التراجيدية، حياة صبري (و التي تذكرنا بمصرع المجانين في مدينتنا، في الليالي التي كانت احكام منع التجوال فيها سارية المفعول)، لاقدم بكل مايحمل من الأم و معاناة فلسفية و عزلة و اغتراب عن الحياة و عن المجتمع و العصر، على الانتحار او الجنون دون تردد، كي يضع حداً لتهافت الحياة و آلامها.

ان لابطال قصص حسين شخصياتهم الخاصة بهم، يتطورون بشكل فردي، تتأثر حياتهم الذاتية و الخارجية الواحدة بالاخرى و تواصلان المسيرة نحو الامام، الى أن يظهر التوازن في شخصية الابطال.

الابطال يعيشون في مجتمع يكون الانسان ــ كأفراد ــ فيه ضعيفاً مهزوزاً، لايضمن حريته و حقوقه الانسانية لا القانون و لاالمجتمع. فالانسان مكبل بعشرات القيود و البنود القانونية و الكثير من العادات و التقاليد الاجتماعية و التي تأخذ معظمها شكل سلطة مادية و اخلاقية و تضرب حرية و أمنيات الانسان كفرد، عرض الحائط و تفرض ضغوطاً مادية و معنوية على الابطال بهدف تسخيرهم او تهشيمهم بشكل يجعلهم جزءً هامشياً لمسيرتهم الآلية. هذه السلطة الجائرة و التي أخذت شكلاً هرمياً، تمتد جذورها الراسخة من اطار المنزل و العائلة البطرياركية نحو القبيلة و الطائفة و المجتمع، الى ان يصل الى رأس الهرم أي السلطة الاكثر جوراً (الدولة). و بعد هذا لن تكون الدولة باجهزتها القمعية و انظمتها المسيطرة اداة قمع و تحطيم لافراد المجتمع فحسب، بل تكون حامية لذلك الهرم و معبداً لتلك العادات و التقاليد التراثية المنتجة لها، و بمعنى آخر ان هذه السلطة السياسية هي الشكل العادي لذلك المحتوى و البناء الذي يشكل العائلة و المجتمع بكل مايحملان من عادات و اخلاق و تراث و طقوس دينية. انهما ضروريتان و متلازمتان تكمل واحدتهما الاخرى، و ان ديمومتهما تكون على حساب الحرية الفردية و كثيراً ما تستمد حيويتها من التهشيم الفيزيائي و الروحي للافراد.

معظم ابطال قصص حسين ليسوا نتاج مثل هذا المجتمع فحسب، بل هم الضحايا التي يسببها المجتمع بعينه و الذي يمكن تسميته بالمجتمع الجائر و كما يسميه فروم بالمجتمع العليل. لان هذا المجتمع بمقوماته الاجتماعية و السياسية و التراثية من اجل ديموميتها و من اجل تهشيم الانسان الفرد يبدع انظمة خاصة للسيطرة و التي تضمن بقاءه باستخدام

الاساليب و الوسائل المختلفة. ان كانت الاساليب تشكل فروع السلطة (سلطة الأب على الابناء و البنات، و الاخ على الاخت، الزوج على الزوجة، المجتمع على العائلة، الشرطة و الجيش و رجال الأمن على المجتمع، الدولة الدكتاتورية و العرفية على الجميع) فالخزين و المضحي الوحيد هو الانسان الفرد.

يحاول الكاتب التحدث عن هذه الظاهرة، حيث معظم ابطال القصص يصبحون ضحية هذه الظاهرة. لذا انهم جميعاً حالهم حال المغتربين، عاجزون و لايلعبون دوراً في تحديد فكرة فرديتهم. احياناً نشعر و كأنهم اناس جبريون أودعوا مصيرهم عند مشيئة الاقدار، لانهم على اعتقاد بان مصيرهم يقع تحت رحمة قوة هائلة جائرة. و عليه لن يكونوا متفائلين و ان أي تفاؤل في ظروفهم، ان دل على شيء فانما يدل على حماقتهم و بلادتهم. و ان القوة التي تحدد مصيرهم ليست قوة مثالية غيبية، بل هي المجتمع و الفرد و قوى و اجهزة المجتمع التي تعادل القوة الغيبية الموجودة في ذكاء و حياة ابطال القصص اليومية لهم تأثيرهم بشكل يعتبرون انفسهم سيد مصائر الناس و كأنهم بدلاً من الله هم الخالقون و سادة الحياة و المصير و المستقبل، و عليه فأن أي أباء عن تنفيذ الاوامر يجزى بعذاب جهنمي و تهشيم فيزيائي و روحي مختلف للناس. ان مخاوف هذه القوة تكون اكبر، لانه حتى في حالة عدم العصيان فانها تعرض هيمنتها الجبارة و تلتهم الاخضر و اليابس.

(خازه، مارفى كۆلّەكر، چالّى جەرگى پيريژن، نوري و سەبرى) مصائر جميعهم امام سلطة المجتمع الجائرة، تشبه شتلة يحكم مصيرها الطوفان و الاعاصير. فالقتل هو مصيرهم المحتوم في جحيم الحرب، دون ان يكون لهم مساس بالحرب كأفراد. و نفس السلطة المرعبة تحظر العشق (أبسط حقوق الانسان) عن طولَضين، لان رعاية العادات و حماية شرف (خالّه عەول) زوجها الهرم الزاني، تستوجب تهشيم گولچين المرأة ذات (٢٠) عاماً. الا ان (خالَة عەول) يتم التغاضي عن جرائمة كرمز للمجتمع الأبوي و كممثل لشكل سلطة المجتمع الجائر. تقول طولضين بصدد زوجها:

(خالّه عەول) ذلك الزنديق، بدأ يعاشر أمي و أنا صبية يافعة، كان أبي في عنفوان شبابه و ما كان ليموت لولا مشاركة أمي مع (خالّه عەول) في أمر قتله. لم يمض عامان على معاشرتهما لبعض، عندما قتلاه.[١٧] السلطة هي نفس السلطة التي تعيد نفسها عن طريق من يمثلها. (دەرويش) الذي يناهز الخامسة و الاربعين عاماً، يظهر عندما يشتري مريم التي تناهز الحادية عشرة من أبيها، كي يستولي عليها و يغتصبها.[١٨]. والابعد من هذا، ارغام (زيبا) الحنونة على الدعارة.

اغتصاب مريم و انتهاك حرمتها ليس اعتداءً من قبل فرد على آخر، انما هو اعتداء المجتمع على حقوق المرأة و الانسان الفرد و تعتبر مريم رمزاً لهذا الاعتداء. ان مجتمعاً ترتكب تحت ظل سلطته هذه الجريمة، و بالاعتماد على التقاليد و النهج الديني و التراثي السائد، يقوم باحتضان تلك الجريمة و كأنها ظاهرة طبيعية و عادية. و عندما يحاول (حاجى مەحمودى عەلاف) و ابنته (گەلاوێژ) ان يحميا مريم رمز الطهارة و البراءة، يتعرضان بدلاً من المجرم الحقيقي لتهديد المجازات القانونية. لم لا؟ اذن لماذا صيغت قوانين المجتمع الجائر؟ و هنا تتم حماية مريم من جور المجتمع عن طريق الصدفة. أي ان للمجتمع الاستعداد كي يجبر و بشكل طبيعي، مريم على الدعارة و يمهد لها موقعاً في حضنه، و لكن عن طريق الصدفة يناضل خال گلاوێژ كفرد لتغيير السلطة و المجتمع، يفتح ذراعيه لمريم و يحميها و كأنها ابنته، و بعمله الجريء هذا، يخالف التقاليد السائدة و الشرع و القانون.

ان معاناة مريم و طولضين و زيبا و غيرهن، ليست معضلة اجتماعية فحسب، بل ظاهرة تتجسد من خلال نهج قصص حسين كجزء من بناء مجتمع جائر و كنتاج و اسلوب لديمومة سلطته.

كما قلت، ان ابطال قصص حسين ليسوا متفائلين. يمكن القول انهم انـاس لايبـالون و ينظـرون الى الحيـاة نظرة شك و عدم اعتنـاء. (معلـوم ان هـذه القصـص، عدا بعض شـخصيات قصـة (شـار) و الـتي لهـا علاقـة باسلوبها، كقصـة تاريخيـة ــ اجتماعيـة تسـرد وقـائع مرحلـة تاريخيـة لمدينـة السـليمانية، تـدون الاحـداث بشكل واقعي فني). ليـس باسـتطاعتهم تغيـير مجـرى حياتـهم و لايبذلـون أدنـى جـهد للدفـاع عـن حقوقـهم الطبيعية. هنا أود التطرق الى حرية التعبير عن الرأي و القيام بالتظاهرات، بل و علـى سـبيل المثـال، أتحدث عـن حـق مسـلوب آخـر و هـو شمس الضحى، تعـوّد صبري على اشعتها التي كانت تخترق شـباك غرفتـه و تسطع على سريره. و قد كـانت الشـيء الوحيـد الـذي يفرحه في الحيـاة، و لكـن يبـادر (كەريمـه كـۆم) الجـار الجديد ببنـاء جدارٍ و يحـرم صـبري مـن التلـذذ بتلـك الاشعة المقدسـة. الاّ انـه لاينفعـل، علـى الرغـم مـن اعتقاده بانه عمل مشـين و اجحـاف بحقـه، حتـى انـه لايـردد اعتراضـه علـى لسـانه. و لكـن لمـاذا يـرددە ! عندما يكونٍ متأكداً من أنّ عرض الموضـوع عليـه لـن يجدي نفعاً. ان خصلـة اللامبـالاة و الاتكاليـة لابطـال حسين صفة اغترابية لهم، أي لا يمتون بصلـة الطبيعـة و الصفات الفردية لهم. و حتى من الناحية الاجتماعيـة و السياسـية اتكـاليون، أي انـهم لايشـكلون جـزءً مـن القوى التي تسعى من أجل تغيير المجتمع و لايحتلـون مواقع تحت سـقف تلـك الطاقـات و القـوى الاجتماعيـة التي تحدد مصير النـاس، حسـب مـا يدعـي فـروم. ان المجتمع الجائر، أي مجتمع (خالّه عەول) و (دەرويش) و (خولەی جاسوس) و غيرهم، لا يحتـاج لمثـل هـؤلاء الرجال، لذا يقوم بعزلهم. ولاجـل ديمومـة آليـة و بنـاء المجتمـع، يجد اناسـاً آخريـن للاعتمـاد عليـهم، لجعلـم رمـوزاً لتحمـل مسـؤولية مؤسسـاته. يعتقـد بيـتر. ل. بيركرPeter L Berger ان كـل بنيـة اجتماعيـة تختـار اشـخاصاً محدّديـن لادارة اعمالهـا و تطـرد الاشـخاص الذيـن لايتناسـبون مـع تركيبتـها. و ان كـانوا دون المستوى المطلـوب تحـاول تفعيلـهم كـي ينطبقـوا مـع المواصفات الاساسية المطلوبة. لـذا يعتقـد بـيركر بـان مـن غـيرِ المسـلم بـه الاعتقـاد بـان أي مجتمـع يعـين اشـخاصاً كفوئـين يتـم تحديدهـم للمجتمـع، بـل ان أي مجتمع ينتج هو بذاته الاشخاص الذين يحتاجهم[١٩].

في مثـل هـذه المجتمعـات، ان صـبري، بـارام، طولضين، مريم، زيبا و أختر، ليسـوا بشـيء و ليسـوا باصحاب قرار، بل انهم ضحايا المجتمـع الجائر الـذي يقوم بتهشيمهم لانه بحاجة لاشخاص آخرين من أمثال (دەرويش، زاهير، خولـەی جاسـوس) و رجـال قتلـة للحفاظ على بنيته.

اعتقد ان اتكالية ابطـال حسـين القصصيـة، نتـاج لبنية اجتماعية متجسدة و لابد من أن ينظر اليـهم مـن منظار نفس البنية. و على الرغم من كونـهم اتكـاليين، الاّ انهم بعكس الاشخاص المغتربين، ليسـوا سـلبيين و محبي حروب و شـغب، اذن يمكـن ان يعـاملوا كابطـال فرائد. على الرغم من الظلم و التعسف الذي يواجههم في المجتمع، و على الرغم من آلالام التي يتعرضون لها من قبـل النـاس الذئـاب (الذئـاب ذات الرجلـين)، الاّ انـهم يحتفظون بقيمهم الانسانية كاملة. ان تنفرهم وحقدهـم تجاه المجتمع و تقاليده و لهفة النـاس الحيوانيـة، لـن يتحـول الى حقـد و كراهيـة تجـاه الانسـان كموجـود اجتماعي، بل انهم اشخاص لهم نوايا طيبة، يتعـاملون بشكل انساني و بشهامة في حياتهم اليومية. و يقدمون يد العون للمعوزين عند الحاجة. (تصرفات صبري، ــ ئەندێشەی مرۆڤێك ـ تجـاه نـوري و تقديـم العـون لـه حتى يبني داره. و بعد مقتل نوري اثر طلقـة طائشـة، يبـادر صـبري الى تقديـم عـون اكـثر لزوجـة و اطفـال نوري، دون أي هدف مقصود).

ابطـال قصـص حسـين ليسـوا اشـخاصاً اصيبـوا بالعزلـة و الاضطـراب النفسـي اثـر صدمـة شـخصية او اجتماعيـة، او ادت بـهم الصدمـة الشـخصية الى المشاكسة و القسوة و حـب الانتقـام و اظـهار الحقـد و الكراهية تجاه الانسان. انهم اناس مغتربون و لكنـهم و

اعون مثقفون لهم رؤية فلسفية تجاه المجتمع و الحياة و الانسان و التي تجسدت عندهم نتيجة تجارب و أفكار و احياناً نتيجة تفرس و تمعن شبيه بتفرس (كامو) للحياة. و بشكل عام، انهم اناس ايجابيون و اعتبرهم؛ في حدود بنية المجتمع الجائر، اناسا نموذجيين و بسببهم تحتفظ الحياة بجماليتها و معناها. هؤلاء وجوه جديدة لابطال نموذجيين في القصة. يختلفون كل الاختلاف عن الابطال النموذجيين المندثرين للادب الملتزم و على اساس توقعات ايديولوجية سياسية مسبقة لاشخاص كـ (روبوت) ينحتون بشكل كي يكونوا خير مثال للتصدي و الصمود و التفاؤل في أحلك لحظات الحياة.

يسعى حسين ان يصوغ مسلكاً جديداً و تعريفاً معاصراً للبطل الايجابي و الانسان النموذجي في الادب الكردي. هذا الانسان النموذجي لايجسد نفسه و شهامته و اعماله الخيرة عن طريق الاعمال البطولية و قيادة الاعتصابات و الانتفاضات و لاعن طريق تنفيذ اعمال مسلحة و احتلال خنادق، بل عن طريق معرفة الانسان و المجتمع، عن طريق الادراك الفلسفي لمعنى الحياة و الوجود، يقوم بتحديد مواقفه و اسلوبه في الحياة و اخلاقه و اهدافه، و يبقى صادقاً طول الوقت مع نفسه و مع افكاره. ان الاغتراب و الاعتزال الابدي لهؤلاء الابطال من التقاليد و الاخلاق التي يصوغ مبادئه واسسه الرجال الذئاب، هو جزء من شخصياتهم و معتقداتهم و افكارهم. الاغتراب كخصوصية رئيسية للابطال في ظروفهم، يصبح ذا معنى آخر و يحميهم من مغريات المادة و السلطة. كل الامتيازات التي يتلهف لها الاخرون و التي يتنازلون من أجلها عن معتقداتهم و ضمائرهم و شرفهم و انسانيتهم، لاتساوي شيئا عند ابطال قصص حسين، ولا تؤثر عليهم و لايمكنها جعلهم يتعودون على ماحولهم و ينسجمون مع العقلية و الافكار السائدة للمجتمع الجائر.

يبقى أبطال هذه القصص صادقين مع انفسهم و مع افكارهم و تطلعاتهم الى الابد، و هذا بدوره عمل بطولي و نموذجي.

(ـ الحياة، ـ الحياة وحدها، صرختي بطولة يا صديقي! نعم الحياة بطولة و لكنها بدون الصرخة تبقى بطولة صغيرة ينتهجها الانسان عملياً كل يوم لكي يبقى صادقاً مشرفاً)[٢٠].

ان عالم بعض قصص حسين عارف و اهتمامه بالجانب البسيكولوجي و كنه الابطال، قريب من عالم داستايفسكي، و بالاخص من ذلك الجانب لداستايفسكي المسمى بالواقعية البسيكولوجية. الاّ ان ابطال هذه القصص نتاجات مجتمعنا الكردي قبل كل شيء و يمكننا مصادفتهم واللقاء بهم يومياً، و الابعد من هذا قد يشبه بعضهم في جوانب ما (انت) او (انا)، او حسين بعينه.

تنبع آلام و أمنيات معاناتهم من الواقع الاجتماعي و الثقافي والسياسي الكردي و ان كان لاكثرها بعد فلسفي و عالمي، الاّ ان بعضها يظهر كجزء من الشخصيات الواعية و المثقفة للابطال. و البعض الآخر يظهر بالارتباط مع الحياة نفسها و مع تنامي رؤى الابطال و احداث المجتمع و تلهف الناس حواليهم. و يبدأ بالنمو و النضج بشكل تدريجي الى ان يثبت كيانين حرّ عند الابطال الى حدّما تحوله الى جزء من شخصية و تركيبة فردية فكرية و اجتماعية لهم. عندما تتعادل الشخصيات مع تفكرهم و آرائهم و توقعاتهم، دون ايجاد تناقض بين تفكراتهم و تصرفاتهم و اهدافهم، و بين اقوالهم وأعمالهم.

ان نظرة صبري تجاه زيبا و التي تلجأ الى الدعارة رغماً عن انفها، ليست بعيدة عن رأي و اعتقاد و شخصية صبري المحبة للانسانية و اختلافه عن المجتمع. لذا نجد صبري و خلافاً للتقاليد و نظرة المجتمع لاينظر بعين الاستخفاف لزيبا بل يتفهم معاناتها و يعتبرها ضحية اخرى للمجتمع و الناس الذئاب. و في خضم تمرغه اثر آلامه و معاناته، لايجد

غير زيبا انسانة صادقة، لذا نجده يتشبث بها في ظروف يغمرها العذاب الروحي و حالة من الضعف الانساني، كطفل مكسور الخاطر مدمع العينين و يفتح لها قلبه. هذه التصرفات لصبري و التي تعتبر شعوراً بتقارب روحي و آلام مشتركة تقاسمها معه زيبا المظلومة، تعيد الى الذاكرة، موقف و تصرف راسكو لنيكوف بطل قصة (الجريمة و العقاب) لداستايفسكي عندما يلجأ في اوج عذابه الروحي و ضعفه الانساني الى سونيا التي جرفها تعسف المجتمع نحو الدعارة و يظلي ما في قلبه لها من اسرار و يعتبرها شخصية ميمونة، و من منطلق ديني، يعتبر معاناة سونيا كمعاناة المسيح و كمعاناة الانسانية و يسجدلها.

يعيش صبري كشخص مغترب في جحيم الريب و الشك من الذين حوله، و يحس بانهم يدسون له الكيد و ينوون تعذيبه. بعض تلك الظنون التي تكونت عنده، عار عن الصحة، و وصفته في حالة اضطراب و قلق تذكرنا في بعض حالاته باضطراب ابطال كافكا، مع وجود اختلافات بالطبع. يعيش ابطال كافكا في عالم و هم متهمون فيها مسبقاً. و لكن لماذا؟ لاوجود لمسألة جوهرية، مؤلاء الابطال و حتى عالم قصص كافكا نتاج فكر قد لايرتبط اساساً بواقع جوهري. الاّ ان صبري هو نتاج واقع جوهري و يدفع ضريبة و عيه و موقفه الفلسفي و الاجتماعي. معظم المؤامرات المحاكة ضده مكشوفة و جوهرية. قد يبتلي ببعضها بسبب تصرفاته و مواقفه المغتربة.

البعض الآخر من المؤامرات لها وجود ذاتي ناتج عن شك و انزواء و عدم اعتقاد صبري بالمجتمع و ما حوله، مما تجعله يحترق في جحيم الاضطراب و القلق و التردد والمعاناة و خوف كامن كأبطال قصص كافكا.

(٤)

المساعي الأبداعية عند حسين، بقدر كونها مساع لسرد المشاكل الاجتماعية و الروحية للانسان و اغتراب و وجدانية و معاناة للانسان في مجتمع الجور و القهر، هي مساع لابداعات تقنية جديدة لكتابة القصة و توضيح المغامرة الفنية الجديدة.

ان المواضيع التي يتطرق اليها حسين في قصصه، كأنها هي التي تبدع في مشروع تنميتها، شكلاً فنياً خاصا بها و الذي بدوره، أي الشكل، يعيد ابداع مضمون الشكل و محتواه.

الجوانب الفنية و التقنية لمواضيع القصص تحتل مواقعها بشكل منسجم و متكافيء و ان تقنية قصة (شار) كقصة اجتماعية و تأريخية، تأخذ طابعاً واقعياً و كلاسيكياً، عندما تروي فترة الخمسينات لمدينة السليمانية. حيث تروي الاحداث كسرد طبيعي في فن كتابة القصة، وفق الزمن الطبيعي لها. هنا يأتي الزمن كعامل يومي في مشروع وقوع الاخبار و الحوادث الجديدة و الذي بدوره يؤثر على شخصيات القصة و يغير بشكل عادي و طبيعي مواقفهم و تطلعاتهم. الاّ ان مواضع (سەفەرێکی ئەفسوناوی) و (گەلە گورگ) و (ئەندێشەی مرۆڤێك) تختلف كلياً. ليس الموضوع هنا سرداً فنياً تأريخياً اجتماعياً سياسياً لمدينة ما، بل بحث يتعلق بالجانب الداخلي للانسان و بآراء فلسفية و اجتماعية و الذي يمعن بدهاء في الظواهر و الاشياء داخل اطار نظام اجتماعي و ثقافي و يبرز ردّ فعله النفسي و الفردي تجاههم. لذا فان تقنية لهذه النتاجات متمايزة و لها شكل جديد. عليه لايمكن التحدث عن المسائل الداخلية الشائكة للانسان عن طريق السرد و الوصف الخارجي و الحوار من الآن فصاعداً. هذه المسائل تحتاج الى العودة الى الضمير و الانفراد و الاستقراء المسرع للافكار و المذكرات و هفوة القلب و ماشابه. كذلك ليس بمقدور اللسان العادي التعبير عن هذه الاشياء بشكل كامل. لذا يجب الاستناد على لسان شفاف شاعري. اختار حسين في قصصه هذه الكلمات بدقة متناهية و ان رصفه للكلمات الواحدة تلو الاخرى اعطى لحناً موسيقياً داخلياً هادئاً للجمل. و بهذا نجد ان الامعان و التفرد و التخيل ـ عند صبري على سبيل المثال ـ يبرز بشكل

فطري و طبيعي و يعطي نسقاً داخلياً و خارجياً لصبري. يلجأ حسين خلال خيرة أعماله: هاتين القصتين و قصة (سةفةريَكى ئةفسوناوى) و ان القصص الثلاث هي من اكثر نتاجات الكاتب ابداعاً، على ما اعتقد، الى اسلوب تقني و هو التحدث عن الابطال و الشخصيات كالشخص الثالث (هو). من هذا الدرب يحاول جرّنا نحو افكار الابطال، لكي يقوم عن طريق التفكر و التفرّد و التخيل لـ (بارام و صبري، هذا و ذاك) بالتعبير عن آرائهم دون ان يتدخل الكاتب بشكل مباشر في الموضوع.

في مثل هذه الحالات نجد ان الزمن يسبق مساره العادي و تظهر اللحظات بشكل اكثر تركيزاً و اكثر اندماجاً و اختلاطاً. و لايكون لمسار الزمن ذلك التأثير في تغيير الشخصيات و الابطال، بل الزمن يتبع الشخصيات و بارتباطه مع التفكير و الأماني و تحريك الابطال يظهر استعداده و يتجيّش في افكار الابطال و حياتهم الروحية و النفسية. ان زمن مثل هذه القصص مركز بشكل بحيث يستغرق اقصر الاوقات. و بدورنا نستطيع التعرف على جميع ارتباطات و علاقات الابطال و طراز تفكرهم الشخصي، على الرغم من قصر زمنها. يظهر حسين تاريخ فردانية ابطال القصة و جوانبهم المضمرة عن طريق التفرد و التفكير و هفوة التأمل. تعتبر اهتمامات حسين بالجانب النفسي للشخصيات وردود فعل الاحداث على تفكيرهم و نفسياتهم و اعمالهم، اسلوباً متميزاً و فنياً في كتاباته القصصية.

عامل الزمن في هذه القصة لحسين عارف يعتبر ظاهرة ملفتة للنظر. ان الزمن الحقيقي لمعظم قصصه و على سبيل المثال (گەلە گورگ) و (سةفةريَكى ئةفسوناوى) و (ئەندێشەی مرۆڤێك) و (بةفر) و غيرها اقصر من لمحة بصر، و لكن حسين و عن طريق اللعب بالزمن و القفز بين الماضي و الحاضر، و اعادة خلق الماضي بين طيّات الحاضر، يعطي فضاءً مفتوحاً و طليقا لأزمان قصصه. أزمنة الماضي و الحاضر للابطال تلتف حول بعضها كالاخطبوت بشكل يجسد هذا الالتفاف زمن المستقبل. ابطال القصص ليسوا نتاج ماضيهم فحسب، معيدين يعايشون أدق لحظات ماضيهم و يجرفون بها من خلال الحاضر نحو المستقبل. و لا يحسبون ديمومة و تناضر الزمن الماضي رؤية عاطفية لماضيهم، بل اعادة لخلق الماضي في أحشاء الحاضر و يتحول الماضي الى الحاضر بعض الاحيان. و قد يفرض تأثيره و ضغوطه كالحاضر. لاتزال احداث مرحلة الطفولة و الشباب و اللحظات البائدة فاعلة في شخصية و تفكر و سلوك الابطال الحالية و كأنها تحدث للتو. هل يحاول حسين ان يثبت كمثيله فرويد، بان جميع تلك الاحداث و الاشياء التي رأيناها في مستهل تاريخ فرديتنا و انقضت، لاتزال تسايرنا حتى هذه اللحظة و هي التي تجسد الكثير من ظواهرنا الحالية و المستقبلية؟ ام يريد القول بان وحدة الزمن (الماضي، الحاضر و المستقبل) ظاهرة مطلقة و ان الماضي كسقف زمني، حالة نسبية؟ أم القول بان الماضي ليس تلك اللحظات و المقاييس الخاصة المحددة التي تتبدد بانقضاء أجلها، بل هو تلك المواضيع الحية الجوهرية ايضاً و التي انتجها و عن طريقها أمن تفاعله مع الحاضر و المستقبل؟

****

١. وضعت نتاجات حسين عارف و عدد آخر من كتاب القصة، بداية جديدة للقصة الكردية و رفعت المستوى الفني و قدرة التعبير في القصة الكردية، و طوّرت لغة القصة و المتعة الفنية و مستوى ثقافة علم الجمال لدى القراء. اذن من حقنا ان نتوقع من حسين نتاجات اعظم و ان نضع شروطاً اصعب للقصة الكردية الحديثة بعد (گەلە گورگ) و (ئەندێشەی مرۆڤێك) و (سەفەرێكى ئەفسوناوى) و قصص اخرى له.

المصادر و الهوامش:

- هذا البحث نظم لمختارات قصص حسين عارف (١٩٥٧ـ١٩٩٢) و هي رهن الطبع في السويد.

2. Erich Fromm, Ett friskare samhalla, oversattining: Sven EK berg, Tidens Forlag, Stockholm 1976, S. 98.

3. Filos ofilexikonet, oversattning Jan Hartman, FORUM, 1995, S. 18.

4. Joachim Israel, Alienation och Byrakratisering industrisamhallet.

Iomvandling Almgvist & wikesell forlag, Stockholm, 1982, S. 39.

٥. المصدر السابق، ص٦٧ـ٦٨.

6. Erik fromm, Ett friskare samhalle, S. 57-30

٧. نفس المصدر ص١١ـ١٢.

8. Joachim Israel, Alienation fran Marx till modern Sociologi, Stockholm 1971, S. 248.

٩. هذه القصص تم نشرها في مختارات قصص حسين عارف.

١٠. حسين عارف، مختارات، قصة (خوويەكى پووچ).

١١. حسين عارف، مختارات قصة (سمۆره).

١٢. حسين عارف (ئەندێشەی مرۆڤێك) الطبعة الاولى، بغداد، ١٩٩٠. ص١١٦.

١٣. حسين عارف (گەلە گورگ) الامانة العامة للثقافة و الشباب، الطبعة الاولى، ١٩٨٣، ص٧١.

١٤. طوران مريواني، في لقاء له مع حسين عارف، مجلة رابون، العدد (٣)، ١٩٩٢ ص٨٧ـ٨٨.

١٥. حسين عارف (ئەندێشەی مرۆڤێك) ص٢٤٦.

١٦. نفس المصدر، ص٣٥١.

١٧. نفس المصدر، ص٩٧ـ٩٨.

١٨. (گەله گورگ)، قصة (شالاوی دل) ص١٦٤.

١٩. حسين عارف (شار) من منشورات مجلة كاروان، الطبعة الاولى، ١٩٨٦.

20. Peter L Berger, Invitation Till Sociologi, oversattning Gull Brunius, Raben prisma, 1994, S. 102-103.

٢١. عبدالرحمن منيف، على لسان منصور عبدالسلام، بطل قصة (الاشجار و اغتيال مرزوق). المؤسسة العربية للدراسات و النشر ١٩٧٩، ص١٥٥.

صهيل الدم

أجهل كيف وقع اختياري على ذلك اليوم من سيرتي الذاتية؟

ظهر لي فيما بعد كان له صلة بسيرة جدي الكبير (ثيروت)، الذي بقي لي هو مع تأريخ ملئ بالشقاء ةالغربة والتعاسة لا سواه. ربما تلك الارجاء التي انا بصددها الان عالى حالها ولم تغير فيها الطبيعة شيئاً ما. النهير الذي يجري نحو الاسفل، يتدفق من تحت الطاحونة المهدمة، في بعض المواضع يجري مثل جريان التأريخ سريعاً، وفي مواضع أخرى يجري على مهل، جارفاً معه عشرات الاحزان و حسرات الارض، ثم ينساب خلال الطمى و الحجارة و تستحيل الاحزان و المعاناة الى الطمالب الخضراء و البنفسجية فوق الاحجار المختافة، وتجعلها الاسماك اوكاراً للتزاوج و التكاثر،الى أن يصل الى نهر اكبر منه، تكبر الانهار بصورة تدريجية، من ثم تصب في بحر قصي على بعد الاف الكيلو مترات عن الوطن، وهو بدوره يلفظ تلك الاحزان و المعاناة صوب محيط مجهول، أو تبتلها الاسماك الكبيرة و تفرزها غواطاً، والاسماك الصغيرة بدورها تبتلعها بقلق مشوب بالفرح، لكن الاحزان والمعاناة لا تفقد لونها ورا ئحقها الاصلية، ربماً تتقبأ احزان و حسرات تراب ما...أو وكر انسر الاصلع فاغرا شدقيه في صدر جبل ((كيوة بترزة)) ابداً، كأنه يصرخ نحو التأريخ و الكينونة، محدقاً في الطريق الذي يمر خلق الطاحونة المهدمة، ثم يختفي مثل تنين طائش عند كل همنية ووادي، ويظهر ثانية ثم يختدر نحو وادي أخر. وجبل ((كيوة بترزة)) اشبه بعملاق متقرفص، يحتضن مجرى النهير و يحدق في منبعه، الذي بدوره يتكون على بعد كيلو مترين من الجهة الشمالية، من عدة عيون و ينابيع التي تتجمع حياهها في ذلك الجرف الهائل و الطويل. اضافة الى تلك الشلالات الصغيرة التي تتفجر من تلك الثغور و الشقوق على جانبي الجرف و تشق سكون...

إن الشرق أرض عجيبة، وكافة الكوارث والمآسي و الاوبئة و الدمار التي في الكون ـ حتى لو آتية من الغيب ـ في البدء تجرب نفسها بالشرق و تمر به. كما يقال: ((اذا سقط حجر من السماء سوف يسقط على الشرق)). عشرات من الاحراض الفتاكة، سنوات من القحط، الابادة الجماعية و حروب التخلف الداخلية، الانقلابات المتتالية و حماسات الدم والانفالات. لذا كان يقول (بيروت) اغلب الاحيان: ((نحن ولدنا واستقرنا خطأً في هذه الارجاء)). كان أيضا يعرف أن جميع الانبياء و المصلحين الاجتماعيين ظهروا في هذا الشرق اللعين مثل: موسى، عيسى، بوذا، كونفو شيوس، زردشت، محمد، مع اربعة واربعون الف نبي آخر. هذا يعني أن الشرق منبع ومصدر الوحشية و التخلف و العذارة، بحيث ظهر فيه هؤلاء الرجال الاخذاذ، ليجدوا له الحل و المعالجة، وفي النهاية صُلبوا أو نُفوا بوحشية و خباثة الشرق. إذا ماذا تقول لعالم تأريخه برمته مكتوب رأساً على عقب و ماذا ترجو منه؟. تأريخ البشرية طذبة هائلة، هو نفسه الذي صادق على حكم صَلبْ المسيح و حرق صلاج و نفذه بشهامة، اما ((غاليلو)) كان جباناً،اعلن فوراً براءته عن افكاره، اذ عرف ان الكذب سوف ينتصر سريعاً. إن الشجعان و الميامين اصبحوا ضحايا دون رفاة لهذه الكذبة، خوفاً منها: سيارتاكوس، بوليظار، زاباتا، جيفارا، غدوا مثل ذلك الثور الذي يكدح طوال النهار في سبيل الحمار، ذهبوا ادراج الرياح.. يصادفك اغلب الاحيان اناس تافهون و عديموا الاخلاق، لذا ينتابك الحقد على الدنيا برمتها، تظن بأن البشرية جميعها تافهة، وهؤلاء البشر لا يستحقون أن تنفذ من اجلهم ايما عمل. لذا اتذكر دائما مقولة موناسان: ((لا أرى شيئاً سوى المهزلة، المهزلة، المهزلة، وأر اشياء اخرى مؤلمة، مؤلمة، مؤلمة. باختصار ان البشر في كل مكان سخفاء، سخفاء، سخفاء.)).. لكن خلافاً لذلك ترى بشراً مختلفا و قادراً، لا تصادفهم الا قليلاً، إن صادفتهم فإنهم يمرقون بجانبك بصورة عابرة، أو الاخرون يوُشرونهم بالبنان: ((والله فلان لايشبه بشر هذا الزمان)) لذا تتمتم في سرّك وتقول ان الدنيا خلقت من أجلهؤلاء البشر الطاهرين، ذوي الخلق الرخيصة و الشهامة، وخلق الله الحياة من اجلهم. لذا تتراجع عن تلك الاحاسيس و الافكار و تقول سوف يأتي يوم يصبر الناس جميعاً مثل هؤلاء، و تتحول الحياة الى جنة على الارض... نعم (بيروت) كان واحدٌ من هؤلاء الناس الذين خلقت الدنيا و الحياة من اجلهم. لابد أن يكون المستقبل لهم ايضاً، ليس لأناس مثل ((الملا فتاح و علي ايراني)) الذين تصادفهم في الطرقات و الشوارع و البيوت و الجار و حيثى تحت الارض و تشمئز منهم، لكنك مصنطر ان تجبهم، وإن حقدت عليهم فيجب ان تدفن نفسك في الحياة....

***

جرب الشيخ ترك التدخين عدة مرات، لكن بعدئذ قرر أن لا يفكر في مثل هذا المشروع. إن الدجال في سنة في منطقة ((گرميان)) يرتدون السترة و الصاية، لكنه لم يغير تقاليده الكردية، كان دائما يرتدي ((الرانك و ضوغة))[1]، اخرج من الجيب الداخيلي لضوغتة علبة سجائره، بحركة خفيفة من اصابعه سحب سيجارة قربها من شفتيه مع شيء من الكبرياء كأنه ينظر الى البعيد، رافعاً رأسه و دخل في احلامه، كأن اصابعه لم تكن جزءاً منه والتي تنفذ هذه المهمة، لم يكن يهتم بأصلاوه، حتى الاحلام اليقظة بالنسبة له احلام حقيقية، أذ في كلا الحالتين يراها في الظلام و تولد في الظلام. لولا الحلم لمات الانسان في سن: مبكرة وما وصل عمره الى عمر الدجاج، الحلم يسحب العمر كالمطاط ويطيله، منذ وفاة زوجته يعانق احلامه، زوجته ((عصمت)) ماتت قبل عشرين عاماً خلت. قالوا له كثيراً زوّج ((نخشين)) و((كريم رش)) وانت

تزوج شقيقته (أخروز) التي هي اشبه بالفرس، فيبادر بالرد: ((يا فلان هذه الفرس الشهوانية من الصعب سقيها بشخص مثلي، لم تبق فحولة ايامي الخوالي على حالها. لا أظن هناك فرد في هذه القرية بمقدوره اشباعها، أية امرأة فرسية هذه؟ في سيرها تهتز الارض تحت قدميها، يا ويل لمن تصبح (افروز) زوجته، و الله يجب أن يطرد الذباب عن نفسه بذنب الكلب))... كنت أرمق اصابع جدي الغليظة دون أن اعرف مصدرها. مثل شجرة الجوز كلما تقدم به العمر ازداد غلاظة و متانة. تلك الايدي و الاصابع كانت يروي سيرة عمر صعب و شاق. حقا استطاعت تلك الايدي و الاصابع أن تقاوم ذلك التأريخ العصيب، اذ لم يبق الان الكثير من امثاله حياً. بقايا رفاتهم تحت الارض..!.

كنت أحب المزاح معه أغلب الاحيان من على الضفة الاخرى للنهير، التقط احجار صغيرة وأرميها اليه، كانت تسقط على يديه أو في حضنه، بدوره ينهرني بغضب مشوب بعاطفة جياشة و يقول: ((يا بني انشغل بشئ آخر))، رمقته بابتسامة و خففت من مزاحي. أردف الشيخ مرة أخرى قائلاً: ((و الدك لكثرة ماكان خائشاً و صعب المراس، ذات مرة بينما كنت اصلي بال علىّ من فوق السطح، ومنذ ذلك الحين تركت الصلاة))، رفعت رأسي مع قهقهة الضحك، الى أن نهرني الشيخ مرة أخرى و لم أقف، حين و قفت باشرت بالتقاط الحجارة من أمامي لامَذ منها في النهير حانقاً. لا كاك داخل الماء ينتابها الهلع و تضطرب وتتدافع، تهرب الى الاسفل و الاعلى، من ثم التقط الحجارة اكبر و اقذمنها، هذه المرة تكون الرذاذات اكثر و اكشف، تتهشم الشمس داخل الماء مثل ساج ذهبي و يختفي شكلها، لحين يستقر الماء تتراقص، تتمدد و تنكمش، كأنها عجينة تُسحب من عدة جهات. ثم تتجمع اجزاؤها اثر موجات صغيرة و تلتئم مع بعضها البعض و تتماوج مع الماء. بضع رذاذات تسقط على وجه الشيخ، كأن احساساً سحرياً ينساب الى دخيلته مع برودة الماء وغرح ما يقلب صغمات فكره، ثم يمسح القطرات العالقة على وجهه بيده الحنونة و المؤنسة، تلك القطرات كانت تشبه قطرات الايام التي ما زالت الطاحونة غير مهدمة و لم تقف عن الحركة، عندما يجلسون في أوقات العصر تحت أفياء اشجار الدلب و يبدأون بتحضير الشاي، و رذاذ الماء يخرج تحت جهنمية الطاحونة اثر دوران الدولاب الخشبي نحو الجانبين. أغلب الأحيان ينصحني أن لا أحذو حذو و الدي و أغدو طائشاً و أقضي نحبي. اثر كلام الشيخ هذا، يصب احساس طائش في دمي، وذلك الحلم اليقظة الذي جعلني واحدةً من الاسحاك، كان بداية ذلك الاحساس، لاأتذكر ملامح و الدي القاسية، ولا صعوبة مراس والدتي وعنادها،كانا قدرين متضادين ربطتهما يد صدفة طائشة. كنت في الثانية من عمري عندما اصبح و الدي قريباً لامانيه و نزواته المجنونة وخرّ صريعاً، وانعتق من طيشه جموح نزواته. كانت ((زليخا))تقول: ((عندما كان يسافر كل مرة الى بغداد، يستغرق سفره شهراً لحين تنفذ نقوده، لم يكن يعرف أحد ماذا يفعل بكل هذه النقود، عاد في احدى المرات و كان وجهه ملطخاً بالخدوش، اعترف بدوره بأن فعلوا به هذا في الملهى.. ابن الأوز عوام، كان من ذرية بيروت، يضاجعون حتى الأتان. اللعنة لا يتركون حتى الغجريات و يجعلهن زوجات لهم. ذات ليلة (رحمة سابلاخي) ركبت رأسها ولم تنم معه. وفي الصباح الباكر خرج و عندما عاد كان معه جحشة، وطئها امام عينيها لكي ينتقم من عناد زوجته، وهي بدورها ضحكت عليه بلا مبالاة، لذا اشتد غضبه ثم غادر البيت ولم يعد سوى بعد عشرين يوماً)).. لكن بالمقابل كان شهماً وشجاعاً، حين يترك التفكير في النساء، كان عاشق السياسة، قال بيروت: ((اول رصاصة في منطقتنا اطلقها (قارةمان) ابان اندلاع ثورة

ـ ملا مصطفى ـ، فقد اصيب بالجروح مرتين و نجا من الموت. ثم السلاح وامتهن التهريب وَلم يُعرف السبب)).

لم يكن يستقر على مهنة ما الى النهاية، يمارسها لفترة بصورة جدية، وفي الاخير يسأم منها. هذه كانت احدى صفاته الطائشة ولم تنتظر والدتي اكثر من سنة، أودعتني في كنف ثيروت و تزوجتْ، بعد أن طلبت منه أن تنزع عن نفسها ثوب الترمل، وتبحث عن مصيرها، وتجرب حظها مرة ثانية: ((يا عم ثيروت انت ايضاً مثل غصن مبتور لا أحد لك،الذي فات لا يعود، ليس بيد ناحيلة، إن بقاء المرأة بدون الزواج ليس بشيء ملائم، فقد بعث الله لي احد ولأذهب في حال سبيلي)).

عرف ((ثيروت)) بحدسه أن هذا الكلام كذب و تبرير، كرجل ذا خبرة ادرك ذلك في تلك المرأة، كانت تفوح منها رائحة الأتان التي في حالة التزاوج. كانت تمسر جسدها و تشم رائحة الذكور من الاشجار والجدران. إذاكانت المسألة حياة فهي سهلة وتُعاش، لديهم ما يعتاشون عليها على مدى الحياة، وكان (ثيروت) لم يزلواقفاً على رجلية وليس عاجزاً، يشرف على كرومه و مزاعه و فلاحته بصورة جيدة، يوفر منها مالاً ولديه المال النقدي، اخفى القرش الابيض لليوم الاسود في ثقوب الحيطان، كان يملك بستاناً و دونمين من الاراضي الديمية، وكل عام يجني منها عدةتغارات من الحنطة و الشعير، وكل عام يزرع قطعة الارض التي تقع اسفل الطاحونة شلباً، واكثر من ثمانين رأساً من الغنم، مع ثمانية أو تسعة رأس من البقر الحلوب، و (زايخا) كانت تملك مس قطع من الذهب الرشادي. كل تلك الثروة سوف نورثها أنا و عمتي (نخشين) بعد موت هذين العجوزين. لكن يبدو أن الشيطان كان يضايق كل ليلة تلك المرأة، ويضاجعها بثوب ذكرما، ومع الشعاع الاول كان شبق الليالي يزداد شوقاً و هوساً، بعد مصرع زوجها بشهرين قالت لزوجه المختار: ((بعض الليالي احتلم بالحيوانات، كأن لم تبق في الدنيا بذرة الرجال، لا استطيع التريث فلن تمصني سنة واحدة سأتزوج من جديد)).منذ اليوم الذي كان شباب القرية نظروا اليها بعيون شبقة، كان جسدها البضيتحرق رغبة اكثر فأكثر، تريد ان تخلع القشرة عن نفسها مثل الافعى.

مثلما كانت تروي لي الجدة (زليخا)، إن أبي تعلق بها أثر احدى مغامراته النسائية و تزوجها، مثلما كان تقول (زليخا) و إلا لحبك لها بهتاناً و يقتل ما لا يقل عن خمسين رجلاً بسببها، فقد قتل رجل في السابق بسببها في احدى القرى المجاورة، لذا لم يتجرأ أحد الزواج منها، النسوة كن يقلن بأنها غراب البين، من يتزوجها سوف يقتل. رغم انهن يقلن هذا الكلام، لكن لايؤمَن به. و مصرع والدي جعل من هذه الاقاويل صائبة عندهم، ولم يكن له علاقة بسيرة و سوء طالع زوجته، وأبي تزوجها بعناد، لم يهتم لوعيد (ثيروت) وتندر و تعليق الأخرين. لم تنجب بعد أربع سنوات من زواجها. كان(ثيروت) يقول:((عندما كان يغضب والدك بعض الاحيان و يقول لها: ((يا امرأة حتى اذا ضاجعت البغلة سوف تلد)). وأخذها الى الطبيب، وبعد ثلاثة اشهر أذيع نبأ بأن(رحمة سابلاخي) قد تلقحت. ومن الصباح الى المساء كانت تتجول في القرية و تمسر بطنها و تقول:((أخيراً تلقحت، قارةمان و عل)).

كانوا يقولون أن تلك المرأة كانت ناراً و أُنزلت على تلك الاسرة، ويسألون أنفسهم أية رهبة تمنعها بأن لاتتعرى وسط القرية، وتجعل يتبعونها كما تتبع الكلاب آناثها عند التزاوج؟!.

كانت(زليخا) تقول: ((كانت أمراة خرجت من لهيب الشيطان، اغلب الاحيان عندما كانت ترى بأن الديك الابيض ينط أحدى دجاجاتها وتستعير دخيلتها و(رحمة سابلاخي) تمسك من يد(قارةمان) حتى ولوكان منشغلاً بأي عمل وتقوده الى الداخل، ثم تخروج بعد وهلة وهي منتشية. ذات مرة احس(ثيروت)

بذلك وأقدم على ذبح الديك اثر غيضه من ذلك التصرف، وزوجة و بنات (الملا فتاح) كن يحسدنها على ذلك)).. كان (ثيروت) يقول:((لو لم يمت قارةمان بهذه السرعة، ربما كان الرب وحده يعرف أن هذه الماهرة سوف تسبب في اشغال أية فتنة في هذه القرية؟!)) لم اكن على اطلاع على هذه الاحداث ولم اسمعها منهم، سوى أني كنت اسمع نتف من سيرتها هنا و هناك صدفة أو بسراً. ويقولون: ((يا فتاة لا تفعل مثل ما فعلت رحمة سابلاخي))..((أذهبي يابنت يا أردأ من رحمة سابلاخي))، تبدو من تلك الاقاويل أن أمي كانت على درجة من الطيش لذا يتحدث الناس عنها بهذه الصفات السيئة. لذا كنت ألعن وجودي و الكون برمته اكثر. وتؤدي هذه اكثر الى سبب الانعزال و التمرد في نفسي، ولا يعثر على أي حل، ويتيقن بأنه لا يستطيع ان يلجم هذه الفرس الجامحة، اذ انها جبلت من لهيب الشيطان وتغرورق عينيه بالدموع، وأحس انه تودع اخر ذكريات ذريته، لذا قال لها: ((يابنيتي انت على حق، ليحفظك الرب، هيا على بركة الله، المسألة ليست لها علاقة بك، وكل مرة يبقى تكملة المشوار لنا نحن فقط)). رغم إنه كان مسروراً في سره لتخلصه من هذه الشبه عاهرة.

لم اكن اخرح كثيراً لسماعي كلمة(الأم) ولا أهتم للاحساس الامومي منذ وفاة والدي، بل اكثر الاحيان اكرهه، لذا اذا تحدث زملائي في المدرسة عن امهاتهم، كنت انزوي بعيداً و تغرورق عيوني بالدموع. لم تكن امي هكذا فقط، بل كثير من النسوة تركن فلذات اكبادهن و هرعن وراء نزوة المضاجعة مع رجل آخر، ان الرغبة لدى تلك النسوة أقدس من حنان الامومة، كل احاسيسهن هي الذوبان في الليالي الوثيرة للمضاجعة. حتى اناث الحيوانات لا تترك صغارها قبل أن تشب عن الطوق وتعتمد على نفسها، ثم تتبع ذكر أخر. فقد سموها(رحمة سابلاخي) كشائعة، حسب قولها انها سافرت كثيراً، حتى انها رأت (سابلاخ) ايضاً. يبدو بأنها منذ زمن ارتبطت بعلاقة مع (حمه صالح) سائق القرية، كانت هناك اشاعات مفادها انهما اتفقا معاً. بضع من ثر ثارات القرية لن يرددن سراً! ((والله يافلانة ربما حمه صالح له يد في مقتل (قارةمان) لكي يتزوج رحمة سابلاخي))، تردّ الاخرى عليهل:((كل شيء جائز يا اختاه!)). الى أن وصلت تلك الاقاويل الى اسماع (ثيروت)، كأنه يعرف سبب مقتله، لذا كان يفندها يقوله:((يا ناس حكموا ضمائركم، حمه صالح ليس له أي ذنب، هذه الماهرة هي التي ركبته، لا يستطيع حمه صالح قتل نملة)). ثم تزوجت (حمه صالح)، منذ ذلك الحين لم يرها أحد ولم تتقرب بدورها من القرية. لا أتذكر ملامح والدتي ولم اسمع خبرها لا من جدي اومن شخص أخر.

منذ أن شبت عن الطوق كنت انادي (زليخا) بأمي، ولا اتذكر صورة والدي الحية، سوى تلك الصورة الفوتوغرافية المعلقة على عينين نرجستين، أشبه بعيون الصقر، يشع منها شعاع حزن شاعري مجهول، يعتمر(مشكي)[٢] أسود، وعلى شفتيه ابتسامة اشبه بابتسامة (مو نالين) التي لا يستطيع أي فنان أن يجسدها، ابتسامة تفنز بين قساوة و حب الحياة، حتى في تلك الحروتاث التي كانت ترويها لي(زليخا)، علماً كنت اتفحص نفسي كثيراً واشم الروائح، عسى و لعل رائحة الابوة عالقة في زوا يا منا خبري، بلا جدوى. أوكنت اقف امام المرآة وابدأ بالمقارنة بين ملا محي و صورة والدي المعلقة. كانت (زليخا) تقول لنسوة القرية:((ملا محة تشبه ملا مح والدته))، سوى لون عيوني وذقني المقمر، و إلا لم تكن هناك أية تشابه بيني و بين والدي، لذا كان بيتنا بني الغضب أغلب الاحيان، واهاجم شبح والدتي الذي يراودني في الظلام. كنت الصق تهمة ذلك الفارق بيني و بين والدي بها، تمنيت أن اشبه والدي مثل صديقي (هلّو)..

رغم انطفاء الألق في عيون الشيخ، لا زال لونهما النرجسي يسطع تحت اشعة الشمس، كنت بعض المرات أمد يدي على مهل و بحنان صوب ذقن (ثيروت) المقعر، ألمسه بيدي بالإحساس نفسه، والرجل العجوز بدوره تنتابه رصفة خفيفة، يسألني بهدوء لماذا أفعل هذا؟ تغرورق عيناي بالدموع واسأله سؤالاً محيراً: ((هل كان والدي ذقنه مقعراً مثلك؟ في البدء ابتسم الشيخ وبدا عليه علامات بكاء خفي. لكن أخيراً أجاب بشئ من الغضب: ((نعم يا أفندي الطيش و التسكع يعيشان في دمائنا بالوراثة، هذه شيمتنا، الطيش و حب رغم انه لم يكن يجب أن يبوح بالجملة الثانية. فقد وصلت ايضاً جرثومة ذلك المرض الى عروقي، وكنت أتلذذ بما يدور بين (وزيرة) و(سامان) ابن عمتي، لكن لست جريئاً و مشاكساً مثله. فرحت كثيراً لكلام جدي ذلك. اذ كنت اسمع من (زليخا) حين تقول لي: ((انت ايضاً مثل أبيك يبدو الطيش في عينيك)). ذلك يعني اني ابن والدي ولم يشاركة أحد في ذلك. لذا كنتُ أزور ضريحه في الاسبوع مرتين بذلك الحنين، و أبدأ معه محادثة الهمية، أنظف أطراف القبر و أسقي الشجيرات التي زرعتها حوله، اداريها مثل بستان مثمر. ويرافقني الأبلق بعض الاحيان، هوو بدوره ككائن عاقل يقبع حزيناً وملولاً بجانب القبر ملاك الشر: قال لي (ثيروت): ((عندما جلبه والدك كان جرواً، ولان الكلب حيوان وفي، كان سنده في كافة المصاعب، يتحرش به ذات مرة نفر من الرجال، لو لم يكن الكلب الا بلق لا زهقوا روحه قبل عشر سنوات خلت و هزقوه إرباً، لكن الكلب الأبلق يهاجمهم واحداً تلو الاخر وينقذ والدك))، وأكد عدة مرات: ((قتل والدك في ١٩ حزيران. انت لاتعرف، انه يوم مقدس في تأريخ شعبنا، اليوم الذي أعدم فيه الضباط الاربعة عام ١٩٤٧: خير الله عبدالكريم، محمد قدسي، عزت عبدالعزيز، مصطفى خوشناو، واذا كانت القيامة حقيقة سوف يكون مخطوظاً و يحشر معهم. وفي اليوم الحشر سوف يدخلون الجنة بأحذيتهم الملطخة بالدماء، وتتحول حبال المشنقة في جيدهم الى عقد ذهبيه و يمتثلون امام الرب)) لكن لا أدري لماذا كنت أستهزىء عفويا بهذا الكلام.

***

كانت ظلال اشجار التوت على ضفتي النهير - مثلما كانت تنساب في ذلك اليوم بيني و بين الرجل العجوز - ترتقي المرتفع الذي خلفنا، كانت هناك تقوم بترويح أرض مستيقضة للتو من النوم، مع نسمة شاردة و نصف باردة تارة، و دافئة تارة خرى وتوقظها بغنج. كانت ما تزال اثار النوم بادية على وجهي، تنتابني النعاس واستيقظ بأنامل النسمة، التفت حولي بتردد مشوب بالدهشة. عندما الاحظ الشيخ و هو يتصارع مع تأملاته الصباحية و ينصت الى نأماتي و حركاتي، حين ينقشع ضباب الليل عمر ملامحي التقط من مكاني دون أي تفكير مسبق، حجراً القيه في النهير، يفرقع داخل الماء، وتتحول اثار صوت الحجر الى دوامة لتهتزىء بالايام. ثم تتجه الى الاسفل في حلقات متتالية و مرتبكة، الى أن تختضي حلقات الدوامةو لا أرفع النظر عنها. لا حظت ايضاً بأنه لا تصدر عن جدي أية نأمة. يبدو أنه كان قد ذهب بخياله بعيداً. مفتخراً بماضيه ويتذكره في شكل حلم، لذا لم يطاوعني قلبي أن احرمة من احلامه تلك. قمت مرة أخرى بالتقاط الاحجاز وقذفها في الماء. الشيخ في الخفة المقابلة للنهير، يغطس محجذى مع عشرات الخيالات و الافكار في الماء. كأنه يحدق في البعيد دون أن يرى شيئاً، يبتسم أثر صوت انفاسه يصدى في ذلك الوادي الهادي كصوت رعد الربيع، رأيت أطيار متنوعة تحلق في فضاء ذلك الانحاء وتظ و تضيع في كثافة الغابة، كلدنا كأننا نرمي احلام و كوابيس الليلة الماضية في الماء، انا مع الاحجار وهو بدورة بمحجنه يثير صخباً في الماء،

ورذاذات الماء كانت تندي وجهينا وتمنح جسدينا التعيسين رعشة لذيذة و باردة. كان ثمة شيء ما في داخلي يشدو، لا اعرف كنهه لحد الان، لا هو لحن أغنية ساحرة واسطورية، ولا قصيدة نادرة، ليس أية واحدة منهما، ربما هو البحث عن رأس شليلة التأريخ، أو نار خفية تشتعل رويداً رويداً في دخيلي وتتوهج، ثم يخرج الشيخ سبحته من جيب سرواله، مع عد حباتها يتذكر أعواماً مليئة بالحسرات و سيول من الدماء واعوام القحط. حين نظرت اليه كان يبتسم، كأنه يقوم بالذكر و التهليلة العجائزية، يقول في قرارة نفسه:((لذا صنعت السبحة من الحبة الخضراء لكي يبددبها الهموم والاحزان التي هي اشبه بوعورة الجبل)). كل حبة منها تلفها حسرات سنوات طوال، لذا كانت تتسود في عقد السبحة يوماً بعد يوم مع حركة اصابعه الغليظة. السبحة و(الكَيوة) كانت حاجتين تأريخيين لهذا الشعب، الاولى لتبديد القلب و الهموم، و الثانية تسلق الجبال و الانفلات من الاعداء خوفاً أو للهجوم. بعد عدة سنوات من ذلك التأريخ ولدتُ انا. لكن اسمعه من جدي و أتذكره كالحلم و يتجسد أمامي و يسبب لي السأم. وجه الشيخ لي سؤالاً عجيبا: ((يابني لاأشم أية رائحة، حتى رائحة الاورُق ايضاً)). لم اهتم لسؤاله، استمرّت في التقاط الحجارة على عجل من امامي و اقذفه في النهير، حين يرتفع صوت فرقعة الحجر، تتمدد شفتاي باتبسامة هازئة. تتفجر في اعماقي ايضاً فقاعات و دمامل الحنق و أهدأ. ثم أرفع رأسي مع نظرة استهزاء، و انظر في عيون الشيخ، الذي كان بانتظار الرد. في البداية اندهشت لسؤاله هذا، انتا بني القلق بأن استفساره هذا تفوح منه رائحة الموت. إن الانسان باقٍ عن طريق حواسه، والا هو ميت أو على شفا حضرة. إن الجسد بدون حاسات البصر و السمع و الشم و اللمس و التذوق، يشبه صخرة داخل الماء تستهزئ الامواج بها. جدي فقد حاسة الشم، اذ لكثرة ما دخلت رائحة المآسي في خياشيمه. كأني امازحه كنت اتشهم مثل مُهر رفعت منخراي نحو السماء، وزخرت منها انفاساً حارة وقلت له:

–الماء تفوح منه رائحة الاسماك!

فقد فهم الشيخ منى كلامي أن مثل هذه الرائحة تفوح من النهر

–رائحة زنجّ الاسماك -، رغم انها لم تكن تلك الرائحة بل رائحة البرودة تلك الرائحة، لم تكن لا رائحة نهاية الربيع ولا رائحة بداية الصيف ربما تبلورت لدي هذه القناعة عن طريق الشيخ، وتحولت الى ذلك الاحساس و تعودت عليها من خيري - وجدي منذ أن فقد نور عينيه كانت تساعده حاسةِ السمع والشم و تُقيّم الحركات و التصرفات من خلالهما، وتحدد رأيه بصدرها، حتى انه كان يتعرف على الشخص بواسطة وقع اقدامه حتى لوكان على بعد عشرات الخطوات..أو يتعرف على نوع الطير من خلال رفرفة جناحيه جنسه و فصيلة حين يلصق اذنه بالارض يميز صوت اقدام الحيوانات عن الانسان على بعد مئات الخطوات. يشم رائحة اشجار الجوز و البلوط والكرز من مسافة كيلومتر. كان الطقس يدعم كلامي هذا.

وإلا لتردد من الوثوق في كلامي، رغم أني كنت اعرف أن جدي يفهم هذا عن طريق حاستي اللمس و الشم، لكن بدا انه فقد حتى حاسة الشم ايضاً، رغم انه لم تبد عليه علامات مرض الزكام، والملل كان يشع في عيني مثل بريق الشمس و يصيب كافة الاحجار و الاشجار، فقد نظرته شرزاً، حدقت كالسابق بعين واحدة كالدجاجة الى الادواح التي على الصنفة الاخرى من النهير، التي تشابكت كنسيبج السجادة في الطرف الاخر من الطاحونة المهدمة، من الصعب ان نجتقها الانسان ما لم يكن مضطراً لكثافة الاحراش و الاشجار، حتى الاطيار كانت تلجها بصعوبة بالغة. كنت أرى بين الفينة والاخرى سقوط لجنعة اوراق صفراء

أثرنسمة خاملة، وتتراقص في الهواءو او تدور حول نفسها مثل العناكب ثم تهبط في مكان ما محدثة خشخشة خفيفة، او كانت تسقط في الماء وتجرفها مياه النهير الهوينا. وبعض الاسماك كان يعضها من الاسفل أو يسد عليها الطريق. اردت أن اسأله، لماذا يسألني مثل السؤال؟. و إلا فيه سر، لكن لم اكن اعرف أن ذلك الصقر الكهل قد خبر الايام، مثلما خبرت الايام الاشياء، ولا تنحرف عنها قيد أنملة، أنها هكذا منذ الاف السنين و ستبقى هكذا، لكنه عرف بالحرس احساسي هذا. لذا فترت ابتسامة مابين شفتيه و لحيته البيضاء و شفتيه، ولم يدعني اضيف شيئاً، ادرف قائلاً:

–بقي من الصيف عشرة ايام، والخريف ايضا على الابواب، ستعود غداً الى المدينة، هذا العام ستدخل في الصيف الاول المتوسط، يابني اعتني بنفسك..

لم يضف شيئاً، يبدو أنه قد أحتفظ لنفسه بما يريد أن يقوله،وانحسد في دخيلته، فقد فهمت جميع ملابسات سؤال جدي، واستهزأ بعقله بعض الشيء. ربما غضبت كثيراً لهذا الكلام،

–عودتي الى المدرسة -، ومن جهة أخرى كان فرح خفي يرغي في بواطني و يكون موجات صغيرة، لذا كنت احسن بجريان الدماء في عروقي، وهي تصب في احد جانبي قلبي، ولم اكتشف مصدر هذا الفرح، رغم انه كانت هناك في قريتنا مدرسة، اكن بسبب ذلك المعلم التركماني البخيل الوحيد، الذي كان يدرس الاطفال بلغة كردية ركيكة، درست سنة واحدة هناك، وفي السنة التالية ألححت على (پيروت) إن لم يرسلني للدراسة في المدينة سوف اترك المدرسة أضطر (پيروت) بدوره بناء على خاطر قبر والدي أن ينفذ هذه الرغبة، كان معلم قريتنا يدعى - زينل - رجل نحيف، ذو انف طويل، كانوا يقولون عنه أنه لم يكن يتغوط حتى لايجوع، ولا يعود الى المدينة، إلا مرة واحدة في السنة خوفاً من صرف النقود. كان يرسل يومياً أحد التلاميذ الى احد البساتين لصيد العصافير، اذا اصطادوا له عصفوراً يأكل نصفه في الغداء، ويترك نصفه الاخر للعشاء.

كانت مدرسة قريتنا مؤقتة، نظراً لظروف المنطقة غير المستقرة، تفتح سنة وتغلق عدة سنوات، اضافة الى ذلك كانت جزءاً من بناية جامع القرية، و أستقطعت منها و سميت بالمدرسة.

و(الشيخ كنعان) عندمالا كان يفشل ابنه في اية سنة في الدراسة يهدد بتصديمها بحجة ان بناية الجامع على اراضيه. في تلك الاونة كنت اكره المدرسة، ليس بسبب كسلي في الدروس، أو بسبب عدم رضى الاساتذة مني، مثل ((توفيق كلله زل)) الذي كان يتعرض الى الضرب و القصاص نتيجة كسله في الدروس ورعونته يومياً، بل كنت شاطراً و موضع رضى الاساتذة، وانا بدوري كنت حائراً من هذه الشطارة، رغم اني لم اهتم لدروسي. حين اصل الى البيت أرمي كتبي في احدى الزوايا واتبع رغباتي الطائشة في جولات عبثية في أزقة ودروب المدينة، كأنني ابحث عن سر وجودي و وجود اولئك الناس التعساء بالوراثة، لذا كان قلبي ينفتح للقرية اكثر. اذ لا يوجد كل هذا العجيج هناك، فقد جلبت المدينة معها عشرات الامراض وانه كاد ان يصيب هذا الوباء القرية ايضاً. حين يشتد بي التعب أختار الازقة والدروب المختلفة للاياب، وأعود عند حلول الظلام، لم تكن في البيت اية وسيلة لقضاء الوقت سوى حدوتات (العمة رعناء) هي بدورها تبيعها لنا بالمقابل بالسكر و الشاي، ثم تتدلى رقبتى فوق جسدي مع عشرات الحسرات و اليأس و القنوط، ككلب سائب اغط في النوم في احدى الزوايا. واليوم التالي لا يختلف عن سابقه، كنت اشعر اني و عالم المدرسة متناقضين، انا يتيم واشعر بفراغ لعين و كوني بيني و بين زملائي في المدرسة، لذا يدفعني الى العزلة و عدم

المبالاة تجاههم، حتى في الفرص لم اترك الصف اغلب الاحيان، أغوص في اعماقي المضطربة، وافكر في تلك الدنيا القريبة من الشيخ. كان التلاميذ يتحرشون بي سواء كان بالجد او بالهزل بعض الاحيان، عندما انظر اليهم شزراً، يبتعدون من فورهم، ويتمتمون في سرهم (انه قروي، وشرس). كانوا على صواب، فقد كنت شرساً، كانت مصدر شراستي من عدة جوانب، حرماني من حنان الوالدين، وان حنان (پيروت) و (زليخا) لم يستطع ان يحل محله. مثل جبل كلما ازداد عليه سقوط الثلوج و الامطار كلما ازداد قساوة و صلابة... في ذلك العمر كنت أئن تحت عبء ثقيل من المعاناة و العذاب من دون ضريبة أو جرم ما. اراد أحد التلاميذ ذات مرة أن يستهزء بي في الصف ـ بأي شكل كان ـ لكن بدوري التقطت خشبة المساحة من على السبورة و قذفتها له، كان من سوء خطي، أم نظراً لشؤم يدي، فقد اصابت الضربة قفا رأسه واغمي عليه من فوره. و وصل الخبر الى المدير، وبصعوبة بالغة استطاعوا أن يفيقوا التلميذ، لحين انتهاء الدوام ربطوني بأحد الاعمدة في باحة المدرسة. ثم بعد ذلك كانوا يهابون مني، ويمرقون بجانبي مذعورين كالدواجن المرعوبة من الثعلب. سوى اني كنت اخاف من (توفيق كلله زل)، كان في صف أخر، تلميذ مشاكس و شرس و يستعمل السكاكين في معاركة. امه امرأة عمياء استطاعت اقناعه بعشرات التوسلات ان يلتزم بدراسته. كانت تأتي يومياً وتقف امام المدرسة لحين خروج التلاميذ لكي تأخذه للبيت، لكن يفلت من والدته ويهرب، وهي بدورها تتبعه بالشتائم ورمي الحجارة. بهذا كنت أنجو من مشاكساته اليومية، حتى الاساتذة كانوا يخافونه، ويقطع الطريق عليهم خارج المدرسة ويهددهم بسكينته الصغيرة التي كان يخفيها في حذائه المطاطي، عندما يخرج من البان فوراً يشهرها ويدور حول نفسه. ففي السنوات الاخيرة وجدوه مقتولاً، يقال بأنه قتل على ايدي رجال السلطة اذ كان عميلهم، ربما فعل شيئاً ضد ارادتهم، لذا قتلوه سراً ورموا جثته في الشوارع والازقة لتوريط الاخرين. انا بدوري ابتعد عنه، وعندما نخرج اختار زاوية منزوية، واكتب على الارض اسم (توفيق) بصورة كبيرة من ثم افتح فتحة البنطال وابول عليه لانتقم منه بهذاالشكل. اضافة الى ذلك احببت العزلة و الانزواء، لا أعير احداً اهتمامي، وفي تلك السن نما في قرارة نفسي عشق غريب، يبدو أن حرماني من الوالدين كان الشريان الرئيسي لهذا الاحساس ونابع منه، مع هذه الاحاسيس كنت التقط الحجارة من الارض وأرجم النهيربها، يرتفع صوت رخيم لترانيم الفقاعات تارة من الماء، وصوت ناشز تارة أخرى، وتتكون حلقات متتالية فوق سطح الماء، و لاتصل الى ضفتي النهير تتلا شى أو تختفي بين الاحجار و الاعشاب داخل الماء. كأنني كنت أرجم الكوارث السابقة و الحالية لقريتنا. كذلك استقرت طفولتي على ظهر كون طائش .

***

١. الرانك والخوغة = ملابس كردية مصنوعة من شعر الماعز، شبيهة بالشعر الذي يُصنع من العباءة العربية.....

٢. مشكي = قماش اسود مخطط يصنع منه عمامة كردية....

ترجمها من الفارسية: عبد الله طاهر البرزنجي

النزعة القومية الكردية في إيران

خلق الأكراد بصفتهم الاكثر خصوصية و تميزاً في التركيبة القبيلة في إيران، مشكلة عويصة على الصعيد القومي لهذا البلد. من عدة جهات يشبه الأكراد كافة القبائل الايرانية. أثناء ظهور الفكر القومي في إيران كانوا دون استثناء يمتثلون لأوامر رئيس العشيرة دون وعي و كانت الامية متفشية بينهم، و لم يفوقوا افراد العشائر الاخرى من حيث اطلاعهم على السياسة العالمية أو مواطنتهم الايرانية. قبل سنة ١٣٠٠ كان رئيس العشيرة الكردية يسن القانون و ينفذ العدالة في نطاق العشيرة اسوة بسائر رؤوساء العشائر الايرانية أحياناً كان الشاه القاجاري يضبط نفسه و يتحكم في تعديل نفوذ رئيس عشيرة كردي مقتدر مستخدماً حقه في ذلك و يبدي التأييد ليتزعم العشيرة. على الاجمال، كانت العشائر الكردية منصرفة لشؤونها دون تدخل سلطة الدولة المركزية في نطاق القبيلة. و لم تكن القومية الايرانية تعني شيئاً لدى الاكراد مثل أفراد كافة القبائل و العشائر. لاشك في ان الاكراد يختلفون عن كافة العشائر و القبائل الايرانية من عدة أوجه. حسب قول كرزن، لو قورن التضامن الداخلي للعشائر الكردية بما لدى القبائل الايرانية لوجدنا ان العشيرة الكردية متضامنة اكثر فيما بينها و يرتبط أعضاء و أفراد القبائل برؤساء قبائلهم بروابط و أواصر أقوى[i]، و لـ (Hay) و المستوفي رأي آخر. انهما يذهبان الى ان الأكراد يتخلون عن حياة البدواة و يستغنون عنها قبل غيرهم فيما لو اتيحت لهم الفرص. انهم يتنفرون من جبية رئيس العشيرة غير المحدودة التي لاتحتمل و لاتطاق[ii]. مع صحة أي من هذين الرأيين هناك نقطة واضحة و مؤكدة تفيد ان اختلاف الأكراد عن سائر العشائر و القبائل يكمن في موضع آخر: ان الاكراد في ربوع المنطقة يشكلون نفوذاً مؤلفاً من ثلاثة ملايين نسمة. في ايران الاحصائيات غير موثوقة خاصة ما يتعلق منها بنفوذ القبائل. و لكن طبق احصائية مقبولة يبلغ عدد الاكراد ٧٠٠ آلاف نسمة[iii] و يعيش ٢٣٠٠٠٠٠ كردي على الجبال المتاخمة لتركية و العراق على امتداد المنطقة الكردية الايرانية في آذربايجان الغربية، في السهل الغربي في سورية يعتبر عدد غير معلوم من هذه الجمعية المؤلفة من ثلاثة ملايين ان الكرد شعب لاينقصه شئ و يطالبون باستقلال كردستان و تشكيل دولة مستقلة لهم.

على نحو ما رأينا، ان وجود التاريخ المشترك يعد من العناصر المؤازرة للقومية و يمنحها المعنى و المفهوم و يدعي القوميون الأكراد ان الشعب الكردي

صاحب موروث ثقافي سامٍ جدا. و يرجعون تاريخ الشعب الكردي الى ٢٤ قرنا قبل الميلاد و استقرار شاهنشاهية طوتيوم (Gutium) و يحسبون انفسهم من بقايا الميديين و الحراس العسكريين و الهخامنشيين. باعتقادهم ان الاكراد في أوج عظمة الساسانيين كانوا يشكلون القوة العسكرية الحامية و المدافعة عن الأسرة الساسانية.[iv]

على امتداد تاريخهم نالوا الشهرة لنبوغهم و تفوقهم في الحروب. بعد ذلك وجدوا انفسهم في خدمة و حماية سلاطين الدولة العثمانية و شاهات ايران، مقابل ذلك كانوا يمنحونهم قسماً من الغنائم علاوة على ذلك كان الملوك و السلاطين لايتدخلون في شؤون الأكراد الداخلية.

في العام ١٨٧٧ ثار أكراد الدولة العثمانية مستغلين الفرصة المواتية لهم ــ احرز الروس النصر على العثمانيين[v]. بعد مرور ثلاث سنوات على ذلك تمخض عن المحاولة الاولى ايجاد وحدة بين اكراد الدولة العثمانية (كان العراق في ذلك الوقت جزءاً من الدولة العثمانية) و اكراد ايران. و ارسل الشيخ عبيدالله رئيس العشائر الكردية المتسم بمزاجه الثائر جيشا نحو ايران بغية اجبار أكراد ايران على الانضمام الى كردستان متحدة و موحدة تحت الحكم العثماني. تلقى الشيخ عبيدالله ضربة قوية فدحرت قوته لكن محاولاته زرعت بذور الوعي بالهوية الكردية بين الأكراد.

ان الدقة في مقارنة القوميين الكرد خلال بحثنا عن الفكر القومي الكردي لا تعد العامل الأهم و المرتبة الاولى، بل الأهم هو تقبل شيوع هذه النزعة القومية، من المسلم به ان الاكراد يؤمنون ايماناً راسخاً بتاريخهم المتميز و هو مبعث افتخارهم هذا الايمان يستوجب الانسجام و التضامن القومي. و لكن ثمة خصوصيتان في جوهر وبطن التاريخ تثيرات القلق عند القوميين، احداهما هي عدم نجاح الكرد في تأسيس دولة خاصة بهم منذ الزمن القديم حتى الوقت الحاضر و الثانية هي انهم خلال كافة الفترات التاريخية كانت لهم صلات قريبة و وثيقة بايران. هذه الخصوصيات دفعتهم الى المطالبة بحكمهم الذاتي تحت السلطة الايرانية، أكثر من التفكير في تأسيس دولة مستقلة.

ان القوميين الايرانيين ذوي الذهنية التاريخية يتذرعون بوجود الصلة العميقة بين تاريخ ايران و تاريخ الشعب الكردي لاغفال هذا الطلب و يذهبون استناداً الى ادلة تاريخية الى التأكيد على ايرانية كافة اكراد المنطقة و ليس اكراد ايران وحدهم.[vi]

ان القوميين الأكراد يعلمون مدى اهمية الخصوصية الثقافية لشعب ما و ما لها من دور في نضج و تطوير القومية، و على هذا بذلوا جهوداً كثيرة في القرن العشرين في سبيل احياء و توثيق (المعطيات الثقافية الماضية) و في النتيجة لم يكونوا موفقين كثيراً لان الثقافة الكردية لم تكن ثقافة غنية و قديرة. ربما تكون هذه المكتسبات مفرحة بالنسبة الى فرد امي من القبيلة غير انها لا تشبع رضى مثقفي الكرد المتعلمين. و في نظر اكراد يعيشون في ايران ويتعلمون في مدارس ايرانية ثمة فوارق بين الثقافة الايرانية الغنية و الواسعة و الثقافة الكردية العقيمة فيتبعون بلا ارادة المسار الايراني.

اذا كان التاريخ و اللغة و الثقافة تتسبب في ايجاد التقارب بين الكرد و ايران لكن عامل المذهب الديني يبعدهم عن ايران. ان ٩٠٪ من الايرانيين يعتنقون المذهب الشيعي في حين ان اكثر الاكراد من السنيين. ان اعتناق الاكثرية من الشعب الايراني المذهب الشيعي سيكون في صالح القومية الايرانية و يصبح سببا لتقويتها و ترصينها، أما بالنسبة لغير الشيعة فان زرع الاحساس بهوية هذه القومية يكون صعباً و عويصاً. يرى لرد كرزن ان الخلاف بين الشيعة و السنة كان عاملاً هاماً لعب دوره في سياسة الشيخ عبيدالله بحيث دفعه الى ترجيح و تفضيل الاتراك العثمانيين على الايرانيين. لاشك في ان عددا من الاكراد يعتنق الدين المسيحي و عدد منهم من الشيعة. هذا الامر يقلل الى حد ما من الخلاف و التعارض لان تنوع المذاهب لدى

الكرد يستوجب التساهل و الرعاية و هذا التساهل يمنع بدوره تشكيل الكرد جبهة موحدة ضد ايران على الصعيد المذهبي. و هناك نسبة من الاكراد مسلمون بالاسم فقط و لايتعصبون لاي من الفرق الدينية. و مع كل ذلك فان المذهب الديني، عامل هام يبعد الأكراد عن ايران و يجعلهم مصرين على الارتماء في احضان الفكر القومي الكردي.

من منظور علم الاجتماع، ان النزعة القومية الكردية تقليد للنزعة القومية الايرانية لانها حركة عدد من النخبة. بالنسبة الى الفرد غير الواعي الذي يختزل عالمه في القبيلة يصعب ان يفهم النزعة القومية الكردية على نحو ما يجهل الفرد الايراني الفكرة القومية. ان مشاركة فرد من القبيلة الكردية في الحركة القومية الكردية نابعة من اطاعة أوامر رئيس العشيرة و ابداء الولاء له. و تشبه الخدمة التي يقدمها هؤلاء الافراد للحركة القومية نفس الخدمات التي قدمها أفراد عشائر (سردار أسعد) للحركة القومية الايرانية في ثورة المشروطة. انهم لايخالفون القومية و لايقبلونها. يكافحون من أجلها و في سبيلها لان الأوامر هكذا صدرت اليهم، كما ان الفلاح الكردي المستقر في مكان لايفهم عن المفهوم القومي شيئا اكثر من الكردي القبلي المترحل. يتوقع من الاكراد الساكنين في المدن و المتلقين التعليم فقط ان يكتسبوا الوعي القومي.

يقول فردريك ميلنطن في مقابلة له يتحدث فيها عن تجاربه مع الكرد يقول: في العام ١٨٧٠ لو نادى احد كرديا مدنيياً بـ (الكردي) لظن انه تعرض الى الاهانة، كان الأتراك العثمانيون و الايرانيون أصحاب الشهادات يفيدون من الاسم نفسه مثلما يستعمل الأمريكيون اليوم كلمة (الريفي) لنوع من التحقير [١٠] و لكن الأوضاع تبدلت بعد صدور كتاب ميلنطن كما أن تيار القومية عم منطقة الشرق الأوسط بأكملها و في الأقل ان كلمة ((الكرد)) بدلاً من أن تكون اشارة للتحقير و التصغير أصبحت دوافع للافتخار و الغرور. لاريب في ان كثيرين من الأكراد الايرانيين، يفضلون القومية الايرانية على القومية الكردية لأن ارضية ثقافة و تاريخ إيران جذابة للغاية علاوة على ذلك، فان الاقتصادين الايراني و الكردي ممتزجان بشكل واسع و اصبحا اقتصاداً موحداً. فالتبغ من المحاصيل الزراعية الرئيسة في ايران، له سوق رائجة في ايران فالمجاميع الكردية التي لها نشاطات في زراعة التبغ لاتجتذبها مسألة انفصال كردستان عن إيران كثيراً.

انفصال الأكراد قبل الحرب العالمية الثانية

لا تلمس فوارق تذكر بين الأكراد و سائر القبائل و العشائر الايرانية في سياق نشاطات و تحركات فترة ثورة الدستور. فمع اعلان ثورة المشروطة وضعف رقابة الدولة المركزية على العشائر، تنفس الأكراد الصعداء اسوة بكافة العشائر و زادوا من هجماتهم و استيلائهم على الغنائم، حين هاجم في العام ١٢٨٦ عدد من أفراد العشائر الكردية العثمانية على آذربايجان و خربوا منطقة واسعة زعم القوميون في آذربايجان و طهران ان تلك الحملة مؤامرة مشتركة خططها محمد علي شاه و السلطان العثماني عبدالحميد الثاني و اعتقدوا انهما استهدفا سحب بساط المشروطة[١١] و نجمت عن هذه الحملة اثارة حفيظة الناس على الاكراد و شنت فوضى و دسائس ضد الأكراد السنيين، و لا يتوفر دليل و سند لدى الايرانيين ضد عبدالحميد لاثبات هذه التهمة لكن أهمية الحدث تكمن في ادانة الآذريين الأكراد. و يعزى سبب اتهامهم و ادانتهم إلى انهم كانوا يسيئون الظن بالأكراد، كما ان الكرد كانوا مستوطنين على طرفي الحدود الايرانية و العثمانية علاوة على تمسكهم التام بمذهب أهل السنة.

على الرغم من قيام العثمانيين في الحرب العالمية الاولى و اثناء خلافهم مع الروس و الانطليز بنشر وبث دعايات تحريضية بين الشعب الكردي و لكن كان لاحتلال آذربايجان من قبل القوات الروسية في ١٢٨٨ش دور أهم من الجهاد المعلن من قبل السلطان العثماني علاوة على استمرار التعاون بين الأكراد

الايرانيين و الأتراك العثمانيين و الألمان بموازاة تعاون اللر، أي العشائر الايرانية الأصيلة، مع قوى المركز (الألمان و الحلفاء). ينفي هذا الأمر استنتاجا واحداً و هو ان يكون التعاون بين أكراد الدولة العثمانية و الأكراد الايرانيين ناجما من احساسهم بالهوية المشتركة. لما اشرفت الحرب العالمية الأولى على الانتهاء أصاب مختلفان حول مسألة استقلال كردستان هدوء و اطمئنان الكرد بالتشتيت. كانت ثورة الشيخ محمود واحدة منهما (١٢) بدأت الحركة على النمط التقليدي المتداول نفسه و اوضحت مدى رغبة رئيس العشيرة في بسط السلطة على جميع العشائر و القبائل: و كانت الحركة الثانية غامضة يتزعمها و يقودها المثقفون الشعبيون الأكراد [١٣].

حين عقد صلح بين العثمانيين و الحلفاء طبقاً لمعاهدة سيفر أفاد ان بامكان القوميين الكرد ان يفتزعوا وعداً من الامبراطورية العثمانية لتشكيل دولة كردية تحت حماية بريطانيا فيما لو أبدوا رغبة في ان يكونوا صاحب دولة كردية مستقلة. لكن محاولات و خطط الشيخ محمود لم تثمر شيئاً نتيجة العداء و البغض المتفشي بين العشائر الكردية كما ان ظهور مصطفى كمال أتاتورك في تركية شتت أحلام المثقفين الأكراد. كان الشيخ محمود و المثقفون الاكراد يطالبون و يريدون كردستاناً مستقلة لكن الدولة التي أرادها الشيخ محمود كانت دولة شبيهة بدول القرون الوسطى في حين كان المثقفون يطالبون بدولة على طراز دول القرن العشرين. كان هذا التفاوت البادي في هذا المنظر الشامل يدل على الرؤى المختلفة للمثقفين من جانب عن نظرة العشائر من جانب آخر.

كان اسماعيل آغا (سميتيقو (سمكو) يعد قائداً مغواراً يقود القبائل الكردية المتحردة ضد رضاخان الذي جعل التغلب على سمكوا هدفاً رئيساً لنفسه كي يحظى بالثقة و الاعتبار لدى الايرانيين. كان سمكو في نظر القوميين الايرانيين مثالاً لمخالفة القوانين و السطو و الغرور القبلي. وصف ابراهيم خواجه نوري الذي شرح سيرة رضا شاه و أيده في كتابه تأييدا تاماً وصف سمكو بـ ((شرير مفسد في كافة مجالات خيانة البلد، و اعتبره أداة بيد أعداء ايران)) ١٤ مع انتصار القزاق على سمكو اقيمت في ربوع ايران الأعياد و الاحتفالات ابتهاجا بهذا النصر لكن سمكو لم يكن بأي شكل من الأشكال خائناً و لم يكن في تمسكه بالوفاء ازاء ايران أي شك. كان سمكو يصبو الى تحرير كافة العشائر الكردية و يطمح في كردستان مستقلة.

في العام ١٢١٠ كان سمكو حياً و لم تتغلب عليه قوات رضا شاه بالمرة. لجأ الى عشيرة شكاكي التي كانت الحدود الايرانية و العثمانية مشتاها و مصايفها على طول التاريخ، لم ترض النزعة القومية لرضاشاه و أتاتورك بهذا التصرف فرأى هذان القائدان (رضاشاه و آتاتورك) ضرورة اخماد قوة شكاكي و اخضاعها أيضاً. و لم يكن هذا التعاون سهلاً. و لكن في المعارك النهائية التي شنها الايرانيون على سمكو انضمت اعداد من العشائر الكردية الى طرف ايران لتكن شاهدة على الانهيار الكلي و الأبدي لاخوانها المبارزين و المناضلين.

جمهورية مهاباد

انتشرت شبكة الارتباطات مع سياسات رضاشاه، اكتسب التعليم طابعاً عاماً ليشمل الجميع كما ان الاسكان الاجباري في المناطق الكردية كان أكثر ازدهارا قياساً الى كافة المناطق العشائرية. كانت موازنة القوى بين الأكراد المستوطنين و الأكراد الرحل قد تغيرت لصالح المستقرين لأن رؤساء القبائل ضعفت قواهم تدريجياً و تقوت البنية التحتية المدنية و الثقافية ــ التعليمية للمجتمع الكردي. ان تطوراً (اقداماً) من هذا النوع في كافة مناطق ايران كان يقوي استعداد الناس لتقبل القومية و ترتبت عنه تقوية الفكر القومي في ايران. يؤكد الابتهاج العام بجمهورية مهاباد في سنة ١٣٢٤ ان القومية الايرانية لم تكن لها مصداقية في المناطق الكردية و لم تكن للقومية الايرانيه جذور في هذه المنطقة. كان لاغلبية

الشعب الايراني ميول قومية ايرانية أما في المناطق الكردية فقد كانت الميول القومية الكردية هي الغالبة و المتفوقة. كان الأكراد يتعاملون بحذر مع السياسة السوفيتية (١٥) لم يرض الكرد بتجزىء و تقسيم كردستان على ايران، العراق، سورية، و تركية، كان كثيرون من الاكراد مستعدين للتعاون مع الاتحاد السوفيتي على ان يستعد الأخير لعمل شيء ما بصدد توحيد كردستان. كانت هذه المسألة عاملاً مهماً لايجاد موطئ قدم للاتحاد السوفيتي في قلب الشرق الأوسط. كانت الشكوك تعتري الاتحاد السوفيتي ازاء ايجاد كردستان مستقلة نتيجة قلق السياسة السوفيتية بصدد تدهور علاقاته مع ايران، سورية، العراق و تركية و تعرضها لأزمة شديدة. و ما ان شارفت الحرب العالمية الثانية على الانتهاء و استقرار القوات السوفيتية في حدود كردستان، حتى تصاعدت فكرة تأسيس كردستان مستقلة. ففي صيف ١٣٢١ تأسست في مهاباد، و هي من المدن الهامة في كردستان جمعية كومه‌له التي كانت منظمة سرية للقوميين الكرد[١٦]. وردت في المنهاج الداخلي للجمعية المطالبة بمنح الكرد الحكم الذاتي في مرافق السياسة و الثقافة في اطار ايران و بعدها في تركية، العراق و سورية. بلاشك اقلق الحكم الذاتي الكردي الايرانيين وعدوه تمهيداً لانفصال كردستان ايران و الحاقها بالمناطق الكردية للدول المجاورة لايران. نعم اعتبروا ذلك بمثابة تشكيل دولة مستقلة وفق ارشادات السوفيت. لقد بكر الاتحاد السوفيتي في اقامة الثورة و الانتفاضة الشعبية الكردية لذا كان شيئاً طبيعياً أن يؤيدوا مشروع الحكم الذاتي. في العام ١٣٢٣ شجع الاتحاد السوفيتي جمعية كومه‌له لقبول قاضي محمد زعيماً لها الذي كان من الشخصيات اليسارية و كان يحظى بمحبة و احترام الشعب الكردي. و ادرج قاضي محمد في مشروع كومه‌له برنامج اصلاح الاراضي و الاصلاح الاجتماعي و وعد باقامة علاقات طيبة مع جمهورية آذربايجان الايرانية ـ التي كانت هي الاخرى تحت سيطرة الاتحاد السوفيتي.

كانت المدن و القرى الكردية تتمكن من تأمين أشخاص لقيادة و تشكيلات النهظة القومية الكردية. هنا أيضاً و على غرار الثورة القومية(المشروطية)لم تكن في الوضع امكانية لتشكيل و تقوية القومية الكردية بقوة السلاح. ان هذه الحماية كانت ممكنة في المناطق التي استوطنتها العشائر فقط. في أوائل سنة ١٣٢٤ اعلن قاضي محمد بمرسوم استقلال كردستان و كان الأمر ممهوراً بتوقيع عدد من رؤساء القبائل و العشائر الذين استغلوا فرصة حضور قوات السوفيت في المنطقة و الا فلم يربطهم بجمهورية مهاباد شيء جدير بالذكر (١٧) كان رؤساء العشائر الكردية يضمرون حقداً تاريخياً للروس و كانوا يعتبرون جمهورية مهاباد من خيارات الاتحاد السوفيتي. علاوة على ذلك لم يجتذب التسليم لسلطة مدنية حتى لو كانت من الكرد رؤساء العشائر من جراء ذلك لم يتلق قاضي محمد جواباً ملائماً حين طلب منهم الحماية و الدعم المسلح.

و على نحو مفاجئ و غير منتظر وصل من طرف آخر مغيث ـ لقد اصبحت عشيرة بارزان الكردية العراقية التي لجأت الى ايران، اصبحت قوة جمهورية مهاباد العسكرية. خاض الملامصطفى زعيم البارزانيين صراعا طويلا مع العراق بشأن مسألة استقلال كردستان. إذ طلب من الدولة العراقية تشكيل فدراسيون من العشائر الكردية في المناطق الكردية. على ان يكون في الحقيبة الوزارية وزير مسؤول عن الشؤون الكردية، و تضمن الحرية الثقافية و التعليمية للأكراد [١٨] لم يكن هذا المشروع مثل مشروع الشيخ محمود أو سمكو يعين فهم جميع الجوانب القومية و الدفاع عن مطاليبها في البرنامج دافع البارزاني عن التشكيلة الوزارية لرشيد عالي الكيلاني المعروفة بعدائها للانكليز ١٩٤١م بعد فشله و تبعيد رشيد عالي الى ايران. لم يقبل أن يسود الهدوء المنطقة وفقاً لمراد

الانكليز. لجأ البارزانيون عام ١٩٤٥ الى الأراضي الايرانية بعد قتال مع القوات العراقية دام أربع سنوات في وضع كهذا كانت حالة ارتباط الملامصطفى بقاضي محمد طبيعية جداً. مثلما كان دفاعه عن رشيد عالي الكيلاني لايشكل مؤشراً يبين ميله الى الالمان هكذا ايضاً كان دفاعه عن قاضي محمد لايدخله في خانة الموالين للاتحاد السوفيتي. و لكي نفهم على وجه أدق الى أى حد كان النظام في جمهورية مهاباد يمثل الشعب ليس سيئاً ان نقيسها بجمهورية آذربايجان وقتما دخلهما الجيش الايراني في ١٣٢٠. كانت الجمهوريتان تحت حماية السوفيت. حين دخل الجيش الايراني جمهورية آذربيجان المستقلة و هدم حكومة بيشه‌وری استقبل الشعب الآذري الجيش بحفاوة بالغة.[١٩] و لكن حين دخل الجيش الايراني مدينة مهاباد (قلب الجمهورية) استقبلوه ببرودة تامة[٢٠] كما سبق وصول القوات الايرانية مدينة تبريز قيام الناس بانتفاضة ضد النظام الميال الى الاتحاد السوفيتي و بدأت حملات اغتيال المسؤولين الشيوعيين لجمهورية آذربايجان قبل وصول الجيش. و علي النقيض من ذلك أبدى الشعب في مهاباد استياءاً تاما من الجيش الايراني و استقبلوه بوجوه عابسة.

ففي وقت كان اسم جعفر پيشه‌وري يقترن لدى القوميين في آذربايجان بالامبريالية السوفيتية و لكن حين شنقوا القاضي محمد اصبح يطلق عليه شهيد الشعب حسب ما نقله القاضي داكلاس [٢١] كان نظام القاضي محمد معتدلاً و اصلاحياً بعيداً عن القمع و الكبت، فاسفر عن ازدياد حب أهل المدن له. غير ان العشائر لم تكن لديها عوامل مساعدة ازاء جمهورية مهاباد و ما ان دخل الجيش الايراني مهاباد حتى تخلى رؤساء العشائر عن جمهورية مهاباد و تركوها لمصيرها. يقول أرشي روزفلت الذي كان في تلك الفترة الممثل السياسي لامريكا في مهاباد و يكتب: بقيت قبيلتان صغيرتان فقط الى جانب جمهورية مهاباد وظلتا وفيتين حتى الأخير[٢٢] بالتأكيد يشذ البارزاني عنهم فقد ظل البارزانيون يقاومون الجيش الايراني حتى الأخير و بعد ذلك لجأ زعماء بارزان الى الاتحاد السوفيتي.

الأكراد من مهاباد الى ما جرى بعدها

لو لاحضور القوات السوفيتية على الحدود الشمالية الايرانية لربما كان الأكراد ينحلون في النهاية بين الشعب الايراني و لو ان هذا الأمر كان ترافقه مشكلات و صعوبات، بعد ان استقر الجيش الايراني مجدداً في المناطق الكردية بدأت النزعة الاستقلالية لدى الأكراد تقاوم بشدة. اعدم كثير من القادة و القوميون أو زج بهم في غياهب الزنازين و منعت المطبوعات الكردية من الصدور و الظهور. كما غدت الكتب الكردية المطبوعة بالخط الكردي غذاءاً للنيران و من جديد منع التعليم و التعلم باللغة الكردية[٢٣]. لاشك في ان النشاطات السياسية نشأت بعد ذلك في المناطق الكردية لكنها كانت تستقر في اطارها الايراني. عندما استلمت الجبهة الشعبية لمصدق زمام السلطة كانت القيادة تضم عدداً من القوميين الكرد و ان دل هذا على شئ انما كان يدل على ان الحكومة المركزية كانت تسعى أكثر من القوميين الأكراد لجذب و استقطاب العناصر الكردية المثقفة.

الحقيقة هي ان ايران متاخمة للحدود السوفيتية و ان أي توقع متعلق بموضوع ادغام الاكراد و الايرانيين ينحل بمناورة ليلية سوفيتية، و لمدة طويلة تتمتع القومية الكردية بتأثيرها الذاتي الخاص كما ان دول الاتحاد السوفيتي تستلهم من هذه النقطة منذ العام ١٩٥٨ أي حين صار عبدالكريم قاسم زعيماً للعراق عن طريق انقلاب عسكري تعقدت الأوضاع اكثر. انطلاقا من ادعاء عبدالكريم قاسم و ميوله الى السلم أتاح فرصة للملا مصطفى البارزاني العودة الى العراق و التمتع بحكم ذاتي على نحو أحسن. في ثورة ذوئية ١٩٥٩ التي حدثت في مدينة كركوك برزت شواهد أثبتت توغل النفوذ الشيوعي بين الأكراد. هذه

الحادثة أدت الى توتر العلاقات بين قاسم و الأكراد الأمر الذي أدى في النتيجة الى قيام الثورة. و تزعم الملامصطفى ثورة الذين طالبوا باسقاط عبدالكريم قاسم لاشك في ان الملامصطفى يحظى بتأييد الاكراد الايرانيين نتيجة لمطالبيه و مشاريعه القومية. و يمكن التوقع باطمئنان أن رؤساء القبائل الكردية لايستجيبون لثورة الملا مصطفى.

الهوامش:

[i] كرزن، ٩٩

W.R. HAY two years in kurdistan (Lo ndon. 1921), p.27

[ii]-المستوفي، الجزء الرابع، ٢٩٩،و

[iii]-Safrastian, P.91

[iv]-المصدر السابق، ٣٠-١٧.

[v]-المصدر السابق،٦٢-٥١.

[vi]-افشار "قلمرو زيان فارسي" "آينده" اردیبهشت ١٢٩٤،

ص ٧-٤٠٦.

7-G.W prothero, ed. Annenia and kurdistan.

٧-افشار "قلمرو زيان فارسي" "آينده"، اردیبهشت ١٢٩٤،

صص ٧-٤٠٦.

٨-كرزن، ٥٣-٥٥٠.

9-Fredrick Millengen , Wild Life among koords, (london, 1870), PP. 209-10

١٠المصدر نفسه، ١٤٩.

١١- كسردی، ٤٧٨.

١٢-انظر إلى:

١٣-انظر الى:

١٤-خواجه نوری، ٤٥.

15-George Agabekov, O.G.P.U the russian Secrel Teror,
(Binghamton, new York, 1933), P.95

16-Archie Rooscvelt, the kurdish Republic of Mehabad,
Middle east Journal, July 1947

و كلاس، ٦٤.

١٧-آرجي روزفلت، ٢٥٥

١٨-مهاباد خونين (طهران، ١٣٢٧)، ٣٣.

١٩- آرجي روزفلت، ٢٦٧.

٢٠-داكلاس، ٦٤.

٢٢-روزفلت، ٢٦٥.

٢٣-المصدر نفسه، ٢٦٧.

*هذه المقالة جزء من أحد فصول كتاب (القومية في إيران) لمؤلفه ريجارد كاتم الذي كان في حينه موظفا للسفارة الامريكية في إيران. يدافع الكاتب عن القضية الكردية لكنه بحاجة إلى نوع من التوضيح خصوصا ما يتعلق بحكومة الشيخ محمود التي يراها الكاتب من طراز القرون الوسطى انها قضية تتطلب الكثير من النقاش .

المترجم

فؤاد طاهر صادق

اللغة الكردية و اللغات الأخرى

أن الهدف من هذا المقال هو الرد على المحتلين وبعض العنصريين الغفلة الذين هم بلاء و وبال على الأنسانية ومن جهة أخرى إيقاظ و تنوير بعض المتعلمين الكرد المتأثرين بلغة المحتلين لوطنهم ليعرفوا جانباً من مدى و مستوى ونقاوة لغتهم .

من المؤسف و المؤلم حقاً أن نرى قسماً من المتعلمين الكرد ومنهم خريجوا المعاهد و الجامعات ، فضلاً عن الأجانب الذين يجهلون حقائق اللغة الكردية و لغاتهم ، لا يعرفون مدى تقدم اللغة الكردية كونها أخلص و أغنى و أرق من اللغات التركية و الفارسية و العربية بل وحتى من اللغة الانكليزية ـ قد يستغرب البعض لأول وهلة من هذا الرأي! ولكن بعد ان تقدم لهم الأمثلة و تكتشف لهم الحقائق، عندئذٍ يتحول إستغرابهم إلى إعجاب بل حب و تقدير اللغة الكردية الصامدة و العريقة!

بالرغم من أن اللغة الكردية ، منذ القديم و حتى اليوم ، لم تخدم كاللغات الأخرى من قبل المؤسسات الثقافية و السلطة السياسية فحسب ، بل أن محتلى كردستان حاربوها و لا يزالون يحاربونها بشتى الوسائل و الطرق.. أقول رغم كل تلك الحقائق فان لغتنا الكردية الأصيلة هي لغة غنية بمفرداتها ، رقيقة بألفاظها ، خالصة لخلوها من الكلمات الأجنبية ، بليغة بسلاسة تعابيرها، بديعة بجمال نطقها و أنغامها .. بينما يعرف من له إطلاع و خبرة في اللغات الأخرى و منها اللغة الانكليزية ، فهي مليئة بالمفردات اليونانية و اللاتينية و الفرنسية و الأيرلندية و الجرمانية و غيرها من حيث التركيب.. شاذة و معقدة في إملائها و قواعدها ! !

كردستان على مدى تأريخها الطويل ، كثيراً ما تعرضت لغزو و إعتداءات المحتلين مما سببت في تدمير و نهب الكثير من مكونات تراثها الثقافي و الحضاري .. و رغم كل ذلك فأن أمتنا الكردية كلما أخذت نصيباً من الحرية أو سنحت لها مجالاً للراحة أو فرصة للعمل فأن أبناءها المقتدرين و المتميزين ملؤا فجوة

من ثقافتها و حضارتها و وضعوا حجراً فوق أحجار أسسها.

إن الأمة الكردية تعرضت بصورة مباشرة و غير مباشرة لمئات السنين من الأحتلال من قبل المحتلين الفرس و اليونان و الرومان و العرب و الأتراك .. و رغم ذلك فان اللغة الكردية بسبب إصالتها و متانتها فأنها بقت أنقى و أرقى من اللغات التركية و الفارسية و العربية و الانكليزية و غيرها .. تلك اللغات مليئة بمفردات لغات أجنبية فضلاً عن كثرة شذوذها و نواقصها إملاءاً و قواعداً.

الأتراك كونهم أصلاً سليل قبائل رحل متخلفة أتوا من آسيا الوسطى بشكل موجات قبل مايقارب من سبعة قرون و احتلوا آسيا الصغرى (مايسمى اليوم بتركيا) و سيطروا عليها و سلطوا أنفسهم وريثاً على التراث الثقافي و الحضاري للشعوب الكردية و الأرمنية و اليونانية، لغتهم لغة فقيرة تفتقر لا إلى المصطلحات العلمية و الفلسفية فحسب بل و حتى لبعض الكلمات العادية!.. من بين ما اقتبسوا من اللغات الأخرى فأنهم أخذوا كثيراً من الكلمات الكردية و منها على سبيل المثال لا الحصر ما يلي:

هەفتە (أسبوع) ، چوارشەمبە (أربعاء) ، پێشینە (سلفة) ، چارە (علاج) ، سەرمایە (رأسمال) ، چوارچوبە (إطار) ، چونکی (لأن) ، هیچ (لاشيء) ، بازار (سوق) ، کەس (شخص) ، گوناە (جنحة) ، خزم (قريب) ، کوێر (أعمى) ، گوڵ (زهرة) ، بەهار (ربيع) ، دۆست (صديق) ، ئەشکەنجە (عذاب) ، شیرین (حلو) ، پەشیمان (نادم) ، سۆز (عطف) ، پیاسە (مشى) ، پیادە (راجل) ، پارچە (قطعة) ، دەستە (هيئة) ، سەرخۆش (سكران) ، مەراق (هم) ، نموونە (نموذج) ، پەنجەرە (شباك) ، پەردە (ستار) ، سەربەست (حر) ، دەرد (مرض) ، دەربەدەر (مشرد) ، خۆش (طيب)، دۆل (طبل) ، زورنا (مزمار) ، دیوار (حائط) ، دۆشەگ (دوشك!) ، سۆبە (مدفأة) و كثيرة غيرها.

وكذلك فإن الأتراك بسبب تأثير الدين من جهة و فقر لغتهم من جهة أخرى قد أخذوا من اللغة العربية كثيراً من الكلمات ، منها: أساس ، إدارة ، كتاب ، زيادة ، صباح ، مع الأسف (الظلم و التعسف و النهب من شيمة الأتراك الرحل ولم يكن لهم كلمة رقيقة تعبر عن الندم أو الأسى لما كانوا يقترفون من جرائم و مظالم و غدر ، لذلك لجأوا إلى ((مع الأسف))العربية!) ، زكاة ، جمعة ، جنس ، أداة ، كسر ، دين ، صفة ، إشارة ، حيوان ، درس ، مدير، تأريخ ، أدب ، عقل ، فكر ، شاهد ، رجاء ، رسم ، راضى، دوام ، كشف ، إيضاح ، إيجاب ، حكة ، تكبر ، حيرة ، خدمة ، حس ، دقة ، رد ، مصدر ، نفي ، نهي ، ضمير ، ظرف ، سياسة ، صنف ، قدر ، والي، دائرة ، إنسان ، سر ، جمهورية ، ميلاد ، محلة ، صفحة ، زقاق ، شكر ، حمد ، إيمان و مئات أخرى!

هذا بالأضافة إلى أن اللغة التركية تتضمن آلافا من الكلمات اليونانية و الأرمنية و الأنكليزية و الفرنسية و الايطالية و الفارسية و غيرها من اللغات حيث لا مجال لسرد أمثلة عنها ضمن هذه المقالة القصيرة.

كما أن اللغة العربية التي هي لغة الأحرف الثقيلة و الحلقية و الضاد مليئة بالكلمات و المصطلحات الأجنبية و لها شواذ و نواقص كثيرة في إملائها و قواعدها و كلماتها .. فالعرب بالإضافة إلى إستعمالهم الكثير من مفردات اللغات الأخرى ، فأنهم بتغيير حرف من حروف بعض الكلمات الأجنبية جعلوها تظهر للذين لا إطلاع لهم على اللغات الأخرى كأنها كلمات عربية و هي في الواقع ليست بعربية! !..مثال ذلك غيروا كلمة كيبل إلى (قابلو) ، ماگنيت (مغناطيس) ، گالون (غالون)، گرام (غرام) كانون (قانون) ، ئەتلەس (أطلس) ، ماكين (ماكنة) ، كەنال (قفاة) ، ورك شوپ (ورشة) ، كوليج (كلية) ، پەندەل (بندول) ، بەس (باص) ، تۆباكۆ (تبغ) ، كيرتاس (قرطاسية) ، كلمۆس (قلم) ، ستێبل (إصطبل) ، دیمۆكراسی (ديمقراطية) ،

جۆگرافی (جغرافية) ، كاموس (قاموس) ، لگم (لغم) ، كيرات (قراط) ، مگنسيوم (مغنسيوم) و هكذا.

الفتحة و الكسرة و الضمة و الشدة في اللغة العربية محيّرة و مضلّلة و مخطئة حتى للعرب أنفسهم.. نرى كثيراً من مسؤولي الأنظمة العربية عندما يلقون كلمة أو يقرأون شيئاً ما ، يقعون في أخطاء شنيعة بسبب تلكم الأصوات والاشارات ، فينصبون أو يرفعون المجرور و يجرّون المنصوب أو المرفوع و هكذا ! !.. كثير من الكلمات العربية لها عدد غير معقول من المعاني ، فمثلاً كلمة (خال) لها ٣٠ معنى ، و (عين) ٤٠ و (شيخ) ٦٠ معنى و هكذا ـ في اللغة العربية كلمات لها معان عكسية ، فكلمة (جون) تعني الأبيض و الأسود و كذلك تستعمل لتعني الأحمر!.. إن العربي عندما يقول (أخال) فان السامع لايعرف فيما إذا كان المتكلم له شك أو يقين حيث أنها تعطي المعنيين .. كلمة (ند) تعبر عن المثيل والضد .. و غيرها من تلك الكلمات ! !

في اللغة العربية ألاف من الكلمات الكردية و الفارسية و الآرامية و اليونانية و العبرية و اللاتينية و غيرها. العرب كان لهم إختلاط وعلاقات مع السريان الآراميين ، أخذوا منهم كثيراً من الكلمات و المصطلحات الزراعية و الصناعية و الفلاحية و العلمية الآخرى .. إن السريان و الكلدان الآراميين بترجمتهم الكتب اليونانية من السريانية إلى العربية بطلب من الخلفاء العباسيين خدموا العرب كثيراً حيث إقتبسوا ألعديد من المفردات السريانية منها : أسماء الأشهر من كانون الثاني إلى كانون الأول ، قرآن (تعني الجهر) ، آجر ، مزراب ، اكليل ، آمين ، أوز ، باكورة ، بالوعة ، بط، بطيخ ، بطم ، بلوط ، بيت ، بور ، بيدر ، تاجر ، تبن ، ترجمة ، ترعة ، تلميذ ، تمساح ، تنور ، توت ، ثريا ، تبن ، مثقال ، ثالوث ، ثوم ، جبار ، جبروت ، جبن ، جباية ، جاسوس ، جسر ، محلة ، جليد ، جنة ، جيش ، حانة ، حانوت ، حب ، حسد ، حصن ، حكيم ، حلة ، حلف ، حمام ، حيوان ، خاتم ، ختن ، خردل ، خزر ، خرطوم ، خزف ، خس ، خمر ، خنزير ، خياط ، دبس ، دمية ، دير ، رب ، رحمان ، رحيم ، روح ، مروحة ، زمن ، زمان ، زورق ، زاوية ، زيت ، زيتون ، زيف ، ساج ، ساعة ، أيام الأسبوع (سبت ، أحد ، إثنين ، ثلاثاء ، أربعاء ، خميس) ، سرة ، سطر ، سفرجل ، سفينة ، ساقية ، سكر ، سكين ، سلة ، سلسلة ، سلطان ، سم ، مسمار ، سمسار ، سنة ، سور ، سوط، سوق ، سياج ، شبوط، شرطة ، شتلة ، شريان ، شط، شفرة ، شاقول ، شهر ، صرصر ، مصطبة ، صفيحة ، صلاة، صورة ، صيدلي ، طبع ، طبيعة ، طبل ، طاحون ، طحين ، طاعون ، طاغوت ، طوفان ، عجلة ، عرش ، عسكر ، عطارد و أسماء الكواكب الأخرى ، عقار ، علة ، عالم ، غابة ، قران، قبعة ، قربان ، قصاب ، قصر ، قطران ، كأس ، كبيسة ، كابوس ، كراس ، كشكول ، كوكب ، مساحة ، ملاحة ، ناقوس ، نقش و غيرها.

الشعب العربي كونه جاراً للشعب اليهودي و كلاهما من الشعوب السامية ، أخذ كثيراً من الكلمات العبرية وها هي بعض الأمثلة : تابوت ، جهنم ، حج ، يوبيل ، شيطان ، أسماء الملائكة : جبرائيل ، إسرائيل ، ميكائيل إلى آخره .. وغيرها.

كذلك كون الأمة الكردية جارة للأمة العربية فأنها إقتبست كثيراً من الكلمات الكردية ، منها : هندسة (من ئەندازه) ، جنحة (من گوناه) ، خاكى (ملابس خاكيه) ، موم ، زاخ ، درويش ، دوشگ ، دوكان ، إسطوانة (من ستوون) ، جاموس (من گاميش) ، جزر (من گيزەر) ، جوز (من گويز) ، جوهر (من گەوهەر) {لايوجد حرف گ في اللغة العربية فيبدلونه إلى حرف جـ} ، بركان (من پرۆكان) ، خان ، خنجر ، خال ، بير (من بەور)، بابوج (من پاپۆش) ، دستور ، سرداب (من سەرداو) ، شال ، طاس (تاس) ، طاق (تاق) ، فستق ، ميدان ، دربونه (من دەربوون) ، برنامج (من بەرنامه) ، بستان ، كشمش ، كهرباء (من كارەبا) ، كوخ ، لولب (من لاولاو) ، ميل ، خانة (خانه) ، طاقم (تاقم) ، قطار (قەتار) و أخريات.

كما أن العرب أخذوا من الفرس كثيراً من الكلمات الفارسية من جملتها : إبريق ، ارجوان ، اسپانج، إستبرق ، آهن ، أوج ، إيوان ، باذنجان ، ببغاء ، برهان ، بريد ، بلبل ، بوتقة ، تاج ، جادة ، جام ، جن ، خليج ، خندق ، خيار ، درب ، دفتر ، دهليز ، دواة ، دولاب ، ديوان ، رونق ، زئبق ، زركش ، زعرور ، زلية ، زلابية ، زنجار ، زمهرير ، زنبق ، زنبيل ، زندیق ، فيل ، سرطان ، سفتجة ، سلحفاة ، سنجاب ، سندیان ، شاهين ، شلغم ، شطرنج ، شمعدان ، شمندر ، شهرة ، طارمة ، طازج ، طبر ، طبق ، طراز ، طربوش ، طنبور ، عندليب ، فلفل ، فنجان ، فهرس ، فولاذ ، قلعة ، قيطان ، كاغد ، هاون ، كعك ، كمنجة ، كنز ، لجام ، لوز ، ليمون ، مهرجان ، موز ، ميناء ، نارنج ، ناسور ، ناى ، نرد ، نفير ، نمط ، نموذج ، نيزك ، هندام و إلى آخرها.

بسبب تقدم اليونان في ميداني الثقافة و الحضارة خلال عدة قرون قبل الميلاد و وقوع كثير من بلدان الشرق الأوسط لفترة تحت حكمهم ، فان العرب عن طريق الترجمات السريانية أخذوا كثيراً من الكلمات و المصطلحات اليونانية وهذه بعض منها : إبليس ، أبنوس ، أجانة ، أرز ، أرغون ، أسطورة ، افندي ، أفيون ، اقليم ، درهم ، حوت ، خارطة ، ألماس ، دولفين ، ديباج انجيل ، دينمو ، أتوماتيك ، ديناميت ، أوقيانوس (أوكيانوس) ، أوقية(أوكى) ، ثرمومتر ، أكسجين ، هيدرؤجين ، نتروجين ، تلخراف (تلگراف) ، تلفون ، تيفوئيد ، أثير ، ارستقراطية (أرستوكراسى) ، ديمقراطية (ديموكراسى) ، بيروقراطية (بيروكراسى) ، دكتاتورية (دكتاتورى) ، آزوت ، أسطول (ستوول) ، اسفنج ، أطلس (أتلس) ، آفة ، أكسيد ، بارود، بارومتر ، بامية ، برج ، بطاقة ، بقدنوس (بكدنوس) ، بطريرك (پتراك) ، جغرافية (جوگرافى)، ديبلوماسية (ديپلوماسى) ، سينما ، سيكولوجية (سايكولوجى) ، كرفس ، فلز ، فلسفة ، فندق (فندك) ، فلق (فلك) ، قارب (كارب) ، قاموس (كاموس) ، قانون (كانون) ، قدر (كدر) ، قرش (كرش) ،قرطاس (كيرتاس) ، قرن (كرن) ، قرنفل (كرنفل) ، قسط (كيست) ، قصدير(كسدير) ، قلم (كلموس) ، قنطرة(كنتر) ، قيثارة (كيثار) ، قيراط (كيرات) ، أوقيت (أوكى) ، كافور ، كلس ، كوليرا ، كيميا ، لتر ، لجنة (لگن) ، لغم (لگم) ، لوبيا ، مرجان ، مرمر ، مرهم ، مغنيسيوم (مگنسيوم) ، مكروب ، مكروسكوب ، منجنيق (منجنيك) ، مورفين ، موسيقى (ميوزيك) ، ناموس ، نرجس ، نفط ، هستريا ، هيدروجين ، ياقوت (ياكود) ، يود و غيرها.

كذلك فأن العرب قد اقتبسوا كثيراً من الكلمات و المصطلحات اللاتينية، منها : اصطبل (ستيبل)، أسكلة (اسكل) ، بارجة (بارج) ، بلاط (بيلات) ، بوق (بوك) ، دوق(ديوك) ، دومنيو، دينار ، رصيد (رسيد) ، سجل ، سراط (سيرات) ، صورة (سوور) ، فرن ، فيتامين ، قرصان (كرسان) ، قلنسوة (كلنسو) ، قميص (كميس) ، قناة (كنال) ، قنديل (كنديل) ، قنصل (كنسل) ، قنطار (كنتار) ، قيصر (كيسر) ، كربون ، گمرگ ، كوب ، منديل و كثيرة غيرها.

بالاضافة إلى ما تقدم فان اللغة العربية تحتوى على كثير من الكلمات الفرنسية و الأسپانية و الحبشية و غيرها.. من الكلمات الفرنسية المقتبسة من قبل العرب : سنتيمتر ، دسيمتر ، متر ، كيلومتر ، غرام (گرام) ، كيلوغرام (كيلو گرام) ، طن (تن) ، و عشرات أخرى.

إذا ما قارننا الاملاء الكردي مع مثيله العربي و الانگليزي يظهر لنا بجلاء عدم وجود شواذ في الاملاء الكردي ، بينما نرى كثيراً منها في الاملأين العربي و الانگليزي لحد كبير و بشكل غير معقول و لامنطقي. الاملاء الكردي يكتب كما يقال دون زيادة أو نقصان بعكس الاملاء العربي و أسوأ منه الاملاء الانگليزي.. مثال ذلك في الاملاء العربي أين الألف في الكلمات التالية :(هذا ، ذلك، كذلك ، هؤلاء ، الله ، وغيرها) .. كذلك فان الألف المقصورة في الاملاء العربي عجيب لا قاعدة له سوى حفظ و معرفة الكلمات التي تكتب و

فيها ذلك الحرف اللعين ، مثال ذلك: قضى ، مضى ، ليلى ، ندى ، سلمى ، هدى ، ألى آخره من كلمات. من ناحية أخرى فان وجود الأحرف (ة ، ت ، ض ، ظ) في الكلمات العربية لا قاعدة لتحديدها و ما على طالب تعلم اللغة إلا أن يعرف و يحفظ كلماتها.

أما الاملاء الانكليزي فأنه أعقد من الاملاء العربي والذي له نواقص كثيرة ولا قاعدة له سوى حفظ تهجي كلماتها ! ..توجد ماتسمي حروف صامته (Silent Letters) في كثيرمن كلماتها مثال ذلك: كلمةWHY ما هذا الـ (H) ، HIGH (GH) ، WHO (W) ، KNIFE (KE). فأكثرية الكلمات الانكليزية التي غالبيتها في الواقع ليست إنكليزية وإنما هي لاتينية و يونانية و فرنسية و غيرها ، يكتب بهذا الشكل.. هذا فضلاً عن شواذ أخرى تحيّر المرء .. فالحرف C في الانكليزية تستعمل للصوت س و ك و ش مثال ذلك الكلمات : NICE , CUP , OCEAN .. الصوت ش يكتب بثمانية أشكال : SH (SHOP) ، S (SURE) ، SS (ISSUE) ، TIO (MOTION) ، CH (MACHINE) ، TIA (ESSENTIAL) ، C (OCEAN) ، SC (CONSCIOUS) ! ! .. الحرف S يستعمل كذلك للصوت (ژ) مثل CASUAL ! .. والصوت ف يكتب بثلاثة أشكال : F (FAT) ، PH (ORPHAN) ، GH (COUGH) ! ! .. ما هذه الشخبطات؟! .. ماذا عملت المؤسسات الثقافية الانكليزية ومنها جامعتي كمبريج و أوكسفورد واللغويين الانكليز منذ القرن الثاني عشر و لحد الآن بهذا الصدد؟!

أن اللغة الكردية لها قواعد منتظمة و محددة العوالم .. فلتحويل الفعل المضارع إلى الفعل الماضي قاعدة واحدة ، مثال: دەیکا (یفعل) ، کردی (فعل) .. دەیخوا (یأکل) ، خواردی (أکل) .. دەینووسی (یکتب) ، نووسی (کتب) و هکذا. کذلك فان جمع المفرد له قاعدة واحدة: کچ (بنت) ، کچان (بنات) .. گولّ (زهرة) ، گولّان (أزهار) .. فێرکار (معلم) ، فێرکاران (معلمون) .. بينما ترى أحياناً بأن فعل المضارع في اللغة العربية يستعمل لغرض الماضي ، مثال ذلك : ((لم أترك لمن يأتي بعدى شيئاً)) ! .. غاية المتكلم هي : " لم أترك لمن أتي بعدي شيئاً" ! من جانب آخر فان الجمع في اللغة العربية أنواع : جمع المذكر السالم (مدرسون) ، جمع المؤنث السالم (بنات) و جمع التكسير (كراسي) فضلاً عن جمع الجموع .. و لجمع التكسير أشكال عديدة ، مثال ذلك ـ عبد: عبيد ، عباد ، عبدة ، عبدون ، عبدان ، عبّدان ، أعابد ، أعبدة ! .. نمر: نمور ، أنمار ، أنمر ، نمير ، نميرة ، أنمرة إلخ . !

أن قواعد اللغة العربية ثقيلة و غير مفيدة.. لأهتمامها الشديد بالاعراب تسمى بلغة الاعراب .. المذكر والمؤنث في العربية ظاهرة معقدة ، غريبة و عجيبة ، فالكلمات (شمس ، دار ، أرض ، حال ، نفس ، طريق ، عين ، يد ، أذن ، رجْل و مئات أخرى) مؤنثة.. في حين أن الكلمات (قمر ، بيت ، بئر ، وقت ، صوت ، موت و كثيرة آخرى) هي مذكرة بالرغم من وجود حرف التاء في نهاية بعضها !

أما قواعد اللغة الانكليزيه فيها شواذ غريبة.. لها ٢٨٣ فعل غير منتظم IRREGULAR VERBS عند التحويل من الفعل المضارع إلى الفعل الماضي لا قواعد لها سوى حفظها .. من الأمثلة عن تلك الأفعال : ..WENT, GO.. PUT, PUT .. HAD, HAVE .. HAD , HAS.. WAS , IS وهكذا . بينما تكون أفعالها المنتظمة REGULAR VERBS باضافة حرف D أو ED تحول ألى أفعال ماضية ، مثال ذلك : .. GAIN , GAINED NOTED , NOTE .. و هكذا.

أما بخصوص الجمع في اللغة الانكليزيه فبالرغم من أن آلافاً من الأسماء الانكليزيه عند إضافة S تصبح جمعاً ، مثال ذلك : , PENS , PEN.. BOYS HOUSES , HOUSE .. BOY.. إلخ . ، إلا أن لها آلافاً من الكلمات الأخرى عند جعلها جمعا لا قاعدة لها سوى حفظها ، من الأمثلة....WIVES, WIFE..

OXEN, OX.. MEN, MAN ,ANALYSIS .. DATA, DATUM.. CHILDREN, CHILD.. STIMULUSو..ANALYSES FLIES , FLY STIMILI و كثيرة اخرى.

للغة الانكليزيه لا معقوليات كثيرة أخرى .. لها عديد من الكلمات تستعمل كـ إسم ، فعل ، صفة و ظرف (حال) و بمعاني مختلفة ، مثال ذلك كلمة GRAVE كأسم تعنى قبر ، كفعل له معان عديدة : (يحفر ، ينحت ، ينقش ، يغرس (فكرة في الذهن) ، ينظف قعر السفينة و يطليه بالزفت .. كصفة (خطير ، هام ، مهلك ، مميت ، وقور ، رزين ، قاتم ، خفيض) .. أما كظرف (حال) فهي تعني ببطء أو بوقار.. كلمة (SWEAR) تستعمل بمعنى يقسم و يشتم !!.. وهكذا لها آلاف من هذا القبيل!

إن سبب و سعة إنتشار اللغة الانكليزيةّ في العالم يعود إلى نفوذ و اقتصاد و صناعات الشعوب الناطقة باللغة الانكليزيةّ. فيها آلاف من االكلمات و المصطلحات الاجنبية بالأخص اللاتينية ، اليونانية ، الفرنسية ، الألمانية ، الايرلندية ، السكوتلندية ، الاسپانيه و غيرها. الانكليزيةّ هي لغة قبائل الانكلو ـ سكسونية خليطة بتلك اللغات.. من أمثلة الكلمات و المصطلحات اليونانية في اللغة الانكليزيةّ هي : دولفين ، دينمو ، أتوماتيك ، ديناميت ، ئوشن ، بارومتر ، أتلايمز، دايناليكتيك ، يوتوپيا ، امپريسيزم، پراگماتيزم ، ميتافيزيكس ، پارومتر ، تلگراف ، تلفون ، تيفوئيد ، أتلس ، ديپلوماسى ، پوليتيكس ، سوسيولوجى ، سايكولوجى ، أنثروپولوجى ، فسيولوجى ، كيميسترى ، فيزيكس ، ماثماتيكس ، جيومترى ، سينما ، كوليرا ، مگنسيوم ، مكروب ، مكروسكوب ، مورفين ، ميوزيك ، يود و كثيرة غيرها.

بسبب وقوع إنگلترا تحت إحتلال الروم لفترة أكثر من أربعة قرون (من عام ٣ إلى عام ٤٠٩) ، بالاضافة إلى كون اللغة اللاتينية لغة الدين و الكنيسة و التعليم في إنگلترا لمئات من السنين ، فان كثيراً من كلمات اللغة الانگليزيةّ هي في الواقع لاتينية وللمثال :ANTE POST ، قبل الظهر) A.M. : MERIDIEM) بعد الظهر) ، P.M. : MERIDIEM) ملك ، MONARCH : NEURALGIA الألم : واحة ، OASIS : PARADOX العصبي ، : رحم ، UTERUS : PARALYSIS تناقض ، : رقاص الساعة ، PENDULUM شلل ، PENIS : قضيب (عضو الذكر) ، PER DIEM : يومية ، أجر يومي ، PETROLEUM : پترول ، : إلى آخره (إلخ.) ETCETERA (ETC.) : البلعوم ، PHTHISIS : السل PHARYNX الرئوي ، PLASMA ، PROPAGANDA : دعاية ، PYREXIA : حمى ، PYTHON : تنين ، QUANTUM : مقدار ، QUARTO : ربع ، QUOTA : نصيب ، RADIUS : نصف قطر ، RATIO : نسبة ، SEPSIS : تعفن ، STABLE, NATURE , CUP, ، إصطبل : SILICON CARBON, CANAL, VITAMIN : طبيعة ، POSIVITISM : الايجابية (الفلسفة الوضعية) ، RATIONALISM : العقلية ، المذهب العقلي ، EXISTENTIALISM : الوجودية ، الفلسفة الوجودية ، DETERMINSM : الحتمية و آلافاً أخرى.

من جهة أخرى لكون بريطانيا جارة لفرنسا و تطور الأخيرة في مجال القانون و السياسة و العلوم ، فإن الآنگليز أخذوا كثيراً من الكلمات و المصطلحات الفرنسية ، مثال ذلك : MORALE : معنويات ، PERSONNEL : الذاتية ، PESSIMISM: تشاؤم ، OPTIMISM : تفاؤل ، TON: طن ، TABLEAU : لوحة ، GENERAL : آمرلواء (رتبة عسكرية) ، RADIO : راديو و مئات أخرى.

إن الانگليزيةّ من جملة إقتباساتها تستعمل الأسماء اليونانية للعلوم و الفلسفات ، بينما نحن الكرد نستعمل الأسماء الكردية لها و فيما يلي بعض الأمثلة:

التسميات اليونانية المستعملة من قبل الأنگليز	التسميات الكردية
HISTORY	میژووزانی
GEOGRAPHY	*زەویزانی
GEOLOGY	*ژێرزەویزانی
ARITHMETIC	*ژمێرەزانی
MATHEMATICS	بیرکاری زانی
BOTANY	ڕووەك زانی
GEOMETRY	ئەندازیاری زانی
SOCIOLOGY	کۆمەڵزانی
PSYCHOLOGY	دەروونزانی
PHYSIOLOGY	کارئەندامزانی
COSMOLOGY	گەردوون زانی
ECONOMICS	ئابووری زانی
POLITICS	ڕامیاری زانی
PHYSICS	سروشت زانی
CHEMISTRY	*کەرەستەپێکهاتزانی
BIOLOGY	گیاندارزانی ، ژێواری
BACTERIOLOGY	*خۆرەزانی
STSTISTICS	ئامارزانی
ACCOUNTANCY	ژمێریاری
AUDITING	وردیاری
ANTHROPOLOGY	مرۆڤزانی
PHILOSOPHY	*دانایی زانی
ONTOLOGY	*بوونزانی
EPISTEMOLOGY	*زانیاری زانی
AXIOLOGY	*بەهازانی
IDEOLOGY	بیرویاوەڕ
MATERIALISM	*کەرەستەیێتی
IDEALISM	*نموونەیێتی
METAPHYSICS	*چیێتی پاش سروشت
CRITICISM	ڕەخنەکاری

*پێشتری	APRIORISM
گری	HYPOTHESIS
ئەندێشە	UTOPIA
*هەڵهێنانێتی	INTUITIONISM
*گومانکارێتی	SCEPTICISM
*بوونێتی	EXISTENTIALISM
*کارەکێتی	PRAGMATISM
*داکەوتێتی	REALISM
*تاقیکارێتی	EMPIRICISM
*ژیرێتی	RATIONALISM
*بیرسازانی	LOGIC
گەوهەر	ESSENCE
دیاردە	PHENOMENUM

و فئات أخرى من التسميات اليونانية و اللاتينية.

أما اللغة الفارسية فرغم كون الفرس أصحاب حضارة و ثقافة قديمة بعكس الأتراك اللذين يفتقرون لتلك الأرضية ، رغم ذلك فان اللغة الفارسية إملاءاً و قواعداً و صفاءاً و بنية لها نواقص و شواذ كثيرة لا يحسد عليها أتركها لكاتب كردى متخصص في اللغة الفارسية ، لعله يكتب مقارنة مستفيضة بين لغتنا الكردية الخالصة و المتطورة و تلك اللغة الجارة.

في الختام يمكنني القول و بكل فخر و اطمئنان بأن اللغة الكردية من كل الوجوه أنقى و أكثر تطوراً من اللغات السالفة الذكر وأخريات.. أكتفي بهذا القدر حيث لا يسع المجال لمقال ملخص مركز كهذا للأطالة.

إن النماذج و الأدلة السالفة الذكر ما هي إلا غيض من فيض .. ليعلم من لا علم له بأن لغتنا الكردية لغة راقية رقيقة متطورة .. لغة صلدة كجبال كردستان الشماء .. حبي و تقديري لكل من خدم لغتنا الموسيقية الرقيقة و المرنة .. يحق لنا الأعتزاز بوطننا كردستان و أمتنا الكردية النجيبة و لغتنا الأصيلة التي هي من عوامل بقاءنا و وجودنا كأمة!!

* الكلمات التي بجانبها علامة (*) هي من وضع الكاتب.

المصادر

١- د. علي الوردي اسطورة الادب الرفيع .

٢- رفائيل نخلة اليسوعي غرائب اللغة العربية.

٣- رفائيل نخله اليسوعي أربعة آلاف كلمة عرباوية.

٤- WEBSTER DICTIONARY

٥- فوئادى تاهير صادق هۆشياريى زمانەوانى لاپەرە ٢٥ ــ ٣٧

محمد حمه باقي
ترجمة/ ابو تابان

الكـرد في الوثائق القاجارية

اعارتا بابان وأردلان- التعاون بينهما، من اجل محاولة قضاء احداهما على الأخرى

عـام/ ١٨٣٤م وبعـد أن أبعـد محمـود باشـا الى استنبول و وضع تحت الأقامة الجبرية، فان اخـاه سبحان باشا هو الذي تولى ادارة الامارة البابانية.

يبدو ان الموت المتعاقب لفتحعلي باشا وابنه عباس على مرزا قد خفف الى حد ما من تدخل الدولة الايرانية لفترة عدة سنوات في الامور الداخلية للأمارة البابانية وبهذه المناسبة فان الاقتتال والعداوة بين اعضاء الأسرة البابانية قد تخفف ايضا.. ولذلك نرى انه وفي السنوات القليلة التي كان سبحان باشا فيها حاكما للأمارة فان الشؤون الاجتماعية والأقتصادية والثقافية بشكل عام والشعر الكردي بشكل خاص قد تطور وكان الشعراء امثال "نالي) في هذا العهد كانوا قريبين من سبحان باشا، وراضين عنه حيث نرى انه وبعد تلك السنوات القليلة التي كان سبحان باشا حاكما للأمارة البابانية، "توفي عام ١٨٣٨ وخلفه ابنه احمد باشا"، فان نالي قد نظم قصيدة وصف جميلة في مدحهما فبالإضافة الى تحديد عام وفاة سبحان باشا وخلافة ابنه احمد باشا عام ١٨٣٨ حسب الحساب الابجدي فأنه يرثي سبحان باشا ويتأسف لموته ويمتدح احمد باشا وفيما يلي ابيات من بدايات تلك القصيدة:

الى ان دارت الأفلاك دورتها وغابت فأن الكواكب،
لم تظهر لكوكبة المحبة المباركة طلعتها
الى أن بكت السماء وشمل الغيم البلاد كلها
لم تجمل الورد الحدائق ولم تكن شفة البراعم هكذا
ولم يصبح الفرع الجديد عاليا ومرتفعا
والى ان أصبح السلمانيون على صدر عرش الآخرة،
لم يكن احمد المختار لنا ملكا على كرسى الحكم

وبعد ان تسلم احمد باشا مهام منصبه ابتدأ فورا محاولاته الحثيثة من اجل تعمير المنطقة واستتاب الأمن و بناء الجوامع وتنظيم الجيش البابانى وتدريبه وفق احدث النظم وشكل منه أربع فرق ذات الف رجل

وحدد لهم الرتب العسكرية وها هو نالي مرة اخرى يكتب مديحا لهذا الجيش ويقول:

هذه الفئة الممتازة والتي هي من خواص الشاه،

تعتبر نبض قلب المملكة وقلب الجيش

عندما يقفون صفا صفا فانهم يبدون امام الأنظار كحظ الشعاع وعندما يعقدون حلقاتهم فانهم يبدون كهالة القمر [1]

ولقد أصبحت تلك الفترة القصيرة التي حاول فيها احمد باشا بعث و انعاش الأمارة البابانية من جديد محط انظار البلاط القاجاري والعثماني وموضوع خوفهما ولهذا فانهما سرعان مافكرا في احياء العداء القديم بين اعضاء الأسرة البابانية فكر على رضا– والي بغداد– في إعادة محمود باشا عم احمد باشا من منفاه في تركيا فأعيد الى السليمانية عام / ١٨٤٠ ونصب حاكما على الأمارة البابانية و سحب احمد باشا الى بغداد. وبعد اقل من عام ابعد محمود باشا واعيد احمد باشا الى منصبه.

غضب محمود باشا من ذلك والتجا الى ايران لدى رضا قوليخان والي اردلان (بداية عام ١٢٥٧ه أوائل مارت/ ١٨٤١) وكان البلاط القاجاري يكن عداءا شديدا لأحمد باشا حيث انه ونتيجة لأتفاقية ارضروم الأولى كان من المفروض تحديد حدود المملكتين القاجارية والعثمانية من جديد ولقد شكلت لهذا الغرض لجنة رباعية من : ايران –تركيا – روسيا – انجلترا– لتحديد الحدود بينهما واستغلت الدولتان القاجارية العثمانية هذه الفرصة لخلق المشاكل لحدودهما فبدأ كل من جانبه الضغط على سكان الحدود لكي يحسبوا أنفسهم من رعاياه ولكن احمد باشا حاول بكل جدية لكي يحسب سكان امارته أنفسهم مواطنين عثمانيين مما أبغض المسؤولين الايرانيين فبدأوا باحداث المشاكل فكانوا يشنون الاكثر من مرة هجمات على المنطقة البابانية ويعودون الى منطقة هورامان وكان احمد باشا يتصدى لهم ويحملهم الخسائر الفادحة.

وكان الايرانيون يحتجون لدى البلاط العثماني على تصرفاته ويطالبونه بابعاد احمد باشا من الامارة.

وكان البلاط العثماني من جانبه ايضا يبحث عن زريعة لكي يقضي نهائيا على الامارة البابانية ويبيدها من الأساس ولهذا فانه استغل الاحتجاجات الايرانية بان احمد باشا هاجم منطقة ليست تابعة له واستدعوه في مارت ١٨٤١م الى بغداد و وضعوا اخاه عبد الله بيگ محله للاشراف على الأمارة البابانية.

عندما ابعد محمود باشا بداية عام ١٢٥٧ ه ١٨٤١م والتجأ الى ايران عند والي اردلان "رضا قوليخان" [2] والذي أطلع البلاط القاجاري محمد شاه – ١٨٣٨– ١٨٤٧م على لجوء محمود باشا الى ايران فاستغل البلاط القاجاري ذلك لتجديد الصراع داخل الأسرة البابانية وامروا رضا قوليخان ان يساعد محمود باشا على العودة وتعيينه حاكما على بابان محل احمد باشا من جديد ومعلوم ان اعادة تعيين محمود باشا في السليمانية تحتاج الى الاقتتال بينه وبين جيش الأمارة البابانية وقد سبب هذا الاقتتال الذى جرى البحث عنه في هذه الوثائق في النهاية في القضاء المباشر وغير المباشر على الأمارتين الأردلانية والبابانية والحرب المصيرية وحل الكثير من المشاكل القديمة بين الدولتين القاجارية والعثمانية بصورة مؤقتة وفي الوقت نفسه تمهيدا للاتفاقيات التالية بين الدولتين...

ولهذا نرى اغلب مؤرخي الأمارة الأردلانية تحدثوا بكل دقة وأهمية عن المقدمات لهذه الحوادث. ولكي نطلع اكثر على مضامين هذه الوثائق المتعلقة بهذه الحوادث فأنه نرى انه من المناسب ان ننقل هنا بعضا من تلك الأنباء من تلك النصوص التأريخية وهذه ملخصها:

"التجأ محمود باشا في شهر سفر عام ١٢٥٧ ه حزيران ١٨٤١ مع ألفي أسرة الى والي اردلان رضا قوليخان وقد رحب رضا قوليخان ورؤساء اردلان به كثيرا وبهدف تحرير منطقة بابان وطلب المساعدة من شاه قاجار ذهبوا الى طهران فرحب بهم محمود شاه،

شاه قاجار كثيرا وأيد عودة محمود باشا واصدر اوامره الى الجيش الأردلاني للمشاركة في احتلال السليمانية واعادة محمود باشا اليها .

ولكن وفي هذه الزيارة الى طهران وبسبب تدخلات نسوة البلاط القاجاري، فقد توترت العلاقات بين الوالي رضا قوليخان وأمه (حسن جهان) وأخيه "غلام شاخان" وبهذه المناسبة فقد عادت حسن جهان من طهران منزعجة وكان السبب في ذلك: أن رضا قوليخان كان في ذلك الوقت شابا قليل التجربة وكان عمره بين ١٧–١٨ سنة فكانت أمه تخاف من عواقب عمله الكبير هذا وأنه يتسبب في القضاء على إمارتهم.

وعندما عاد رضا قوليخان من سفرته هذه و وصل إلى سنندج اصدر اوامره بتجميع القوات و في فترة قصيرة استطاع جمع حوالي عشرة ألاف خيال مع كافة المعدات الحربية واجتمعوا في منطقة مريوان وانضم إليهم محمود باشا مع القوات التي كانت معه.

في هذه الأثناء كانت العلاقات بين الوالي وبعض من وزرائه والأهالي متوترة بشكل خفي وكانت هذه الجماعة والتي تتزعمها "ميرزا هدايت الله رئيس الوزراء ترغب في اندحار الوالي ويرجع السبب في وجود هذا الخلاف أنه وأثناء تواجدهم في طهران فقد اقسم الوالي بحضور عدد من مناوئي مرزا هدايت الله وأبنه مرزا جعفر– أمين الدولة انه وبمجرد عودته من طهران يأمر بقتل الأثنين مما أثار مخاوف مرزا هدايت الله من انتصار الوالي في الحرب حيث كان يعتقد انه لوعاد منتصرا من تلك المعركة فانه يقتله وابنه معا ولهذا وبهدف إلحاق الهزيمة بالوالي بدأ بالتآمر لإيجاد الفرقة بين جيش الوالي فنظم الجيش بحيث يتوجه محمود باشا وأمان الله بگ الوكيل وعدد كبير من الجيش الى السليمانية ويبقى عدد قليل من الجيش مع الوالي في مريوان وفي الوقت نفسه أخبر عبد الله بگ والي السليمانية سرا بأنه لم يبق مع الوالي من الأبطال من يستطيع الدفاع عنه أمام هجمة عبد الله بگ إذا قام بها.

عبد الله باشا والذي كان يخاف من هجوم الجيش الأردلاني ومحمود باشا لم يكن ينتظر بشرى من هذا النوع ولهذا فقد بدأ فورا بالتحرك على رأس الف من المشاة والسفن من الخيالة وأربعة مدافع و وصل الى حدود مريوان بوقت قصير وعلى حين غرة عندما كان جيش الوالي يستريح وفي الساعة الثانية من يوم الأربعاء ١٤/ ربيع الأول عام/١٢٥٧الهجري، ١٨٤١/٥/٦م وصل الى مكان قريب من الجيش ودوت اصوات المدافع...

"مرزا هدايت الله" والذي كان قد اخبر أعوانه وطلائع الجيش قبل يوم وليلة انه اذا سمعوا اصوات طبول الحرب من داخل جيش عبد الله باشا ان يفروا ويعودوا والي الى داخل معسكرات الجيش ولكن ورغم هذا فان كثيرا من الأبطال من جيش الوالي وهم في وقت الراحة بدأوا بالمنازلة البطولية ولكن وحيث ان جيش الوالي قد أصابه الضعف منذ البداية لم يتمكنوا من الصمود كثيرا اضافة الى تفشي الخيانة بين صفوفهم فبدأ اعوان الوزير وأقرباؤه بالفرار دون انتظار.

وعندما اطلع الوالي على الحدث، أراد ان يتخلص من مكيدة الزير فأوصى قوباد بگ مع عبدالحميد سلطان البانهيى ومعهما ألف من قناصي بانه وسقز وهورامان بالاستيلاء على المضيق (دربندى) وتوجه بنفسه مع ماتبقى من جيشه نحو ميدان المعركة ولكنه لم يستطع الصمود ففر من الميدان.

ميرزا هيدايت الله وقبل أن يصل عبد الحميد الى الموقع المحدد اخبره سرا بأن دخول الحرب والتضحية في سبيل الوالي نوع من التجنن ومن جهة اخرى شجع الوالي على الفرار.

وبأختصار فقد قتل طلائع الجيش قاطبة وهاجم الجيش البابانى معسكر الوالي وقتل العديد في هذا الهجوم ايضا وبعد ان نهبوا المعسكر فقد طاردوا جيش الوالي ستة فراسخ وقتلوا كل من وجدوه ونزل عبد الله باشا في مقر الوالي ولقد غنم البابان في هذه المعركة مئة الف تومان وعادوا منتصرين..

ومن جهة أخرى فان محمود باشا والوكيل أمان الله بگ وقوتهما الذين كانوا قد تواجهوا صوب السليمانية فقد تمكنوا من الدخول الى السليمانية دون قتال أو مواجهة وبقوا لعدة أيام ولكن وعندما سمعوا أنباء اندحاء الوالي وجيشه فقد انسحبوا من المدينة انسحابا غير منظم وعادوا صوب مريوان وبالقرب من حلبجة واجهوا طلائع القوات المنتصرة لعبد الله باشا ورغم أن عبد الله باشا قد دعا محمود باشا للمنازلة الا ان الأخير أبعد نفسه عن طريقه واختار طرقا وعرة اخرى وتوجه مع قوته وقوات الوكيل أمان الله صوب مريوان ومن هناك الى سنندج ."[٢١١]

وبعد مرور عدة أيام على الحادث وصلت أنباء هذا الإندحار الى اسماع محمد شاه القاجار فقام بمعاقبة الكثير من رؤساء الجيش والادارات الأردلانية بان اخذ منهم ضريبة (اللوم) وادخلهم السجون واعدم البعض منهم واضطربت ألأوضاع داخل الأمارة مما اضطر رضا قوليخان على التوجه نحو طهران وقد وجه اليه اللوم هناك وعزل من الأمارة وبعد الكثير من الاضطرابات والقلاقل والمشاكل داخل أسرة اردلان عين "غولام شاخان- امان الله خان الصغير" الأخ الأصغر لرضا قوليخان واليا على الأمارة الاردلانية واخيرا فكر محمد شاه القاجاري ان يقضى نهائيا على الأسرة الأردلانية وأن يختار اشخاصا من خارج هذه الأسرة لحكم كردستان فعين "خسروخان الأرمني) حاكما على الأمارة الأردلانية وبعد فترة اوكلت مهمة الأشراف على أمور الأمارة الى (فرهاد مرزا) عم ناصر الدين شاه وفي الوقت نفسه الابن الثالث عشر لعباس مرزا ١٨٦٧-١٨٦٨ وانهى الى الأبد سلطة الأمارة الأردلانية..

لم يكن هذا الاندحارا لوالي اردلان فحسب بل وكان اندحارا لمحمود باشا البابانى والأمارة البابانية ايضا حيث انه وبعد هذه المعركة فان نجيب باشا والي بغداد والذي كان قد احتفظ بأحمد باشا البابانى تحت الاقامة الجبرية لديه، وافق على عودته الى كردستان و وضع كويسنجق وحرير ايضا تحت سيطرته ولقد بقى في منصبه هذا لحين توقيع اتفاقية ارضروم الثانية.. وحيث ان المشاكل الحدودية بين الدولتين القاجارية والعثمانية في اتفاقية أرضروم الأولى لم تكن قد حلت جذريا فأنها وفي عام ١٨٤٧ وبوساطة كل من روسيا وانجلترا، تم التوصل الى اتفاقية أرضروم الثانية وقد اكد الجانبان في هذه الأتفاقية على البنود المهمة في الأتفاقية الأولى والتي تبحث عن مسألة كردستان وقد خصصت المادة الثانية من هذه الأتفاقية لهذا الغرض..

ومن أجل أن يتخلص الجانبان نهائيا من مشاكل الأمارة البابانية، فأن نجيب باشا والي بغداد نظم جيشا من ثلاثة الآف لمحاربة احمد باشا وعسكر بالقرب من كويسنجق.

اعد احمد باشا من جانبه ايضا قواته واستعد للتصدى له وذهب الى كويسنجق وعسكر لمواجهة قوات نجيب باشا.

ولكن كانت النتيجة أن قوات احمد باشا ودون أن تدخل الحرب وبسبب الرياح الشديدة والأمطار الغزيرة اصابت الأضطرابات صفوفها وبدأت باطلاق النار دون سبب ورغم أن احمد باشا قد بذل جهودا مضنية معهم لا يقاف اطلاق النار الا ان محاولاته تلك باءت بالفشل فتفرق الجيش ايادي سبأ واضطر احمد باشا رغما عنه بالعودة الى السليمانية يائساً من امره ولم يتمكن من جمع قواته مرة اخرى.

أرسل نجيب باشا قوة من الفي رجل بقيادة عبد الله باشا أخي احمد باشا "كان عبد الله باشا انذاك يعادي اخاه احمد باشا ويتعاون مع نجيب باشا" الى السليمانية لمحاربة أحمد باشا وعندما سمع الاخير بذلك جمع اعوانه واقربائه وفر نحو مريوان ومن هناك الى والي اردلان وعين عبد الله باشا قائمقاما في السليمانية.. وهكذا انتهت الأمارة البابانية الى الأبد ايضا.

ولقد اثرت هذه الحوادث في كثير من الشعراء الكرد في ذلك العهد ويظهر ذلك بجلاء في قصائدهم ومن المؤسف انه لحد الأن لم تجر الإشارة إليها من قبل الباحثين في تأريخ الأدب الكردي ..

وكمثل على ذلك: فان الشاعر الكبير سالم "١٨٠٠-١٨٨٦م" في قصيدة طويلة نظمها للترحيب بعودة عبد الله باشا الذي ورد إسمه في هذه الوثائق، يشير فيها الى الباشا المذكور وبعد أن بقي في استنبول فترة تحت الأقامة الجبرية عاد الى السليمانية واصبح حاكما فيها وضمن هذه القصيدة فانه يفتح "البوم" عبد الله باشا الماضي ويذكر بهذه الوثائق ويقول:

يحتمل ان تصبح "كاران"[٤] حدوداً لمملكة سنندج
حيث عاد الضارب بالرمح في سهل مريوان مرة اخرى
ليقلل الوالي[٥] من الكر والفر مع فوج من الهورامين
(جيش كەرێ)[٦]

اذ قد عاد ظهير جيش الوندان والجاف

وان الشاعر المعروف الشيخ رضا الطالباني (١٨٢٨-١٩٠٩م) يتذكر في قصيدة له استقلال البابان والسليمانية ويشير بايجاز جميل الى هذه الحادثة التي وردت في هذه الوثائق حتى انه يعين تأريخ الحادثة كعلاقة لسنة تولده ويقول:

أتذكر عندما كانت السليمانية دار ملك البابانيين
لم يكن محكوما من قبل العجم ولا عبدا لأل عثمان

الى ان يقول:

عندما دحر عبد الله باشا جيش والي سنندج،
كان "رضا" انذاك بعمر خمس اوست سنوات وكان
طفلا في الكتاتيب .

ولقد نظم شاعر اخر من سنندج هو حسين قوليخان ابن امان الله خان الأردلان عم رضا قوليخان الوالي قصيدة من أحد عشر بيتاً:

وهذا هو نص تلك الوثائق المتصلة بهذه الحادثة:

الوثيقة المرقمة: ٩٠.

الموضوع: مشاكل الحدود

التأريخ: ٢٥/جمادي الاخر ١٢٥٨هـ ١٨٤٢/٧/١٤م

المصدر: أسناد ومكاتبات تأريخ ايران القاجارية

المجلد: الثاني

ص: ١٨٤-١٨٦

رسالة عبد الله باشا متصرف السليمانية الى خليل كامل باشا. والي أرضروم

سندي وأملي:

قبلا كنت اخبرت الأعتاب النيرة ان لجناب الباشا والي سنندج ومحمود باشا قد أظهرا أطماعهما في حدود منطقة شهرزور والاعتداء على تلك المناطق وتفاصيل الموضوع كالأتي:

توجه رضا قوليخان والي سنندج بهدف اعادة محمود باشا الى السليمانية حاكما، من سنندج وعلى جيش كبير صوب حدود شهرزور وبدا باثارة القلاقل والاضطرابات في كل مكان وخاصة في جهة (كولعنبر) والتي كانت مركز حكام شهرزور فارسلوا اليها جيش هورامان واحتلوا كولعنبر وحلبجة ومن جهة اخرى احتلوا منطقتي قزلجة وتره تول واللتان تعدان من ابرز وأعلى مناطق شهرزور ثم احتلوا سيويل وألن ايضا ونصبوا هناك حكاما من قبلهم لادارة تلك المناطق..

وعندما وصل الأمر الى هذا الحد داسوا بأقدام الأملاك الشاهنشاهية ان خادمكم هذا ودفاعا عن الحدود اضطر ان يتوجه من السليمانية نحو شهرزور وارسلت حسين اغا اندروني والحاج محمد اغا (ميرا خورى) سابقا مبحوثين من قبلي الى الوالي المذكور واخبرته بان تلك الأعمال والتصرفات التي يمارسونها داخل الأراضي تتعارض تماما مع كافة المواثيق والمعاهدات المبرمة بين البلدين والدولتين واذا كانوا يمتلكون حجة او سببا لأعمالهم هذه فليبرزوها لكي نفعل نحن من جانبنا على البحث والحوار لحلها والا فعليهم التخلي عن عملهم هذا والانسحاب فورا من المناطق التي احتلوها والعودة الى مواقعهم ولكن الوالي المذكور لم يستمع الى صوت الحق واغتر بكثرة جيوشه

وكانوا يعتقدون اننا نخاف من سطوتهم وكثرة اعداد جيوشهم ولهذا فقد تقدموا فرسخين آخرين الى أن وصلوا الى حدود بنجوين والتي تعد من احدى مناطق شهرزور وعسكروا هناك ولم يكن يعرف الوالي ان هذا العبد يخاف من المسؤولية أمام الباشا وغضب الخالق عز وجل فقط ولا يخاف من كثرتهم ولهذا فقد قمت بالتقدم بهدوء وقطعت الفرسخ الواحد بفرسخين أو ثلاثة الى أن وصلنا اول مناطق قزلجه على أمل التخلص من أملاك الباشا والانسحاب منها والعودة ولكن دون جدوى.

في اليوم الذي وصلت فيه الى قزلجة وعندما حل الظلام قام الوالي بارسال الف خيالة بقيادة أمان الله خان حفيد محمود رشيد بگ والذي ينتمي الى احدى الأسر الكردية المعروفة لاعادة تعيين محمود باشا في السليمانية ولقد ارسل مع الباشا المذكور –محمود باشا– (٧٠٠) قناص بقيادة قوباد بگ الفراشباشي عن طريق الجبال الى المضيق والتي تقع خلف مواقع قواتنا ومنطقة وعرة ليقطعوا الطريق علينا حيث يعتبر الطريق الوحيد لتحركاتنا أما هو نفسه والذي اعتقد ان قواتنا قليلة وضعيفة على رأس قوة كبيرة مكونة من ٥–٦ الف خيال وطابور من الجيش هاجموا مواقعنا وكانوا يريدون بعثرة قواتنا وتنفيذ مهمتهم– اعادة تعيين محمود باشا– بسهولة ولهذا فقد فرضوا علينا حربا لم نكن نريدها.. ونحن من جانبنا واعتمادا على الله سبحانه بدأنا بالتصدى لهم والتحم الجيشان قرب مواقعنا وبعد نصف ساعة او ثلاثة ارباع الساعة و وفق الأية الكريم "كم من فئة قليلة غلبت فئة كثيرة بإذن الله"[٧] وبارادة الباري وبركة الرسول الأعظم وانفاسكم العيسوية–ادامهم الله– ورغم قلة أعدادنا وكثرتهم لم يتمكنوا من الصمود امامنا وتركوا ميدان المعركة وفروا نحو مهالك الموات والاندحار...

طاردناهم حوالي نصف ساعة ثم عدنا رغم ان ميدان المعركة كان داخل الأراضي العراقية ولكننا تركنا مطارداتهم وعدنا خوفا من اجتياز الحدود ولقد كنت قد اوصيت جنودي بعدم اجتياز الحدود مهما كانت الظروف..

بقينا تلك الليلة في ساحة المعركة وفي الصباح الباكر وبهدف استعادة السليمانية من يد أمان الله خان ومحمود باشا حركنا عنان الخيول صوب السليمانية...

قبادبك والذي كان قد قطع الطريق علينا، عندما سمع باندحار الوالي فقد فر من موقعه. اما أمان الله خان ومحمود باشا واللذان دخلا السليماتية عندما ابلغا بنبأ عودتنا واندحار الوالي، فقد قاما بنهب وسلب المدينة بما فيها الكسبة والرعية والخدم والمواطنين والقرى القريبة من السليمانية وقتلوا عدة اشخاص دون وجه حق ولقد نقلوا الغنائم بواسطة حيوانات الأهالي الى مواقعهم.

وحسب أوامر الباشا فقد امتنعنا عن استرداد تلك الغنائم ولم نطاردهم اذ كان علينا ان نجتاز الحدود ولم يكن هذا ممكنا دون إذن من الباشا ولهذا فقد تخلينا عن جميع تلك الأموال والممتلكات وقطعان المواشي ولم نطاردهم.

ولقد نهبوا كافة المناطق التي احتلوها في شهرزور وقتلوا عددا من الرجال والنساء ونقلوا معهم ثلاثمائة عائلة الى منطقة "بانه".

وعندما عدت الى السليمانية فقد لاحظت مدى الأضرار التي الحقوها بالمدينة حيث احالوا المدينة الى خراب في خراب وان تلك الأضرار التي الحقها رضا قوليخان من الجسامة بمكان بحيث لا يمكن تصورها والتحدث عنها..

لقد كانت حادثة مؤلمة ومحزنة وان الخسائر تفوق الاحصاء والأمر اليكم....

الوثيقة المرقمة /١٣٢

الموضوع/ الحدود والتجارة

التأريخ: ٤/جمادي الأخر/١٢٥٨هـ

١٨٤٢/٦/١٣م

المصدر: الوثائق السياسية

الإيرانية–العثمانية في العهد القاجاري
المجلد/ الأول
ص: ٥٤٦–٥٥٠
مترجمة من رسالة: كرئل شيل جوابا على وزير خارجية ايران– اصل الرسالة مكتوبة في بريطانيا وصلتني رسالتكم حول الاعتداء الأخير من قبل اكراد السليمانية والذين هم من اتباع الدولة العثمانية على الأردلانيين التابعين للدولة العلية الإيرانية مع رسالتكم الموجهة الى سفير بريطانيا في اسطنبول والتي طلبتم فيها ارسال ترجمة رسالتكم مع ترجمة الرسالة الموجهة لي والتحليل الذي كتبه مرزا هدايت الله الوزير–حول كيفية وقوع الحادثة الى السفير الكبير..

وفي أول فرصة سانحة فانه يجري تنفيذ طلب الدولة العلية الإيرانية وسوف ترسل كافة الرسائل مترجمة الى السيد –لاردشيرون– وزير خارجية بريطانيا.

وطبيعي إنني أرى من الضروري أن أطلعكم على بعض الأمور حول هذا الجانب لابلاغها الى السلطات الإيرانية.

كما يبدو ظاهريا، فان هذه الحادثة قد جرت لها المبادرة من و داخل الأراضي الإيرانية ولم تكن للسلطات العثمانية يد فيها وخاصة في تلك الظروف التي يطالب ممثلهم في المحادثات حول الحدود الإيرانية – العثمانية بوساطة سفير دولة أوربية إذن فأنني لا اعتقد بأن تلك الدولة –أي الدولة العثمانية–تحرض ذاك الأمير– أي والي اردلان على التمرد ولا تصبح ذلك حجة أيضا حيث انه يمكن أن يجري ذلك دون علم الدولة العثمانية.

بأختصار ورغم ان الخسائر هذه المرة اكبر ولكنها في الواقع لا تختلف عما سبق ويعرف جنابكم ذلك وانتم مطلعون على القلاقل بين القبائل الكردية كما إنكم تعرفون ان تلك المنطقة– أي منطقة الأكراد ليست مثل باقي المناطق الأخرى في إيران والروم كما وتعرفون ايضا انه ومنذ وجود القبائل الموكرية والأردلانية والبابانية والبلباس وغيرهم فانهم اعتادوا على نهب وسلب بعضهم بعضا ولم تجر محاسبتهم من قبل اية جهة ولذلك فان السلطات الإيرانية هذه المرة وبسبب الخسائر الكبيرة التي لحقت بهم لم تتمكن من السكوت و واضح ان الجانبين في ظروف مماثلة فانهم يقومون بتضخيم الأمور وتكون النتيجة أسوأ مما ورد في رسالة الوزير–أي مرزا هدايت الله.

وإذا قمنا بتحليل المسألة بدقة فانه يتضح لنا ان محمود باشا الحاكم السابق للسليمانية والذي التجأ الى إيران قد جمع أعوانا له في اردلان وارسلهم الى السليمانية وإذا كان هذا صحيحا فأن حكام أردلان كانوا على علم بتوجهم الى الأراضي الرومية و تفاضوا عنه ولهذا فان على حضرتكم ان يعترف بأنه ليس غريبا أن يبادر حاكم السليمانية أيضا ويبعث ناسا لمهاجمة اردلان..

وكما يقال فان أي شخص آخر كان يفعل الشيء نفسه باستثناء التخريب في المحمرة حيث كان بعلم ورضا باشا بغداد.

ومنذ سنوات عديدة فان حكام الحدود الإيرانية – الروسية يستغلون الفرصة لمهاجمة بعضهم على الأخر وكانت النتيجة خسارة للدولتين وخاصة لإيران – بالإضافة الى انه كان من المفروض ان تسود الوحدة و الوفاق بين الجانبين فأننا نرى بدلا من ذلك الفرقة والتناحر..

وكما يقال فان هذا السلب والنهب قد استمرا منذ تسع سنوات وزادا في عهد سلطة– جيهانگير مرزا – وان للدولة الإيرانية عدة شكاوى من الدولة العثمانية:–

اولا: ماقام به امير رواندز من تخريب في "مرگەوەر".

ثانيا: التخريب في المحمرة والذي الحق خسائر فادحة بالإيرانيين.

ثالثا: ذلك السلب والنهب اللذان حدثا اخيرا– بقصد حوادث الوثائق– وهناك مسائل صغيرة اخرى.

وبالمقابل فان للدولة العثمانية ايضا عدة شكاوي:–

اولا: تقول انه ومنذ مدة طويلة قامت الدولة الإيرانية باحتلال منطقة "زهاو" التابعة للأراضي الرومية ولا

تنوي الانسحاب منها. هذا في الوقت الذي تعترف إيران نفسها بذلك.

ثانيا: ان الدولة الإيرانية تريد تعيين الباشا في السليمانية وهي تابعة للدولة العثمانية وطبيعي انها لا ترضى بذلك ويعتبر هذا في حد ذاته تدخلا في الشؤون الداخلية للدولة الرومية.

ومن جهة اخرى فان الجيش الأذربيجاني ولمساندة المدافع وبأمر من حسين باشا خان قد هاجم السليمانية وسلبوها مرتين..

رغم انه لا يحق لي ان اقرر واقول الحق بجانب أي منهما ولكنني ذكرت ما سبق لتعرفوا ان الجانبين لديهما شكاوي من الجانب الأخر.

و واضح وضوح الشمس في رابعة النهار ان مسألة طلب التعويض ليست في صالح أي من الجانبين واذا أردتم بصدق إنهاء المشاكل فعليكم التغاضي عن بعض المطالب كي تنتهي المشاكل والشكاوي بين الدولتين...

والآن فإنني أرى انه من الأصلح للدولة الإيرانية ان يبعث شخصا الى اسطنبول كي يجري مباحثات مع العثمانيين حول هذه المآسي وطلب التعويض للخسائر التي اصيبت بها أردلان وان تحاولوا انهاء المشاكل نهائيا.

ولكي تتوصلوا الى حل سريع ارى من المصلحة ان تطلب الدولة الإيرانية من دولة أوربية لكي توصى سفيرها في اسطنبول لكى يمهد لحل المسألة بشكل يراعي مصلحة الجانبين.

و واضح ان الشخص الذي تختاره الدولة الإيرانية من المفضل ان يكون بالاضافة الى الذكاء والمرانة أمينا وصادقا حيث لو طالب بتعويض كبير او تحدث بكلمات بعيدة عن الواقع فانه يسبب في عرقلة الحل بل والتذمرمنه ولهذا فإذا ماصدقت الدولة الإيرانية في ادعائاتها وأخذ الانصاف بنظر الأعتبار فأنني متأكد من انتهاء المشاكل بين الجانبين أو على الأقل يتضح للعالم ان الدولة الإيرانية راغبة في حل المسئلة سلميا.

آمل ان تطمئن السلطات الإيرانية بان قصدي من هذة الكلمات هو تنفيذ طلب الدولة البريطانية العلية حيث ترغب في صداقة و وحدة الدولتين الإيرانية– الرومية وليس من اللائق والمقبول ان يوجد التناحر بين دولتين اسلاميتين كبيرتين ولا شك ان الشق بين الدولتين سيكبر اكثر إضافة الى انه لا توجد فيها اية مصلحة لا لإيران ولا للروم بل بالعكس يسبب شماتة الأعداء وعليكم ان تنتظروا اضرارا ومخاوف اكثر.. اما بالنسبة للمشاكل الصغيرة الأخرى كما تحدثتم عنها مثل: ان الدولة الإيرانية قلقة من ان الدولة الرومية تأخذ اكثر من ٤٪ كضريبة على احمال التجار الإيرانيين ولكنني سمعت من جناب (الحاج ميرزا قاسم) نفسه ان رئيس وزراء الدولة الرومية كتب له بأن الدولة الرومية ليس في نيتها ان تأخذ الضريبة اكثر من ٤٠٪ من التجار الإيرانيين..

ومن جهة أخرى وحسب ما صرح به التجار الإيرانيون فانه من المقرر ان تقوم الدولة الرومية بتحديد الضريبة حسب أسعار المواد التجارية وطبيعي ان هناك فرقا بين الأسعار الحالية والأسعار السابقة.

(ما سبب حجز أموال التجارة الإيرانية في ارضروم وكما تحدثم عنه فان السبب هو ان التجار الإيرانيين كانوا يحاولون تهريب بضائعهم سرا ومعلوم لديكم ان بمضا من التجار الإيرانيين ليسوا موضع ثقة. كنت فرحا لو كنت استطعت ان ابلغ الدولة البريطانية بأن الدولة الإيرانية ترغب في حل المشاكل بهدوء وسلميا عند ذلك كنت امل ان تفكر الدولة العثمانية في تعويض عادل للخسائر التي لحقت بايران شريطة ان تكون بعيدة عن الظلم وعدم الانصاف.

الوثيقة المرقمة/٩٣

الموضوع: العلاقات بين ايران والعثماني

التأريخ: ١٧ جمادي الثاني/ ١٢٥٨ هـ

المصدر: الوثائق والمكاتبات التأريخية الإيرانية– القاجار

المجلد: الثاني

ص: ١٩٤–١٩٥
رسالة بكر خان حاكم كويسنجق
الى والي الموصل
ملاذي وملجا الخدم ظل الله في عصره.
كما امرتم بابلاغكم بالأنباء الجديدة الواردة عن بلاد العجم: سنندج. سابلاغ–تبريز فأنني اقدم امتثالا لأوامركم مايلي:–
اولا: قدم شخص من سنندج يقول:
بعد مقدم (تيمور خان الطوبچي پاشى) والتحقيق عن: هل انه جرت الحرب بين البابانيين و والي سنندج داخل حدود العجم او...؟، عاد الى طهران وبعد عودته ولحد الأن لم يظهر شيء جديد قابل للذكر والمدينة (سنندج) خالية تقريبا محمود باشا نفسه موجود في سنندج اما اعوانه واقرباؤه فانهم موجوددون في منطقة (باشماخ) التابعة لسنندج لدى (محمد بك قادر بگ الجاف)[٨]. اما والدة الوالي– بنت فتحملى شاه– وبعد اندحار الوالي تزيد الشكاية من البابانى وكبار رجال سنندج لدى البلاط الشاهنشاهي ولم تعد لحد الأن وكما يبدو فان شكايتها لم تجد نفعا سيدي.
"وفي موضع اخر من هذه الوثيقة يتحدث مرة اخرى عن الأمارة البابانية ويقول:"
يعد "عبدالعزيز اغا بن محمود المصرف"[٩] نفسه للقدوم الى اعتاب حضرتكم مبعوثا من قبل حاكم بابان عبدالله بگ في وقت قريب لتقديم مراسيم العبودته في خدمة ظل الله على الأرض و ولي النعمة والي بغداد (الحاج محمد نجيب باشا..
وكما تأكد لنافان العجم مشغولون بتهيئة أنفسهم وتنظيم صفوفهم من جديد ولكن المؤمل ان شاء الله أن يندموا على ذلك.
والأمرلكم..
الوثيقة المرقمة/ ١٣١
الموضوع: الخلافات بين والي اردلان والسليمانية.
التأريخ: ٢٤/جمادي الثاني/ ١٢٥٨هـ
المصدر: الوثائق السياسية الإيرانية– العثمانية.
المجلد: الأول.
ص: ٥٤٤
رسالة الوزير المفوض الأنجليزي
الى/ وزير الشؤون الخارجية– الحاج مرزا ابو الحسن خان صاحب الفخامة:
قبل يومين وصلتني الرسائل التي كان قد بعثها عبدالله بگ حول المصادقة مع والي اردلان الى احمد باشا وقدبعثها بدوره الى قائد الجيش في ارضروم..
وحسب مضمون تلك الرسائل فقد جناب والي اردلان اراضي السليمانية واندلعت الحرب لهذا السبب وفي نفس الوقت عاد محمود باشا من اردلان الى السليمانية لنهب القرى القريبة منها وعاد صوب اردلان.
كما وردتني صورة رسالتين احداهما تعود لجناب الوالي نفسه كان قد كتبها الى اهالي السليمانية والثانية من قبل اخي الوالي حول اعداد الجيش كتبها الى اعوانه اشير فيها الى استقلال محمود باشا في السليمانية.
رغم انني لست متأكدا من صحة او بطلان ماورد فيها انني وبغية اطلاع حضرتكم ارسل نسخة منها ولا اريد ان ازاحمكم اكثر من ذلك..[١٠]
ولكن الذي يلاحظ حول ما تضمنته الوثائق لهذا المعركة بين عبدالله باشا و والي اردلان هو ذلك الأختلاف البين بين ماتضمنته رسالة عبدالله باشا البابانى وتقييم (كرنل شيل) السفير الانجليزي والقصيدتين لسالم والشيخ رضا الطالباني ومن ثم رواية المؤرخين الأردلان حيث وكما يستنتج من تلك الوثائق فان هناك شعورا بوجود الأختلاف بين الروايتين حول كيفية وقوع الحادثة:–
١–تقول رواية عبدالله باشا بأنه هاجم معسكر والي اردلان في سهل قزلجة داخل الأراضي العثمانية أي المناطق الخاضعة للأمارة البابانية ولكي يسند رأية هذا فأنه لايتحدث عن تفاصيل اندحار جيش الوالي والخسائر التي لحقت بهذه القوات بل بالعكس يتحدث بالتفصيل عن الخسائر الكبيرة التي الحقها جيش الوالي بالسليمانية وشهرزور يقول: ان الخسائر والأضرار التي

لحقت بالسليمانية من قبل رضا قوليخان والي سنندج من الخطورة بمكان بحيث لا يمكن حصرها.."

٢–اما رواية المؤرخين الأردلان وتقييم السفير الأنجليزي والقصيدتين لسالم وشيخ رضا الطالباني فأنها كلها تؤكد ان المعركة جرت على ارض مريوان حتى ان قصيدة سالم بالأضافة الى انها تبحث عن مريوان فأنها تؤكد على ان المعركة كانت في مريوان فقد وردت مايلي:

من المحتمل ان تصبح گاران حدود مملكة سنندج

ومعلوم ان "گاران" تقع بين بحيرة زريبار ومدينة مريوان.

وعندما يتحدث الشيخ رضا عن دحر بحيرة زريبار ومدينة مريوان.

وعندما يقصد بذلك جيش والي اردلان والذي كان مقره في مريوان ولايريد القوتين: قوة محمود باشا وامان الله الوكيل في السليمانية ولهذا فمن الممكن ان نستنتج مايلي هذا الأختلاف:

١–في الكثير من المعارك التي جرت في السنوات السابقة بين امراء البابان انفسهم وعندما ابعد احدهم عن الحكم فانهم ومن اجل استعادة الأمارة قاموا بالأستفادة من قواتهم أو بالتعاون مع القوات العثمانية أو الإيرانية للعودة الى قلعه جوالان او السليمانية ولكنه وفي هذه المرة وبعد ان ابعد محمود باشا فقد تجمع الجيش الأردلاني واستطاع هذا الجيش احتلال اغلب المناطق حوالي السليمانية و وضعوا حكاما لهم عليها وبقيت السليمانية فقط وأعدوا انفسهم لاحتلالها ايضا فكيف يتصور ان يقدم شاب قليل الخبرة مثل عبد الله باشا الأخ الأصغر لأحمد باشا على المغامرة والتصدي لهذا الجيش الكبير لو لم تكن هناك الرسالة السرية التي بعثها مرزا هدايت الله رئيس وزراء الأمارة الأردلانية؟!

٢–عبد الله باشا ولكي يظهر نفسه شجاعا أمام السلطات العثمانية، عليه ان يخفي رسالة مرزا هدايت الله حيث انه من غير المعقول ان يقلل من انتصاره بالقول بأنه احرز انتصاره هذا بسبب تلك الرسالة.

٣–مما لا شك فيه انه وبعد انتهاء الحرب، فان زعماء البلاط القاجاري قد ظهرت لهم الحقيقة عن طريق رجالهم وجواسيسهم (وخاصة نسوة الأسرة الحاكمة في اردلان حيث كن على قرابة مع البلاط) وعرفوا كيف قام عبدالله باشا بهجومه[11] ولكنهم توصلوا الى قرار لانهاء الأمارة الأردلانية ولذلك لم يهتموا بخيانة مرزا هدايت الله ولم يقبلوا أي غدر من رضا قوليخان ولم يعفوا عنه.

٤–وكما توضحت لدى البلاط القاجاري حقيقة هجوم عبدالله باشا، فانه يظهر ان، السلطات العثمانية ايضا قد استيقظت وقررت انهاء الأمارة البابانية.. ولهذا فان الدولتين القاجارية والعثمانية بواسطة سفراء بريطانيا وروسيا قد جعلتا من تلك الحوادث حجة للقضاء نهائيا على الإمارتين الكرديتين وجعل تلك الأحداث ومواقفهما تجاهما ممهدة لاتفاقية ارضروم الثانية (١٨٤٧)م.

---

[1]–ولقد كتب الشاعر الشيخ رضا الطالباني ايضا مدح أحمد باشا ويقول:

اقصد من هواسمه مثل اسم النبي حضرة احمد باشا
فخرالدين معدن الحياة بحر الكرم جبل الوقار
لا ادري ماذا امدح فيه: احسانه أم عمله أم فضله
اقسم بالله ان اوصافه المجيدة خارجة عن العد
ان كفه المانح للذهب والذي هو منبع الدر والجواهر
يشبه بحرا لا ساحل له ولا شاطيء.

وهذا دليل على ان شعراء ذلك العصر كانوا راضين من احمد باشا وقريبين منه ولهذا وبعد انتهاء حكم الأمارة البابانية فان خبيرا في الشؤون الكردية مثل: (ئا خۆ. دزكو) عام/ ١٨٥٣م وعندما أراد جمع المعلومات حول اللغة الكردية وثقافتها اشار اليه خبراء ذلك العهد بالذهاب الى احمد باشا والذي كان في ذلك الوقت يعيش في باريس ولكن احمد باشا يوصيه بالذهاب الى (نالي) الشاعر والذي كان يعيش انذاك في الشام.

[2]–رضا قوليخان: هو الإبن الأكبر لخسروخان ابن امان الله خان زعيم اردلان عند ماتوفي خسروخان عام ١٨٣٤م ترك ابنين هما: رضا قوليخان وغلامشا خان وكان عمر رضا عند وفاة والده

عشر سنوات مضين محل والده واليا على الأمارة الأردلانية ونظرا لصغر سنه فان امه (حسن جيهان) ادارت شؤون الأمارة وكانت هذه المرأة بنت فتحملي شاه القاجاري وكانت (طوبا هانم) زوجة رضا قوليخان بنت عباس ميرزا واخت محمد شاه.

[٣]–لقد استفدنا في كتابة هذا المجز من المصادر التالية:

–مستوره: تأريخ اردلان ص ٢١٠–٢٢٣.

–عبدالقادر رستم البابـاني– تـاريخ وجغرافية كردستان(سير الأكراد) ص١٥٦–١٥٩

–على اكبر وقائع نگار كردستانى: حديقة ناصرية في تاريخ وجغرافية كردستان ص١٨١–١٨٣.

–ميرزا شكراله سنندجي: تحفةيى ناصرى وتأريخ وجوغرافياى كردستان ص٢١٨–٢٢٣.

ملاحظة لقد جرى بحث هذه المعركة في عدة مصادر تأريخية مثل: تأريخ الكر وكردستان– اية الله مردوخ، وحديقة أمان الله، وتأريخ إيران سايكس.. انح.

[٤](١)گاران: اسم جبال و وديان المنطقة تقع بين بحيرة زريبار ومريوان التي تقع شرقي بحيرة زريبار ولا يقصد كاران كما شرحها الدكتور كمال فؤاد على هامش هذه القصيدة وكتب كاران بدل گاران حيث ان سالم هنا يتحدث عن توسيع حدود البابانين انظر مجلة نووسةرى كورد العدد/٢ص٥٠.

(٢) مريوان: يقصد موقع المعركة.

٣–الوالي: يقصد به والي اردلان– رضا قوليخان.

٤–چش كەرۆ: عبارة هورامية بمعنى ماذا أفعل؟

ولكن سالم هنا استعملها كسخرية ويذكر بحادثة تأريخية وقعت ايام تيمور لنگ يقال:

(عندما حاصر تيمور مدينة أربيل فان احد الشيوخ من اربيل نشر الخوف والرعب داخل جيش تيمور مما سبب في تفرق الجيش وعندما شاهد تيمور ذلك صاح بالفارسية:

(چ كنم) أي ماذا أفعل". انظر رحلة ريچ الى كردستان ص٣٤٣.

تستعمل هذه العبارة كمثل للخوف والجبن يقصد الشاعر هنا السخرية من جيش الوالي والذي كان الهورراميون يشكلون القسم الأكبر منه وكأنهم عندما شاهدوا بطولات جيش عبدالله باشا فروا من ميدان المعركة وصاحوا (چيش كەرۆ) باللهجة الهورامية أي ماذا تفعل؟.

[٥]– لايوجد هذا البيت في النسخ المطبوعة من ديوان سالم نشر لأول مرة مجلة "چريكەى كوردستان–لندن) ثم في العدد /٢ من مجلة (نووسەرى كوردستان تشرين الثاني

[٦] سورة بقرة الأية: ٢٤٩

[٧] يقصد به "محمد بگ قادر بگ كيسخرو بگ الجاف والذي كان مساندا قويا للأمارة البابانية.

[٨] عبدالعزيز اغا المصرف: هو نفس الشخص الذي ذكره الشاعر سالم مثل بطل مدافع في الحرب بين الجيش البابـاني والجيش العثماني أما محمود مصرف والده فقد كان في عهد اورحمان باشا ومن بعده محمود باشا رئيسا للوزراء..

[٨٨] ماعدا هذه الوثائق فان الوثائق التالية ورد فيها بعض الأنباء غير المباشرة حول هذه الحادثة:

أ–رسالة محمد خان القائم بالأعمال الإيرانية في اسطنبول الى مرزا ابو الحسن خان وزير الشؤون الخارجية الإيرانية

الموضوع: السليمانية وتأهب العثمانيين للحرب.

التأريخ: ٧جمادي الأخر ١٢٥٨ الهجري ١٨٤٢م

المصدر الوثائق والمكاتبات التأريخية الإيرانية (قاجار) المجلد الأول ص١٨٩–١٩٣

الوثيقة المرقمة/ ٩١.

ب/ رسالة مرزا ثاقسمي الى صارم افندي السفير العثماني.الموضوع: الشكوى من الأمارة البابانية لاعتدائها على الأراضي الإيرانية

التأريخ: ١٢٥٨ الهجري– ١٨٤٢م.

المصدر: الوثائق والمطابات التأريخية (ايران) قاجارية. المجلد الثاني ص١٩٧–١٩٨

الوثيقة المرقمة/ ٩٥.

[٩]

[١٠]

[١١]–علينا ان نتذكر العلاقات الوطيدة والقوية بين مرزا هدايت وحسن جهان ام رضا قوليخان.

تكريم الكاتب الكردي إبراهيم يونسي في طهران

في الساعة ٤-٧ من ظهر يوم الخميس ١٣٨٠/٦/١٥ نظمت في طهران- قاعة المتحف الوطني-مراسيم خاصة بتكريم الكاتب الكردي ابراهيم يونسي من قبل مكتب مجلس الأكراد المقيمين في طهران. استهلها الدكتور عبد الله ابريشمي رئيس المجلس بكلمة سلط فيها الضوء على الأهداف المتوخاة من تشكيل مجلس الاكراد المقيمين في المركز-طهران- وعرج على دور الكاتب الكردي ابراهيم يونسي الذي قدم معظم خدماته الجليلة باللغة الفارسية وترجم العديد من الكتب الخاصة بحياة وعادات وثورات المجتمع الكردي. وأشار الى ان المجلس منظمة حرة مستقلة غير تابعة للدولة ليست سياسية لا تجني الربح بل يكمن همها الوحيد في تقديم العون الى الأكراد ورفع كافة المشاكل الثقافية والاجتماعية عنهم وتوطيد العلاقات فيما بينهم والسعي لايجاد العلاقات الودية مع غير الكرد، وقال ان الكرد يكنون الحب والاحترام لكاتب اجنبي مثل جاناتان رندل والكاتب التركي اسماعيل بيشكچى اللذين عانا المشقة بسبب دفاعهما عن الكرد والثقافة الكردية، نتمنى ان تكثر امثالهما في ايران.

بعد ذلك القى كل من الأساتذة محمد رؤوف توكلي ومحمد علي سلطاني كلمتين بالمناسبة تناولا فيهما حياة ابراهيم يونسي وجهوده الريادية في حركة الترجمة في ايران وقدم الروائي والقاص الكردي الايراني على اشرف درويشيان (كتب قصصه باللغة الفارسية) مقالا اشار فيه الى الجهود الثقافية التي بذلها ابراهيم يونسي لتنوير الفكر في ايران خصوصا في وسط الشباب الكرد، انه مثال مشرق لمن لا تثبط المشقات والمحن وسياسة الاضطهاد من همته.

كان المقال الخامس في مراسيم هذا التكريم للروائي الفارسي الشهير محمود دولت آبادي الذي نال عدة جوائز عالمية. وقال ان للاستاذ ابراهيم يونسي دوره المتميز في توضيح أهمية القراءة للشباب وخصوصا جذبهم نحو عالم الرواية وقراءتها ثم أشار الى صداقته الأدبية القديمة والصادقة مع يونسي وقال ان الاستاذ لايحتاج الى التعريف لأن المعرّف أشهر من المعرَّف به. بعدئذ جاء دور الكاتب ابراهيم يونسي ليشكر الحضور خصوصاالمثقفين والكتاب الأكراد القادمين من خارج طهران، وقال انني لا اريد شيئا من أحد اشكركم جميعا، ما فعلته كان من أجل الوطن.

وفي ختام المراسيم قدمت إليه جوائز وأوسمة من قبل مجلس أكراد المركز كتبت عليها باللغة الكردية كلمات الشكر والتقدير، كما أهداه صادق وزيري وساما خاصا وقرئت رسائل وصلت عن طريق الفاكس من مجلس مدينة مهاباد وثلاثين شخصا من جامعة ابسالان-السويد-والبروفيسور ولن أينار وعشرات المجلات والجرائد والشخصيات.

مشروع (٦٠ كتابا) حول البنى الفكرية للديمقراطية

بغية تقديم خدمات جليلة للديمقراطية وكافة المفاهيم والاسس الفلسفية والفكرية والنظرية المرتبطة بها، قدم مكتب المنظمات الديمقراطية ورقة مشروع خاص بطبع ترجمة ستين كتابا الى اللغة الكردية. وحدد المكتب محاور المشروع على النحو الآتي: ١- الديمقراطية، ٢-العلمانية، ٣-العقلانية، ٤-المدنية، ٥-التنوير، ٦-الحرية.

من الجدير بالذكر ان نسخ كل كتاب مطبوع لاتقل عن (٧٥٠)نسخة ويكافأ المترجم ماديا وبين ٠ بـ(١٠٪) من نسخ كتابه المطبوع.

يفضل المكتب اللغة الاصلية على اللغة الثانية المنقول منها كتاب المشروع.

واعلن المكتب ان بامكان الكتاب والأدباء والمترجمين المقيمين في الخارج والراغبين في تزويد المشروع بنتاجاتهم الاتصال بالمكتب في السليمانية على العناوين الأتية:

Fax: 00448701378666

E-mail: sulaimany @ hotmail. Com

القسم الاعلامي والثقافي لمكتب المنظمات الديمقراطية

Tel: (2120505) (2127120)

ان هذا المشروع يعد بحق من المشاريع الهامة لخدمة الثقافة في كردستان بشكل عام والديمقراطية على نحو خاص. لا شك في ان الديمقراطية لها جذور طويلة وعميقة في الثقافة. ان تقريبها الى أذهان الناس كفيل من احد الجوانب بممارستها في الحياة.

ملتقى گوران الشعري

في ١٤/-١٥/١١/٢٠٠١ أقام مركز گلاويژ الأدبي والثقافي في مدينة السليمانية ملتقى للبحوث والدراسات لمناسبة ذكراه.

تتمحور كافة البحوث حول أدب گوران ودوره الريادي في التجديد والتحديث وتحليل نصوص متميزة له. كما يقدم أزي كوران (إبن الشاعر) مجموعة من ذكرياته مع كوران الأب كشاعر وثوري منتقد. من الجدير بالذكر ان بحثا حول أدب كوران قدم كتبه الدكتور حامد مزعل باللغة العربية الذي يدرس حاليا في كلية اللغات-جامعة السليمانية.

كان برنامج الملتقى على الشكل الآتي:

الأربعاء ٢٠٠١/١١/١٤

كلمة المركز كلاويز من قبل استاذ رؤوف عثمان.

(د. عزالدين مصطفى رسول، د. گەلاوێژ ابراهيم، د. حامد الراوي)

الخميس ٠١/١١/١٢/١١/١٥(محمد الملا كريم، سلام فرج، عبد الله زنكنة، ازى كوران)في قاعة ديالوگ.

المجتمع المدني الحرية، الاقتصاد والسياسة

صدر الى المكتبات الكتاب الاول من مشروع (٦٠) كتابا الذي يطبعه مكتب المنظمات الديموقراطية. يحمل الكتاب عنوان (المجتمع المدني، الحرية الاقتصاد والسياسة للكاتب الفارسي الشهير موسى غني نژاد ترجمه الى الكردية ريباز مصطفى.

في الفصل الاول من هژا الكاتب نگلع على مفهوم المجتمع المدني. يوچح الكاتب ان المجتمع المدني

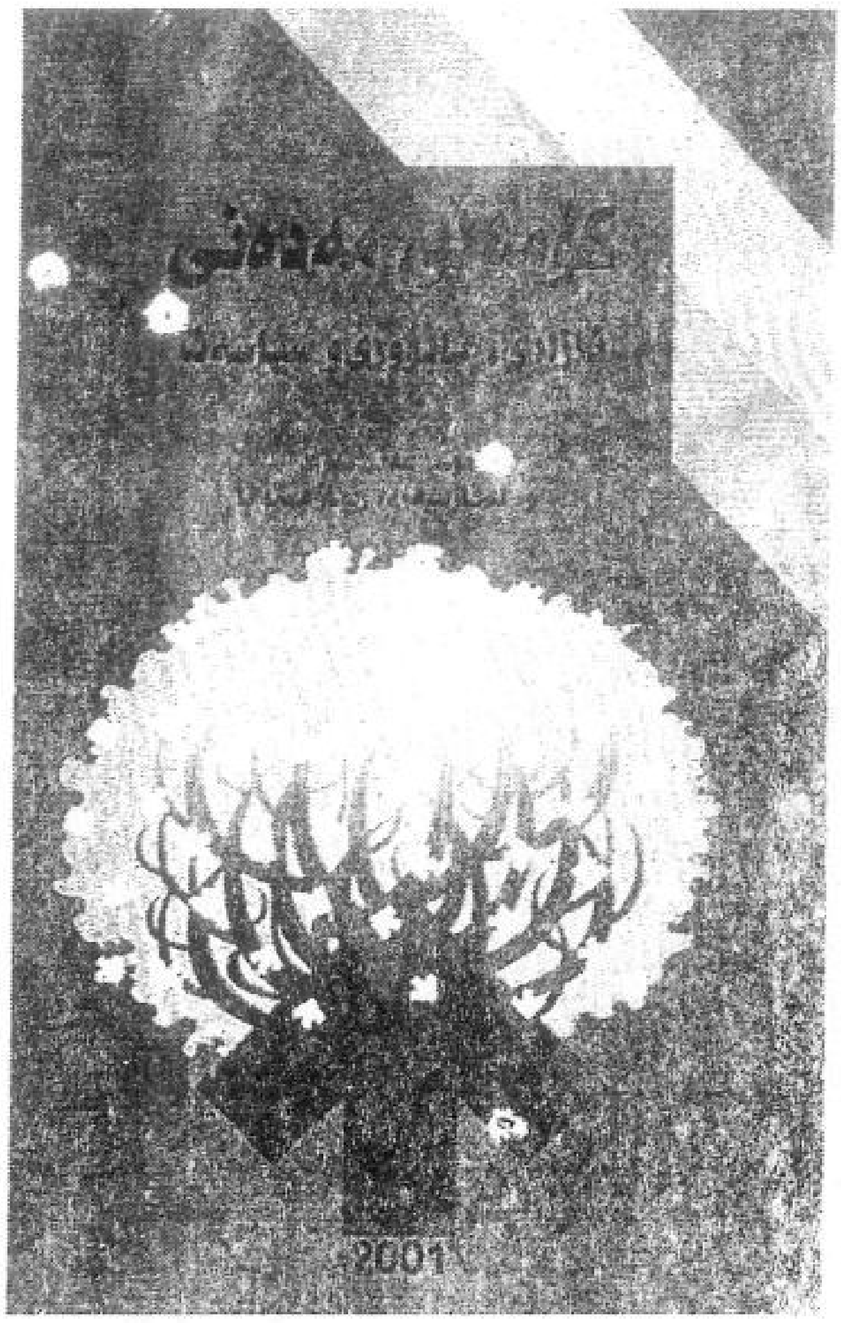

يحمل في الاساس سمات اقتصادية وفي الفصل الثاني يلقي الضوء على مفهوم الحرية من منظور الفكر الحديث وعلاقتها بالاقتصاد السياسي.

ويؤكد الفصل الثالث على ان الحرية السياسية (الديمقراطية) لا تستطيع ان تبقى وتعمر بمعزل عن الحرية الاقتصادية.

خصص الكاتب فصلا من كتابه للديمقراطية ومفهوم المجتمع المدني في ايران، وفي موضع آخر تناول الكاتب العلاقات القائمة بين الاخلاق والاقتصاد في العالم الحديث.

يعتبر الفصل الرابع والأخير تحليلا دقيقا للديمقراطية الليبرالية.

يشرف على هذا المشروع الاستاذ سامي هادي سكرتير تحرير مجلة المدنية.

اللافت للنظر هو ان حجم كتب المشروع يشبه تماما حجم مجلة المدنية التي تصدر من قبل الجهة نفسها.

أمسية شعرية في حلبجة

بعد تبديد الغيوم الداكنة وانتهاء الاحداث المفجعة واستتباب الأمن والهدوء، ومن أجل إعادة واحياء السمات المدنية والثقافية لمدينة حلبجة زار وفد من الأدباء مدينة حلبجة وتجولوا في انحاء المدينة كما وزاروا المدارس وبعض الاحزاب السياسية. اثناء هذه الزيارة قام "١١" شاعرا بالقاء قصائدهم في أمسية شعرية خاصة بهذه المناسبة. تعد هذه الأمسية أولى أمسية شعرية تقام في حلبجة بعد مآسي قرية خيلي حمه. والشعراء الأفاضل الذين شاركوا في هذه الأمسية الشعرية هم: (قباد جلي زاده–ارخوان–هدايت عبد الله حيران–سوزان مامة–أمين سبان –أزي كوران–روز هەلبجەيى– سلام مصطفى–أزاد توفيق– عمر عبدالكريم–ميديا حسين وأدريس علي) أقيمت الندوة على قاعة احمد مختار جاف حيث حضرها السيدان مصطفى سيد قادر والشيخ جعفر وعدد كبير من الأدباء والمثقفين وجماهير حلبجة المحبة للشعر والحرية.

ان هذه الزيارة وهذه الأمسية هي بمثابه تأييد الأدباء وتضامنهم مع حكومة الأقليم واستنكارهم للاعمال الوحشية التي حدث في قرية خيلي حەمه.

اشرف مركز كلاويز الادبي والثقافي على تنظيم الزيارة والامسية.

هاشم صالح باللغة الكردية

قبل اسبوع صدر كتاب (قراوه ق الفكر الاوربى المعاصر) للكاتب والمترجم السورى هاشم صالح ترجمه الى اللغه الكرديه المترجم شوان احمد.

صدر الكتاب ضمن سلسلة مطبوعات مركز گلاوێژ الأدبي والثقافي. يعد هذا الكتاب محاولة لتعريف الثقافة الاوربية المعاصرة بلغة بسيطة وجميلة.

احلام مستحيلة

صدرت عن دار (أزمنة للنشر والتوزيع) وضمن سلسلة إبداعات عربية مجموعة قصصية للقاص الكردي أحمد محمد أمين تحت عنوان (أحلام مستحيلة) صمم الغلاف الياس فركوح وتحتوي المجموعة على القصص الآتية: رماد المدن المسنية ، أحلام مستحيلة، أزمنة مغبرة، حلم طري، أكوان صغيرة، هلوسة ليلية، أوقات بلا معنى، صباح آخر حزين، دورة اسطوانة، من يقطع رأس الأفعى، صورة ناحلة، آخر المحطات، أربع صور من ألبوم الذاكرة، تداعيات السيد (ق)، والحق بسرب الطيور، ليزا والنجوم. للقاص أحمد محمد أمين لغة شفافة وجميلة واسلوب رائع وشخصيات تحتمل في طياتها الكثير من الكنوز النفسية والذكريات العابقة برائحة الحزن والآسى.

أحمد محمد أمين كاتب كردي عراقي كتب قصصه باللغة العربية. وهو عضو اتحاد الأدباء العراقيين وعضو اتحاد الكتاب السويديين. صدر له:

-ممرات في دفاتر الطفولة، مجموعة قصصية، الكويت ١٩٨٤.

-طائر اليل، بغداد ١٩٩٦، الفائز بجائزة "أبو القاسم الشابي" التونسية للقصة من بين ٩١ مجموعة مختارة عام ١٩٩٧.

-بيت في أقصى النسيان، مجموعة قصصية ٢٠٠١ ستوكهولم.

وله مخطوطات جاهزة للطبع:

-أجراس نائمة" سيرواية ما بين الإياب والغياب.

-زمن كالضباب، مجموعة قصصية.

أهدى القاص مجموعته هذه الى أبنائه عاطف وعلى وشيرين والى حفيدته الجميلة دنيا.

من الجدير بالذكر ان روايات عديدة صدرت ضمن سلسلة ابداعات منها:

وصف الماضي لغسان زقطان، أعمدة الغبار لالياس فركوح، أنت منذ اليوم لتيسير سبول ، دميان هرمان هسه، ماركو قالدو لكالفينو، بيت المحرمات لأنابيسنن..

كمال نوري معروف

زيارة جمهورية إيران الأسلامية

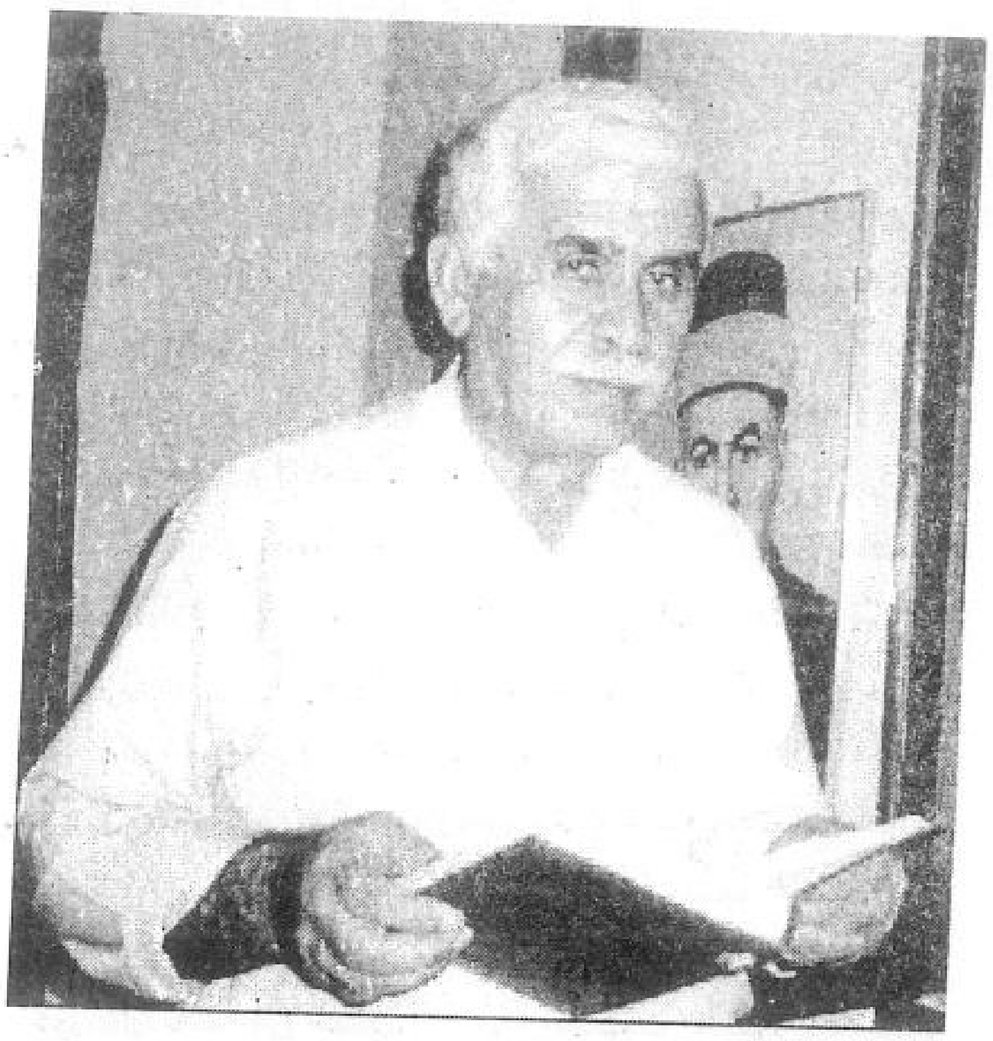

خلال فترة ما بين ٨/١٥ ولغاية ٨/٢٤ قمت بزيارة جمهورية إيران الإسلامية بهدف مشاهدة المواقع الأثرية والمتاحف وكذلك مشاهدة الدور التراثية وشراء بعض المطبوعات الخاصة بالآثار.

في بداية الامر قمت بزيارة مدينة سنندج الكوردستانية وبعد الوصول اليها اتصلت فورا بالمسؤولين في دائرة الاثار والتراث ومن ثم زرت المتحف حيث تجولت في غرفه وقاعاته لمشاهدة محتوياتهم من الاثار.

هنا من الضروري التحدث عن بناية المتحف حيث انها تعرف بعمارة (ملالطف الله شيخ الاسلام االسنندجي). تقع هذه العمارة في شارع أمام رضا القريبة من بناية المحافظة في زقاق الحبيبي. تعود بداية تشييد العمارة الى فترة حكم ناصرالدين شاه القاجاري في القرن التاسع عشرالميلادي.تتكون من قسمين، قسم منها مخصص للمتحف والاخر خاص بادارة الاثار والمكتبة. القسم الخاص بالمتحف يتكون من طابقين وقد خصص جميع غرفه وقاعاته لوضع آثار إيران الذي يمتد من عهود ما قبل التاريخ الى الفترة الإسلامية المتأخرة.

بعد الانتهاء من مشاهدة محتويات المتحف من ألاثار قمت بجولة داخل المدينة لمشاهدة الدور التراثية وقد شاهدت من خلال جولتي: عمارة خسروأباد، عمارة مشير ديوان، عمارة أصف، مسجد دار الإحسان. وقامت مديرية التراث في المدينة باستملاك تلك الدور للقيام باجراء صيانتها على صورتها السابقة. بعد انتهاء مهمتي هناك توجهت نحو مدينة كرماشان لمشاهدة الموقع الاثري المعروف بـ((طاق بستان)) وهو خاص باثار بعض ملوك الساسانيين ومن الملوك الذين شاهدناهم هناك أردشير الثاني (٣٨٣ ـ ٣٨٩م)، شاهبور الثاني والثالث، صورة خسرو برويز حيث على يساره الالهة أناهيتا (عشتار) واضافة الى ذلك وجود مشهد محفور لصيد الحيوانات الوحشية. كذلك صورة خسرو برويز وهو على ظهر حصانه المعروف باسم (شب ديز)، في يده اليمنى رمح طويل وفي يساره الة معدنية مدورة ليحفظ عن طريقهاجسمه من ضربات الأعداء.

في داخل مركز مدينة كرماشان زرت تكية معاون الملك وهي من بقايا محاربة في العهد القاجاري حيث تعقد فيها أيام الجمعة حلقات ذكر الله وكانت جدران البناية من الداخل مزينة بتصاوير جميلة مواضيعها مأخوذة من الشاهنامة للفردوسي فيها تصاوير لجميع ملوك إيران القدامى حتى العهد القاجاري.بعد ذلك توجهت نحو قصبة (كنگاور) الواقعة على طريق كرماشان ـ همدان ولدى وصولي اليها زرت معبد (اناهيتا ـ عشتار). يشغل هذا المعبد مساحة كبيرة ومنذ عدة سنين تقوم مؤسسة الاثار والتراث الإيرانية باجراء اعمال التنقيب والتحري فيه لكشف معالمه الاثرية وفي نفس الوقت تجري أعمال الصيانة فيه، واعادته على صورته القديمة. نتيجة لاعمال التحري والتنقيب عثر فيه على مجموعة من

الاواني الفخارية وقبور ومسكوكات من العهد الاشكاني وكذلك ظهور مجموعة من الرموز محفورة على احجاره المستخدمة في بناء المعبد وهي إشارة الىأن المعبد لعب دوره الديني في العهد الساساني.

خلال يومي ١٩ــ ٨/٢٠ قمت بزيارة قصبة سقز بهدف زيارة قلعة (زيويه)، تقع هذه القلعة في الطرف الجنوبي الشرقي لمدينة سقز على بعد ٥٥ كيلومترا منها وهي قلعة كبيرة ومرتفعة يبلغ إرتفاعها مابين ٩٠ــ ١١٠ مترا

زيويه في القرن الثامن قبل الميلاد من المراكز الهامة لحكومة (مانا)، (مادالصغير). قامت مؤسسة الاثار إلايرانية منذ عدة سنوات بإجراء أعمال التحري والتنقيب فيها وظهرت نتيجة لذالك طبقة سكنية واحدة. من ألاثار المستخرجة فيها أعداد كبير من الاواني الفخارية الملونة والرقى المعدنية التي تشير الى تقدم الذوق الفني لاهلها. ومن المعلوم إن ألاثار المستخرجة في هذه القلعة موزعة على متاحف آثارية عديدة من بينها متاحف طهران وسنندج وهمدان. ويظهر من خلال مشاهدة أثارها العاجية وجود تأثيرات فنية أشورية عليها .

ومن (زيوى) توجهت الى (غاركرفتو) التابع لقصبة (ديواندەرە). يقع هذا الموقع الاثري الى الشرق من قرية مسعود أوا. يتكون (كرفتو) من ثلاث طبقات محفورة من صخور الجبل الواحدة على الاخرى حيث يستطيع المرء التجوال في طبقاته بواسطة سلالم محفورة من الصخر. تتكون كل طبقة من مجموعة غرف والدكات وفيها عدد من الابواب والشبابيك. تقوم مديرية أثاروتراث مدينة سنندج بأجراء اعمال التحري والتنقيب في الوقت الحاضر لتنظيفه من الاتربة والفضلات المتراكمة فيها. الصعود الى (كرفتو) يجري من الخارج عن طريق سلم حديدي حيث المكان على أرتفاع (٥٠) مترا تقريبا.

يظهر من الدلالات الاثرية ان الموقع يرجع الى فترة حكم الاشكانيين وبقي دوره في فترة حكم الساسانيين والفترات ألاسلامية اللاحقة.

بعد انتهاء عملي عدت الى مدينة سنندج وفي ٨/٢٠ توجهت الى مدينة همدان وهي عاصمة للميديين خلال فترة(٧١٥ــ ٥٥٠) ق.م..

وفي البداية قمت بزيارة (تەپەی هەکمەتانە) وهناك شاهدت اعمال التحري والتنقيب الجارية من قبل مؤسسة الاثار والتراث. بعد ذلك قمت بزيارة متحف هان في موقع الـ(تەپە) المذكورة حيث شاهدت فيه مجموعة أثارمن العهود الاسلامية و الساسانية والاشكانية والاخمينية. بقي أن أذكر بخصوص الاثار الاخمينية الموجودة في المتحف أن اغلبها من قواعد الاعمدة الاسطونية الحجرية. بعد الانتهاء من مشاهدتى لاثار المتحف زرت في نفس اليوم جبل (الوند) حيث شاهدت الصخرتين المكتوبتين العائدتين الى الملك (الها خامانشي) (دارا الكبير) وإبنهُ (خشايارشا). أما الكتابة الموجودة عليهما فهي مكتوبة بثلاث لغات الفارسية القديمة والبابلية والعيلامية.

في ٨/٢١ قمت بزيارة العاصمة طهران لمشاهدة متاحفها الاثرية وشراء عدد من المصادر الاثرية المتوفرة في مكتباتها. في البداية زرت المتحف الخاص بالاثار القديمة حيث تجولت في غرفه وقاعاته لمشاهدة آثاره حيث رتبت حسب التسلسل الزمني أبتداء من العهود الحجرية وانتهاء بالفترة الساسانية. من بين الاثار النادرة التي شاهدتها (الصخرة) المكتوبة العائدة الى الملك سرجون الثاني (٧٢٢–٧٠٥ ق.م) وهو يصف حملته على بلاد إيران. بعد ذلك زرت المتحف ألإسلامي القريب منه حيث شاهدت آثارا متنوعة من العهود الإسلامية المختلفة الى االعهد القاجاري وهي تتكون من الاواني الفخارية الملونة والمنقوشة ومخشلات ذهبية ومسكوكات متنوعة مع وجود الات وادوات معدنية وسجاجيد.

على ضوء تلك المعلومات يمكن ملاحظة النقاط التالية :

١. من الضروي التنسيق مع الجهات إلايرانية لارسال عدد من آلاثاريين لاكمال دراساتهم العليا في حقل ألاثار في جامعة طهران.
٢. من المفيد الحصول على موافقات اصولية من الجهات الإيرانية للقيام بجولات آثارية الى إيران ولزيارة متاحفهم أيضًا.
٣. من المستحسن العمل لخلق نوع من العلاقة بين المؤسسات الآثارية الإيرانية ووزارة الثقافة في أقليم كوردستان العراق خدمة للاثار والاثاريين.
٤. تخصيص مبلغ سنوي لشراء المطبوعات الصادرة في إيران الخاصة بأثارهم.